الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر – بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

الحجاج وأساليبه التّواصليّة في مقامات بديع الزّمان الهمذانيّ

أطروحة مقدّمة لنيل درجة دّكتوراه العلوم في الآداب واللّغة العربيّة

تخصّص: علوم اللّسان العربي

إعداد الطّالبة:
– هناء حلاسة

إشراف الأستاذ الدّكتور:
– صلاح الدّين ملّاوي

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الاسم و اللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
1	ليلى كادة	أستاذ	جامعة بسكرة	رئيسا
2	صلاح الدين ملاوي	أستاذ	جامعة بسكرة	مشرفا ومقررا
3	عزيز كعواش	أستاذ	جامعة بسكرة	مناقشا
4	محمد بن صالح	أستاذ	جامعة المسيلة	مناقشا
5	الجودي مرداسي	أستاذ	جامعة باتنة	مناقشا
6	سناني سناني	أستاذ	جامعة باتنة	مناقشا

السّنة الجامعيّة: 1442 /1443هـ– 2021/2020 م

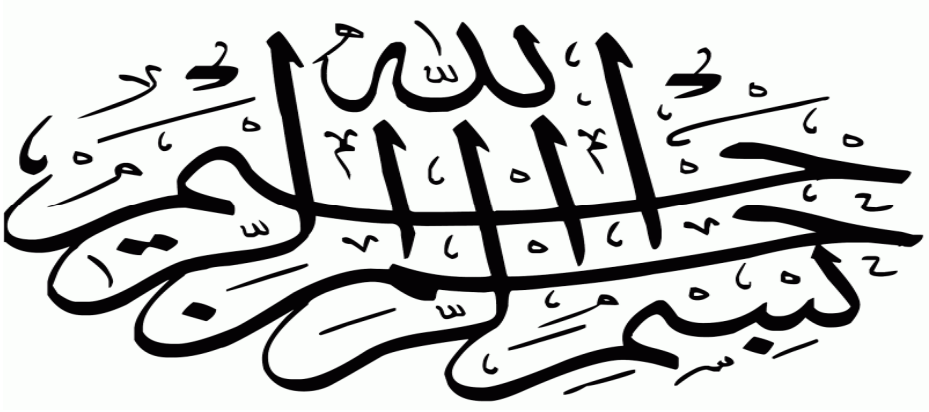

﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ

حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ

وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ١٦ ﴾

الشّورى / 16

مقدّمة

تهتم نظرية الحجاج في الدّراسات اللّغوية الحديثة بدراسة النّصوص الأدبيّة دراسة يحدثُ فيها إعادة إنتاج النص الأدبي بناء على فكرة أساس مفادها أنّ النّص المدروس إنما يحلل لذاته ومن أجل ذاته، بهدف تحديد قواعده وقوانينه على مستوى البناء والدّلالة؛ لذلك كان اختيار البحث في الموضوع الموسوم بـ:"الحجاج وأساليبه التّواصليّة في مقامات بديع الزّمان الهمذاني" بهدف تحديد البنى الحجاجية، ثمّ وصفها وصفا لغويا بحتا وفق منهجية لسانية تضبطها آليات إجرائيّة يمكن من خلالها حصر أغلب أسس الحجاج، ومعظم أساليبه التواصليّة بشتّى أبعادها النّسقيّة والسّيّاقيّة.

بناء عليه، طُرحت الإشكاليّة الآتية:

- ما الأسس الحجاجيّة، والأساليب التّواصليّة التي اقتضاها خطاب "بديع الزّمان الهمذانيّ" من خلال فنّ المقامة ؟

ومن أجل تحقيق الغاية وبلوغ الهدف، كان لابد من الإجابة عن السؤال المطروح، ولعل إمكانية ذلك قد تحققت وفق منهج وصفي عمل على ضبط هيكل تنظيمي قائم على ثلاثة فصول، حيث ورد الفصل الأول بعنوان:"أسس التحليل المنهجي والبناء النصي"، وهو فصل نظري بُني على التعريف بكل من تقنيات التحليل المنهجي ومعايير البناء النصي، فقسّم إلى ثلاثة مباحث يتكفل كل واحد منها على التّرتيب بضبط المفاهيم الأولية وطرح المعالم النظرية لكل من المصطلحات البنائيّة الآتية: نظرية الحجاج، فأشكال الحجاج، ثمّ فن المقامة.

وتمّ ذلك، بعد استقصاء تاريخي عرض أهم المراحل التّأسيسية التي مرت بها نظرية الحجاج في الدّراسات اللّغويّة الغربيّة والعربيّة الحديثة، ابتداء بالمدرسة البلجيكيّة بزعامة "شيم بيرلمان"، ثمّ المدرستين الإنجليزيّة بزعامة "ستيفن تولمان"، فالأمريكيّة بزعامة "أرن نايس"، هذا بالنّسبة للدّراسات الغربيّة وصولا إلى المدارس العربية بزعامة "صلاح فضل" في مصر، والباحثين الناقدين "حمادي صمّود" و"عبد الله صولة" في تونس، ورائدي

التفكير الفلسفي "محمد العمري" و"طه عبد الرّحمن" في المغرب، ومنه تم التعريف بأربعة أشكال حجاجيّة، وهي : الحجاج المنطقي، والحجاج الجاهز، والحجاج المغالط، والحجاج السّاخر، ثمّ يأتي التّعريف بفن المقامة في الأدب العربي مرفقا بأبرز خصائص المقامة الهمذانيّة، وأهم أغراضها.

يلي ذلك، فصلان تطبيقيان، إذ يحمل الأول منهما عنوان "الحجاج بأساليب المغالطة النّسقيّة في مقامات الهمذاني"، وهذا ما اقتضى تقسيمه إلى مبحثين اثنين، مبحث أوّل يتولّى دراسة المغالطة النّسقيّة الصّوريّة، ومن صور هذه المغالطة: المغالطة بالمصادرة على المطلوب، والمغالطة بتجاوز الحجّة، والمغالطة بتجاهل المطلوب، والمغالطة بالعرض، أمّا المبحث الثاني، فيتولّى دراسة المغالطة النّسقيّة اللّغويّة، ومن صورها: المغالطة بالتّركيب، والمغالطة بالاشتراك، والمغالطة باللّبس، والمغالطة بالمسائل المتعددة.

على حين، ورد الفصل الثالث بعنوان "الحجاج بأساليب المغالطة السّيّاقيّة في مقامات الهمذاني"، إذ اعتنى المبحث الأول منه بدراسة المغالطة السّيّاقيّة الماديّة، ومن أضرب هذه المغالطة: المغالطة بالسّلطة، والمغالطة بالاسترحام، والمغالطة بالإغاظة، والمغالطة بالتّخويف ترهيبا، والمغالطة بالتّناقض العملي، والمغالطة بالتّناقض الأخلاقي العملي، أمّا المبحث الثاني، فاعتنى بدراسة المغالطة السيّاقيّة اللّاماديّة، ومن أضربها: المغالطة بما يهوى الجمهور، والمغالطة الشّخصيّة تجريحا وإحراجا، والمغالطة بالجهل، والمغالطة بالتّجهيل وفق صورها الثلاث، الإثباتيّة والمعرفيّة و الجدليّة.

بناء على ما تمّ عرضه، يتّضح أنّ طبيعة الدّراسة اقتضت تحليل أبرز البنى الحجاجيّة المغالطة وأساليبها التّواصليّة وفق تنظيم إجرائي تحكمت فيه معطيات النّصوص الأدبيّة، علما أنّ عدد مقامات "بديع الزّمان الهمذاني" في النسخة المعتمدة بلغ إحدى وخمسين مقامة، مع تذييل كل واحدة منها بشرح مفصّل للشّيخ "محمد عبده"، وقد قام هذا الأخير بإقصاء "المقامة الشّاميّة" مبرّرا ذلك بقوله في مقدّمة النّسخة ذاتها:

« وأعوذ بالله أن أرمي صاحب المقامات بلائمة تنقص من قدره، أو أعيبه بما يحطّ من أمره، ولكن لكلّ زمان مقال، ولكل خيال مجال، وهذا عذرنا في ترك المقامة الشّاميّة وإغفال بعض جمل من المقامة الرّصافيّة وكلمات من مقامة أخرى مع التّنبيه على ذلك في مواضعه ، والإشارة إلى السّبب في مواقعه »[1].

وتجدر الإشارة بعد هذا التّفصيل، إلى أنّ الدّراسة اقتصرت على تحليل البنى الحجاجيّة المغالطة، بما أنّها ثبتت على مستوى سبع وثلاثين مقامة، حيث تبين بعد حصر البنى الحجاجيّة بعامة، أنّ ثلاث مقامات منها لا حجاج فيها، كما أنّ عدد المقامات الّتي تضم حجاجا غير مغالط لا يتعدّى إحدى عشرة مقامة، وهذا العدد لا يفي بالغرض أثناء عمليّة التحليل، والآتي يوضح ذلك:

1- مقامات لا حجاج فيها:

- المقامة الرّصافيّة ⟵ مجرد رصف لأخبار لا يراد بها الاستدلال.
- المقامة المغزليّة ⟵ شكوى من طرفين.
- المقامة الإبليسيّة ⟵ خرافة.

2- مقامات لا مغالطات فيها:

- المقامة الوعظيّة ⟵ حجاج منطقي مباشر (تقابل+تعادل) وغير مباشر (قياس+استقراء).
- المقامة الوصيّة ⟵ حجاج منطقي غير مباشر (قياس+استقراء).
- المقامة الأهوازيّة ⟵ حجاج منطقي غير مباشر (استقراء).
- المقامة العلميّة ⟵ حجاج منطقي غير مباشر (استقراء).

[1] – بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، شرح: محمد عبده، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 2012م، ص7.

- المقامة الخلفيّة ← حجاج منطقي غير مباشر(استقراء).
- المقامة التميميّة ← حجاج منطقي غير مباشر(استقراء).
- المقامة الغيلانيّة ← حجاج جاهز (أحداث واقعيّة ماضيّة).
- المقامة المضيريّة ← حجاج جاهز (أحداث واقعيّة ماضيّة).
- المقامة الأسوديّة ← حجاج جاهز (دليل مادي).
- المقامة البشريّة ← حجاج جاهز (دليل مادي + دليل لغوي).
- المقامة الشّعريّة ← حجاج جاهز(استدلال بأدلّة لغويّة: أقوال الأدباء والأقوال المأثورة).

وضبط هذه الخطّة التّنظيميّة، لم يتحقق إلاّ بالاطلاع على مصادر ومراجع، من أوثقها صلة بموضوع البحث تاريخ نظريّات الحجاج لفليب بروتون وجيل جوتييه، ترجمة: محمد صالح ناحي الغامدي، وقضايا أساسيّة في المنطق لمحمد مهران رشوان، والحجاج والمغالطة – من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار – لرشيد الرّاضي، والأساليب المغالطيّة مدخلا لنقد الحجاج لمحمد النّويري، والاستدلال البلاغي لشكري المبخوت.

في الختام، لا يكون الحمد والشّكر إلاّ لله عزّ وجلّ، أمّا الامتنان والعرفان فأخصّ بهما أستاذيّ الفاضلين الأستاذ الدّكتور/ صلاح الدّين ملاوي، والأستاذة الدّكتورة/ ليلى كادة، دون أن أنسى كلّ من قدّم يد العون والمساعدة.

وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت، وإليه أنيب.

الفصل الأول:

أسس التّحليل المنهجيّ والبناء النّصيّ

أولا/ ماهية الحجاج في الدراسات الحديثة:

1 – مفهوم الحجاج لغة واصطلاحا

2 – المدارس الحجاجيّة عند الغرب والعرب

ثانيا/ أشكال الحجاج في النظريات الحديثة:

تمهيد

1 – الحجاج المنطقي

2 – الحجاج الجاهز

3 – الحجاج المغالط

4 – الحجاج الساخر

ثالثا/ فنّ المقامة في الأدب العربي:

1 – مفهوم المقامة لغة واصطلاحا

2 – نشأة فنّ المقامة

3 – أغراض المقامة الهمذانيّة وخصائصها

أولا / ماهية الحجاج في الدراسات الحديثة:

1 – مفهوم الحجاج لغة واصطلاحا:

"***الحِجَاجُ***" في اللغة من الفعل "حَاجَّ"، يقال: حَاجَجْتُهُ أُحَاجُّهُ حِجَاجًا ومُحَاجَّةً حتى حَجَجْتُهُ أي غلبته بالحُجَج التي أدليت بها، والتَّحَاجُّ: التّخاصم، وحَاجّهُ مُحَاجَّةً وحِجَاجًا: نازعه الحُجَّة، ورجل مِحْجَاجٌ أي جَدِلٌ، والجَدَلُ مقابلة الحجّة بالحجّة، والحجّة: الدليل والبرهان[1]. وثبت في كتاب التعريفات أنّ الحُجَّة والدَّليل واحد، وهما ما دُلَّ به على صحة الدعوى[2]، وكذلك في المعجم العربي الأساسي، فالحجّة جمعها حُجَجٌ وحِجاجٌ، بمعنى الدليل والبرهان، أما البرهان مصدر بَرْهَن يُبَرهِنُ والجمع بَرَاهين: الحجّة البيّنة الفاصلة (...) وفي الرياضيات: ما يثبت قضية من مقدمات مسلم بها، والدليل: ما استدل به استدل يستدل استدلالا: انتقال الذهن من أمر معلوم إلى أمر مجهول، واستدل على الشيء: تعرف وتوصل إلى حقيقته، واستدل بالشيء على الشيء: اتخذه دليلا عليه والدليل مصدر دلّ يدل والجمع أدلة: دل فلان الشخص على الشيء أي أرشده وهداه إليه[3].

إذن، "الحِجَاجُ" في اللغة: النزاع والخصام والجدال بواسطة الأدلة والبراهين والحجج[4].

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، مادة (حجج)، 2/27،28.

[2] – الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، د. تح، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص60.

[3] – المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، توزيع لاروس، 1989م، ص 291،292.

[4] – ليلى جغام، إستراتيجيات الحجاج في التراث العربي – مقاربة تداولية في كتاب (البيان والتبيّن) للجاحظ – ، دار النابغة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2015م، ص22.

وبما أن الأدلة (les preuves) والبراهين (les démonstrations) والحجج (les arguments) مصطلحات استدلالية تَرِدُ مترادفة – في غالب الأحيان – ضمن سياقات متباينة على أساس أنها سبيل عقلي إقناعي شامل، لا يستمد قوته إلاَّ من إعمال الفكر، فإنّ الحجاج (l'argumentation) بالاستناد إليها يؤسس نظريات لغوية حديثة[1]. لكل منها إطار مرجعي خاص، يكون في الغالب إمَّا لسانيا أو فلسفيا أو منطقيا أو جامعا بين هذا وذاك[2].

وتستمد هذه النظريات الحديثة حدودها الاصطلاحية من المفهوم العام للحجاج، فهو بالنّظر إلى المضمون « كلّ منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها»[3]. أما بالنظر إلى الجانب الشكلي فهو «تعالق النتائج والمقدمات، وتسلسل القرائن، ودقة ترابطها، بحيث تكون الأولى مؤدية إلى الثانية واللاحقة مبرّرة للسابقة بشكل يبقي على طابعها الاستفهامي لإعادة المساءلة»[4].

وبتعبير لساني بسيط هو طريقة استدلال في كلام ما (نصّ /خطاب)، بقصد تقديم مسوّغات مقبولة للتأثير في الاعتقاد والسلوك[5].

من المفاهيم السالفة، رأى الدارسون المحدثون أن الحجاج يتميز بخمسة ملامح هي:

---

[1] – طه عبد الرحّمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص 132 ؛ جبور عبد النّور، سهيل إدريس، المنهل – قاموس فرنسي عربي– ، دار الآداب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1977م، ص 67، 309، 824.

[2] – عليوي أباسيدي، الحجاج والتفكير النقدي – مقاربة تداولية منطقية معرفية نقدية– ، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، د.ط ، 2004م، ص09.

[3] – طه عبد الرحمن اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 226.

[4] – أمينة الدّهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2011م، ص08،09

[5] – جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، 2000م، ص 105.

أ – التوجه إلى مستمع، لأن الكلام بصفته حدثا نطقيا ينجز وفق معطيات معينة من سياق يفترض مستمعا خاصا من جهة الكفاءة، وخاصا أيضا من جهة المعتقدات التي تكون فكرية ووجدانية في آن معا، وبالتالي إذا كان الكلام حجاجا فإن المستمع ما هو إلا وجهة نظر قد تتوافق ورأي المتكلم، فيعمل هذا الأخير على تأكيدها، وقد تلتزم الحياد أو تتخالف معه، فيعمل في هذه الحالة على الإقناع ومحاولة التأثير[1] ويقتضي ذلك ثقافة واسعة في المتكلم تجعله قادرا على النفاذ إلى عالم المستمع والفعل فيه بتغيير آرائه ومواقفه، بل وما يرتئيه لنفسه من سلوك[2].

ب – التعبير بلغة طبيعية، فمادامت اللغة المحتج بها كامنة في الذهن، فإن الحجاج يكون تلفظا شفويا أمام مستمعين، مثلما يكون مكتوبا تتداوله بالقراءة جماعة المعنيين به[3]، إلا أن هذه اللغة الطبيعية، سواء أكانت من طريق التلفظ الشفوي، أم من طريق الكتابة، فإن دلالات ألفاظها وإيحاءاتها تتعدد وإن لم تتعدد صيغها التركيبية (إمكانية التأويل) [4]، نظرا لاتكائها على بعدين مختلفين، بعد دلالي تصريحي، وبعد دلالي ضمني، وهذا ما يسوغ إمكانية التأويل التي تتحكم فيا وجهة نظر معينة، لذا يجب على المتكلم أن يضيف إلى مجهوده في اختيار المعطيات الحجاجية مجهودا آخر

---

[1] – محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق للنشر، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 2005م، ص220.

[2] – سامية الدريدي الحسني، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة – بنيته وأساليبه–، دار عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، دار جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (د.ط)، 2008م ، ص31، 42.

[3]– محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر– ، دار الكتاب الجديد المتحدة للنشر، بيروت، لبنان، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، ط1، 2008م، ص 110.

[4] – محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص222.

يبذله من أجل أن تؤول هذه المعطيات التأويل الذي يرتضيه، وأن تعطى لها الدلالة التي يريد فيما إذا كانت صريحة أو ضمينة[1].

ج – المسلمات لا تعدو أن تكون احتمالية: إن الطابع الاحتمالي للمسلمات نابع من كون المستمع مستمعا خاصا كما سبق بيانه، حيث لا تكون المسلمات بديهية في ذاتها بل في كونها صادقة بالنسبة لذلك المستمع[2]. ووعي المتكلم بطاقات مخاطبيه المعرفية، والتي هي أفكار يسلمون بها سلفا وإن لم يكن لها فاعلية في ذاتها، يسهم في تحقيق وظيفة الحجاج بأقل جد ممكن، لأن ما هو حاضر في الذهن يكون أهم، وما ينبغي على المتكلم إلا أن يأخذه بعين الاعتبار، وأن يستغله الاستغلال الأمثل[3]، إلا أنّ إسناد المسلمات الاحتمالية إلى الحجاج لا يعني إقصاء ما هو حتمي، إذ قد يتضمن عناصر برهانية ضرورية[4].

د – الحجج تفتقر إلى ضرورة منطقية: إذا كانت المقدمات (المسلمات) لا تعدو أن تكون احتمالية، فإن تطور الحجاج ضن السلسلة الكلامية، قد لا يتم وفق تفكير منطقي[5]. لأن الحجاج قد يعرف في بعد من أبعاد بأنه ما كانت علاقته تأبى الخضوع للنطق الصوري[6]، وفي مثل هذه الحالة قد يتخلى المتكلم عن المنطق،

---

[1] – ينظر: سامية الدريدي الحسني، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة – بنيته وأساليبه–، ص 31.

[2] – محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص 224.

[3] – محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر–، ص 114.

[4] – محمد لعمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، ص 225.

[5] – نفسه، ص 226.

[6] – طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي للنشر، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2000م، ص 36.

ويلجأ إلى قضايا ومؤثرات نفسية مثل:الخيال، والعاطفة، والمعاني الإنسانية... الخ[1]، إذ لا سبيل إلى الإقناع في كثير من الأحيان – خاصة في غياب المنطق– دون إثارة، وبالتالي لا مفر للحجاج من البلاغة، لأن معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية[2].

هـ – النتائج غير ملزمة، وذلك بناء على الملمحين السابقين، فإذا كان مجال الحجاج هو المحتمل وغير المؤكد، وإذا كانت مقدماته ذات محتوى وجداني إذ لا يعضده في مثل هذه الحالة إلا الأساليب البلاغية[3]، فمن الطبيعي أن تكون نتائجه كذلك أي غير ملزمة، وإن سعت منطقيته خلال مرحلة من مراحل تطور الكلام، إلى إلغاء ما هو وجداني احتمالي، وإثبات ما هو عقلي يقيني[4].

وعلى هذا تتفق النظريات الحجاجية في كونها جملة التقنيات التي تراعي توظيف الحجج وبناءها بكيفية فنية، إضافة إلى كونها جملة التقنيات التي تراعي دراسة الاختيارات اللامنطقية والبراغماتية على مستوى السياق اللغوي بأبعاده المعجمية، والتركيبية، والدلالية من جهة، وعلى مستوى السياق الخارجي بأبعاده الموقفية (ظروف التواصل) والاجتماعية (عادات) والفكرية (معتقدات) من جهة أخرى.

---

(1) – محمد سالم محمد الأمين لطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر– ، ص 108، 109.

(2) – سامية الدريدي الحسني، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة – بنيته وأساليبه– ، ص 175.

(3) – صابر الحباشة، التداولية والحجاج – مداخل و نصوص– ، صفحات الدراسات و النشر، دمشق، سورية، ط1 ، 2008 م ، ص 50.

(4) – محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص 228.

2 - المدارس الحجاجية عند الغرب والعرب:

من المعلوم أنّ التّطور الذي طرأ على التصور القديم للحجاج حدث من خلال الإضافات التي قدمتها المدارس الحديثة لهذا المجال وفق حلقات شُكّلت لتدارس هذا المفهوم وأدواره في مختلف حقول المعرفة الاجتماعية. ومما تمخض عن هذه الدراسات إعادة النظر في كلّ من البلاغتين القديمتين الغربية والعربية وقراءتها قراءة جديدة، يُوظف فيها ما توصلت إليه اللسانيات المعاصرة والمجالات الإنسانية الحافة بها توظيفا يأخذ في الاعتبار خصوصيات الدرسين اللغوي والأدبي الفني[1].

ومن أولى الدراسات الغربية التي أولت العناية بهذا المجال المدرسة البلجيكية، وهي مدرسة راد بحوثها " شيم بيرلمان " (ch. Perlman)، وكتب مساهماته فيها باللغة الفرنسية ودارت في معظمها حول "الحجاج"، حتّى إنّ توجّهه المنهجي سمي بـ «البلاغة الجديدة» في كتابه الموسوم بـ: «مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة (Traité de l'argumentation :la nouvelle rhétorique) » الذي صدر سنة 1958م، وتمت هذه التسمية لحداثة الأبعاد لتي اهتمت بها تلك البحوث، ثمّ لأنها ذات خصائص إنسانية عميقة، ويؤكد ذلك كونها قد أجريت داخل قسم الفلسفة وعلم الإجتماع بجامعة بروكسل- بلجيكا[2].

وقد أدّى المسار المنهجي ذاته إلى المطابقة بين « الحجاج والبلاغة » انطلاقا من فكرة أنّ كلّ خطاب يسعى لتدعيم وضع ما أو تغيير آخر أو اتخاذ موقف تجاه قضية ما،

---

[1] - ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة لمعاصرة - بحث في بلاغة النقد المعاصر-، ص101.

[2] - نفسه، ص 104.

وأنّ كل تلك الخيارات لا بد لها من أن تتأسس على خطط حجاجية مقصود بها المخاطبون، وتأتى ذلك بناء على تعاضد فكرتين جوهريتين[1]:

أولاها وجودية ظاهراتية في آن، عمادها مقولة "هيدقر" (hidguer) التي اعتبر فيها اللغة هي الوجود بكل أبعاده وأزمنته، أمّا الثانية فتأويلية (هرمينوطيقية) مفادها ضرورة الانطلاق من اللغة المرسلة في مقام معيّن، ثمّ تفكيكها والغوص فيها للوصول إلى مكوّناتها الأساسيّة وعلاقتها بالمتكلمين والمخاطبين، ولهذه الخطوة أبعاد وروافد سيكولوجية تتلخص في السؤال عن الكيفية التي تدفع بها الكلمات المخاطبين إلى الفعل.

وأرسى " بيرلمان " أساسيات البلاغة لجديدة ببحثه عن " منطق للقيم "، وأثناء ذلك وجد في طريقه البلاغة القديمة، بلاغة " أرسطو طاليس " (Aristotelês) وبلاغيي العصور القديمة، التي وضعها في موقف معارض للبلاغة الكلاسيكية التي تطورت في القرن 17 (السابع عشر) وتقلصت لتصبح – حسب رأيه – بلاغة الصور الأسلوبية الهادفة للإعجاب وتحريك العواطف، وكانت دراسات البلاغة العامة، التي كتب فيها " رولان بارت " (R. Barth) و" جيرار جينيت " (G.Genette) وباحثون معهما، بالنسبة له تنتمي لهذه البلاغة الكلاسيكية أكثر من انتمائها للبلاغة القديمة، إذ تهتم الأولى بالأسلوب وجمليات الخطاب فيما تهتم الثانية بالوظيفة الإقناعية فيه. وبالتالي تختلف البلاغة الجديدة عن أي نظرية بلاغية غير حجاجيّة، كما أنها لا تتفق مع التراث الديكارتي الذي لا يرى العقلانية إلاّ في البرهان النطقي[2]، بما أنّ هذا الأخير استدلال يقتضي أن تكون كافة عناصره المكوّنة له غير قائمة على التعدد والاشتراك فهي أحادية المعنى بحيث تكون هذه العناصر ممّا يفهمه الناس جميعا بدون اختلاف بينهم ولا يثير

---

[1] – السابق، ص 105.

[2] – فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، السعودية، ط1، 2011م ، ص 42.

تأويلها أي مشاكل أو مسائل خلافية أيضا، وهو مجال بحث المناطقة الذين يسعون إلى شكلنة الأنظمة بصرف النظر عن محتوياتها، وعليه يكون حجاج " بيرلمان " ليس من هذا القبيل، فالحقيقة فيه ليست مضمونة ولا هي واحدة أو ضرورية أو مفارقة ومتعالية وموضوعية شأنها في الاستدلال، إنما الحقيقة في الحجاج نسبية وذاتية، لكن لا إلى غير حدّ، كما أنها مرتبطة بالمقام ولا تكون إلاّ تحت أنظار الجمهور، وهذا يعني أنّ الحجاج مثلما أنّه ليس موضوعيا محضا فإنه ليس ذاتيا محضا أيضا، فهو ليس" إقناعا " (persuasion)، على اعتبار أنّ الإقناع يكون بمخاطبة الخيال والعاطفة مما لا يدع مجالا لإعمال العقل وحرية الاختيار، وبالتالي لا يمكن أن يكون إلاّ " اقتناعا " (conviction)، والفرق بين الإقناع والاقتناع، أنّ المرء في حالة الاقتناع يكون قد أقنع نفسه بواسطة أفكاره الخاصة، أمّا في حالة الإقناع فإن الغير هم الذين يقنعونه دائما[1].

وعليه الحجاج حسب " بيرلمان " هو « حوار من أجل الوصول إلى الاقتناع، دون حمل على الإقناع »[2].

إذن، نظرية الحجاج هذه لا يمكن أن تنمو إذا تمّ تصوّر " الدليل البرهاني " مجرّد صيغة مبسطة بديهية؛ لأنها نظرية تسعى إلى دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفرضيات التي تقدّم لهم، أو تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافته، ومن الصواب المنهجي عدم الخلط بين مظاهر التأمل العقلي المتصل بالحقيقة (المنطق)

---

[1] – عبد الله صولة، الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج– الخطابة الجديدة – لبرلمان وتيتيكان، فريق البحث في البلاغة والحجاج – أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم –، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية – تونس1 – كلية الآداب، منوبة، تونس، ص300،301.

[2] – نفسه، ص 298،299.

والمظاهر التي تشير إلى هذا التأييد (الواقع/المجتمع)، إذ ينبغي دراسة كل منهما على حدة، مع الاحتفاظ بإمكانية بحث جوانب تداخلهما أو حتى تطابقهما فيما بعد[1].

إنّ هذا التصّور ينظم لأنواع البراهين والحجج بحسب كل من المقامات والمخاطبين، كما يهتم بتقديم دليل عميق لمستويات حضور الكُتَّابِ (المبدعين بعامة) في كتاباتهم، بوصف ذلك الحضور حركة حجاجية تتم بها محاورة الآخرين غير الحاضرين ممن تتوقع منهم استجابات معينة، وبالتالي فهو تصوّر يعمق فكرة " المستمعين " الواردة في البلاغة الكلاسيكية من خلال تركيزه على غيابهم المادي، ويعمل على تنمية عناصر الخطاب الحجاجية بعيدا عن وسائل الضغط والتحريض من جهة، والعمل من جهة ثانية على استثمار كل ما من شأنه أن يمنح الحطاب نفاذيته المطلوبة، من تقنيات ومكونات معرفية وإجتماعية ونفسية وسياقية، تُساعد مجتمعة في تحقيق الخطاب[2].

ومن أفكار " شيم بيرلمان " التي تؤكد الطابع الإشكالي التساؤلي غير الحتمي للمعطيات الحجاجية، تظهر آراء الفيلسوف البلجيكي " ميشال مايير " (M.Meyer) الذي ينطلق من الحقل الفلسفي الإبستمولوجي، فاصلا بذلك الحجاج عن الأنطولوجيا والميتافيزيقيا[3]، حيث سعى من خلال مشروعه الفكري إلى تحقيق هدفين إثنين[4]:

أولا: إقامة نظرية بلاغية أساسها فكرة التساؤل والمساءلة، لأن الوصول إلى السؤال الجوهري يعدّ أهم خطوة في أي نظرية وأي موضوع.

---

(1) – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص97.

(2) – محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر –، ص 110، 111.

(3) – نفسه، ص 133.

(4) – نفسه، ص134.

ثانيا: توضيح معالم الميتافيزيقيا المعاصرة من خلال تأكيده على أزمة الفكر الغربي المعاصر وفلسفته.

ولعل مرجع هذه الأزمة هو « موت الذات الديكارتية (...) المؤسسة [لمبدأ] " أنا أفكر إذن أنا موجود "، والذي سعى " ديكارت " [Dekartte] من خلاله إلى إثبات وجود الذات من حيث هي موجود مفكر، والبرهنة على وجودها بفعلها الذي هو الفكر؛ لأن التفكير يفترض الوجود حتما (...) وبسقوط [هذا المبدأ] تحت الضربات المتتالية التي ألحقها به " ماركس " [Marksse] و" نيتشه " [Nitcha] و" فرويد " [Freuid]، انهار هذا التّصور للإنسان (...) وفقد كل مشروعية تأسيسية و (...) فقد الوعي دوره التأسيسي كذلك، وإجتاحت الخطاب (...) إشكالية يصعب حلَّها وتولدّت عن كل ذلك إشكالات تتصل بالعقل وما يتفرع عنه؛ لأنّ كلّ جواب يظلّ فاقدا لمعناه على مستوى وعي المجيب وخطابه »[1].

بما أن هذه حال الفلسفة التي انطلق منها " مايير " أثناء تأسيسه لمشروعه الفكري الجديد، فإن ما تمّ التركيز عليه هو التأكيد على ما آل إليه أمر الوعي والخطاب. [2].

هكذا يفتح هذا الفيلسوف مجالا واسعا على الفكر بإدخال وتقنين ما يسميه " الاستشكالية "، فخلافا للتقسيم التقليدي للمشكلات بين ما هو قضائي و ما هو استشاري وما هو استدلالي، يقترح تصنيفا وفقا لدرجة الاستشكال في المسائل المثارة، بذلك تجد البلاغة نفسها وقد زجّ بها في وحدة أكبر، هذا إن لم تكن هي ذاتها هذه الوحدة مشكّلةً بذلك فكرا يكون التفضيل فيه للطموح المؤسس والشامل، وطموح " علم الاستشكال "

---

[1] – محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، فريق البحث في البلاغة والحجاج – أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم – ، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية – تونس1 – ، كلية الآداب، منوبة، تونس، ص 388،389.

[2] – نفسه، ص 389.

– حسب مايير – هو الخروج من هذا البديل الزائف الموروث من " أفلاطون " (Aflaton)، الذي لم يعرف حتى " أرسطو " (Aristotelês) كيف يتفاداه تماما، وبالتالي جعل البلاغة وخطابها مجرد مرحلة توقُّعٍ بسيط لقضية قابلة لأن يُبرهن عليها، وشيئا مهملا في إطار البحث عن الحقيقة، فأوجد نفسه بقوة وبصورة أصيلة، في الفكر المؤسس للحداثة الراغبة في بناء عقلانية لا تبالي بفكرة الحقيقة بتجديد المنهج الذي لا غنى عنه[1].

فكانت انطلاقة " مايير " في دراسة البلاغة والحجاج من جدلية اللغة والمعنى، فالحجاج في نظره مرتبط ارتباطا وثيقا بالكلام وخاصة " الحوار " وما يحويه ويثيره من تساؤلات جدلية تدفع إلى الحجاج دفعا، ثم يؤكد في الوقت نفسه أنّ الحجاج يشمل جميع ضروب الخطابات والنصوص الشفوية والمكتوبة التي يقصد منها حمل المتلقين على تبنّى مواقف معينة وتجسيد ذلك الاعتقاد على صعيد الواقع من طريق اجتهاد المحاججين في طرح قضاياهم وتساؤلاتهم الوجودية التي لا تخصهم وحدهم، وهو يؤكد في هذا المجال على البعد العقلي اللغوي في الحجاج. وأثناء تأكيده على هذا البعد الحجاجي الراسخ في اللغة عامة والبلاغة خاصة، ذهب بعيدا جازما بأنّ كل شيء في العصر الحديث قد أضحى تواصلا. ومن هذا التصور يتضح أنه اعتبر كل بلاغة حجاجا والعكس صحيح؛ لأّن ارتباط الحجاج بالبلاغة بيّن وأكيد، بما أن البلاغة هي التّفاوض حول المسافة، فإن ذلك يترتب عليه أن تنهض لغويا بما يضمن تحديد أشكال الإقناع والتأثير بحسب مقصد المحاجج ومقتضيات المقام، ولابد أن تكون دراسة علاقة البلاغة

[1] – فليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح ناحي الغامدي، ص 106.

بالحجاج من خلال تحليل فكرتين أساستين، الأولى " بنية الصّور البلاغية "، والثانية " العلاقات الخطابية "[1].

وعليه، أدّى انفتاح تصورات " ميشال مايير" على الفلسفة واللغة ونظرية المعنى أساسا إلى طرح نظرية ذات قواعد ثلاث: الأولى تداولية من حيث بحثها في ظروف إنجاز الخطاب وآلياته، والثانية تأويلية من حيث علاقة السؤال بالجواب وما يتطلبه من تأويل لمكونات كل منهما وروافده، والثالثة بلاغية من حيث ربطه إياها بالحجاج، وفتحه لهذا الأخير على مختلف وسائل الاتصال الكائنة وكذا الممكنة[2].

وغير بعيد من بلجيكا لمع نجم المدرسة الإنجليزية بزعامة الفيلسوف " ستيفن تولمان " (S.Toulmin) من خلال كتابيه: « وجوه استخدام الحجاج » (1958م)، و« استعمالات الحجة » الذي أصدره سنة 1959م معبرا فيه عن عملية التحديث التي عرفها المجتمع الإنجليزي آنذاك في أوروبا. أمّا كتابه الأول فقد راعى فيه جوانب كثيرة منها العلاقات التي تربط الحجاج بالمنطق[3].

وقد كان عمله في الغالب ذا بعد كشفي حاول من خلاله رسم خطوط الحجاج، التي تستند في جزء كبير منها إلى التساؤل عن وضع المنطق في شكله الصوري، كما لم يكن من السهل الوصول سريعا إلى فهم هذا التعارض الذي هو سبب في عدم فهم تفكير " تولمان"، والواقع أن الحجاج والمنطق عنده ليسا في حالة تصادم، وهذا على خلاف ما قد توحي به القراءة السّطحية لمفاهيمه، فهو لم يلق بالحجاج خارج المنطق، وإنما بالأحرى قام بتحرير المنطق من تشكيله الرياضي ودفعه باتجاه الحجاج، أي أنّه لا يهاجم

---

[1] – محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر– ، ص135، 136.

[2] – نفسه، ص 138.

[3] – عليوي أباسيدي، الحجاج والتفكير النقدي – مقاربة تداولية منطقية معرفية نقدية – ، ص22 ؛ عبد الله صولة، الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة – لبرلمان وتيتيكان، ص348.

المنطق، بل المنطق الصوري الرياضي، وفي هذا النطاق يمكن فهم نظريته في الحجاج كإعادة صياغة وتجديد للمنطق، ثم من وجهة النظر هذه، ليس من المبالغة القول بأّن ما قام به " تولمان " يعد نظرية موسعة للمنطق، وللتحديد أكثر، يمكن القول بأن عمله كان محاولة لتحويل المنطق من علم صوري إلى علم ممارسة. فهو يأسف لكون المنطق تطوّر بمعزل عن النقاش العادي، وأن من المحزن حدوث ذلك الفصل بين المنطق الرياضي ومحاولات المتكلمين اليومية في الإثبات وتقديم الأسباب والدوافع لآرائهم ومواقفهم المختلفة، وبالتالي قادت صياغة المنطق في شكل رياضي إلى نتيجتين سلبيتين: الأولى حرمته من جزء كبير من قدرته على التطبيق، والثانية أدت به من الناحية الإبستيمولوجية إلى طريق مسدود[1].

إلا أن التأثير الأكثر سوءا، الذي سببه اختزال المنطق الصوري كان على الحجاج، فالمنطقية التي لا تعترف إلاَّ بالقياس التحليلي كحجة مبنية بصورة جيدة تقرر ضمنا بأن الحجج الأخلاقية، والجمالية، والعلاقات السببية، والأقوال عن الذهنيات الأخرى، وعن الأشياء المادية وعن الذكريات، وكل شكل للحجاج العملي واليومي ليس مقنعا أو مرضيا، وهكذا فهي ناقصة، لأنها إما جوهرية وليست تحليلية، أو غير صالحة قطعا، أو مؤسسة لضامن وليست مستخدمة له، أو معبّر عنها بمصطلحات ليست منطقية، أو محتملة وليست لازمة، كما اعتقد أنّ التطبيق الجوهري لمصطلحات الكيفية أو محددات الكم، التي لم يعط لها الاهتمام بسبب ترجيح كفة القياس التحليلي في المنطق على أنواع الحجج الأخرى، جعل منها غير لازمة ولا محتملة، بل وغير مستحيلة، وبسبب هذه الطبيعة المتناقضة كان يجب تنحيتها لترتبط بالميتافيزيقيا[2].

---

[1] – فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح ناحي الغامدي، ص 59، 60.

[2] – نفسه، ص 68.

من هنا أمكن لـ " تولمان " القول بعدم ملائمة المنطق الصوري لتحليل الخطاب، ومن ثمة اعترض منذ بداية أبحاثه على المنطق الصوري المعتمد على الرياضيات الخالصة، وركز على مفهوم « الحقل الحجاجي » الذي أطلق عليه " بيرلمان " « المستمع الكلي » وهو يشرح فكرة ملاءمة الخطاب الحجاجي للواقع الإنساني[1]، إن مصطلح الحقل ينفتح على مجموعة من الأسئلة مثل: هل تعتمد الحجج على حقلها في بعض الوجوه وتستقل عنه في وجوه أخرى؟ على الرغم من التنوع الواضح لحقول الحجاج، هل يمكن استخراج طريقة مشتركة لجميع الحجج؟ هل يوجد حقل رئيس، وهو المنطق الصوري القادر على توليد معايير تقييم عامة للحجاج؟ هل توجد حقول – خاصة حقول المنطق الرياضي وعلوم الفيزياء – أكثر عقلانية وأكثر معرفية من الحقول الأخرى كالقانون، والأخلاق والجماليات؟ لقد كان الجزء الأساسي من كتابه لمناقشة هذه الأسئلة، واتخذ منها موقفا عاما، هو أنه على الرغم من وضعه لنموذج يمثل الإجراء الذي يراه مشتركا للحجج، إلا أنه يرفض هيمنة المنطق الصوري، خاصة على المستوى الإبستمولوجي[2].

أمّا فيما يخصّ نموذج التدليل، فإنّ " تولمان " انطلق من فرضية أنّ الحجة شيء ديناميكي نشيط، وهذا يتعلق بعملية تتبع طريقة عمل وانتشار وآلية ترتيب خاصة يمكن تمثيلها بنموذج تحليل يمثل تطورا متدرجا وليس شكلا ثابتا، والمخطط الآتي يقدم الشكل المركب الأكثر اكتمالا لنموذج الحجة / التدليل لدى " تولمان "[3]:

---

[1] – عليوي أباسيدي، الحجاج والتفكير النقدي – مقاربة تداولية منطقية معرفية نقدية – ، ص 26.

[2] – فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح ناحي الغامدي، ص 62.

[3] – نفسه، ص 69.

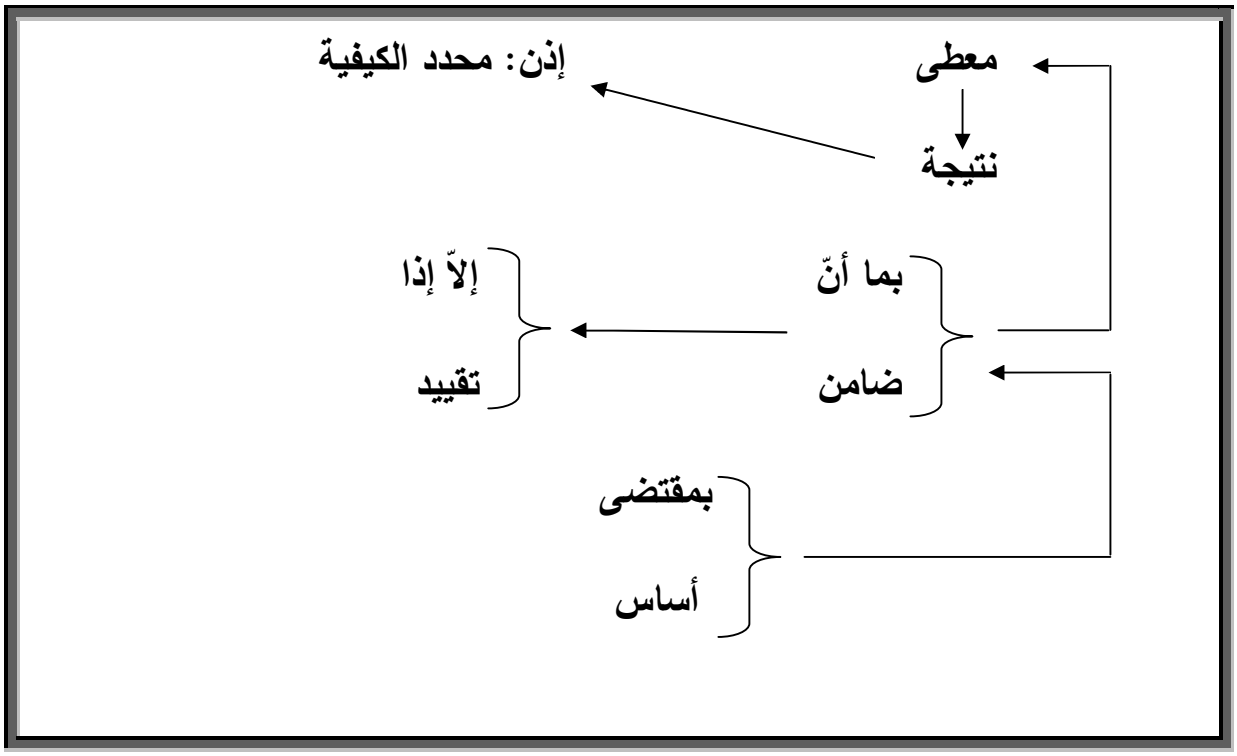

المخطط رقم – 01 –

بناء على ما هو وارد في المخطط يمكن اعتبار الحجة هي الترتيب المنظم لمعطيات أثيرت من أجل تدعيم نتيجة ما، هذه النتيجة يمكن أن تكون موضوعا لمحدد هيئة، ويتم المرور من المعطيات إلى النتيجة بفضل الضامنات، التي يمكن أن تقابل بعض القيود، هذه الضامنات بدورها تعتمد على أساس[1].

[1] – السابق، ص نفسها.

عموما، تمكّن " تولمان " من تأسيس نظريته في إطار البحث الحجاجي على العناصر الآتي ذكرها[1]:

- التأسيس للعقلانية الحجاجية.

- التأسيس للمجال الحجاجي ضمن ما سمي " بالحقل الحجاجي ".

- وضع نموذج للتدليل وسم بـ " نموذج التجانس الحجاجي ".

بناء على كل ذلك، تمّ تقسيم الحجاج المعتمد على أفكار « تولمان » إلى اتجاهين اثنين[2]:

- اتجاه الأرسطيين الجدد: يهتم بدراسة وضعية المتكلم في سياق تاريخي محدد.

- اتجاه إبستمولوجي (معرفي): يهتم بدراسة الخطابة الحجاجية كظاهرة من الظواهر الإنسانية.

أمّا المدرسة الثالثة، ورغم أنّها أكدت على ضرورة عودة الدراسات الحجاجية المعاصرة إلى الفلسفة، إلاّ أنها لم تلق ترحيبا كبيرا، حيث ظهرت في شمال أمريكا (الو.م.أ و كندا) مع الفيلسوف والمنطقي " أرن نايس " (A.Naisse) من خلال أعماله التي نشرها في إنجلترا سنة 1953م[3]، مطّورا من خلالها قواعد قيادة التفاعلات الجدلية الحوارية بالتركيز على مرحلة خاصة سماها « المرحلة المركزية للحوار »، وقد وضح مفهوم الجدلية التفاعلية للحوار في تعريف خاص، إذ اعتبره عملية تناظر بين طرفين، يتم فيها القيام بعمليتي البحث والتلفظ، وهي نسقيه للتواصل الذاتي الشفهي بين طرفين، يكون الهدف منه تذويب موضع الخلاف أو سوء الفهم بينهما، مع العمل على إخضاع دعاوى

---

[1] – علوي أباسيدي، الحجاج والتفكير النقدي – مقاربة تداولية منطقية معرفية نقدية – ، ص 24.

[2] – نفسه، ص 25.

[3] – نفسه، ص 22.

المشاركين لعملية الرفض أو القبول، لهذا فإن " نايس " اعتبر اللغة مسارا للسياق الخاص، فمجموعة من الألفاظ حسب فهمه تحدد معنى خاصا لحالة من الحالات، وهو ما سمي عنده « الفرصة الوحيدة للتعبير » فحينما أتكلم فإنني أعبر عن بعض الأشياء بشكل مختلف وفي سياق مختلف؛ لذلك فإن الألفاظ لها معنى يستعمل من طرف الأفراد في سياق خاص. عمليا ما هو مهم وملائم في العملية الحجاجية هو عملية فهم المصطلحات المستعملة في وضعية محددة، فالمعاني هي بناء لعملية تواصلية بين مستعملي اللغة، فما كان على " نايس " إلاّ التركيز على مفهوم « التدقيق اللغوي » بأن عدّه آلية للإبداع الخاص وبنية للسانيات خالصة، أيضا عمل على وضع منهجية لإنتاج مجموعة من التعابير، وكذا منهجية لتدقيقها، كي تساعد المشاركين في إنجاز الحوار الحجاجي، وفهم محل الاختلاف بينهما بهدف الوصول لحلّ معقول ومقبول للنزاع الذي بينهما[1].

إذا كان الحجاج عند الغرب قد عرف اهتماما واضحا في بلاغتي التأويل والتلقي، إلا أن تأصّله كمبحث أساسي في البلاغة المعاصرة قد برز مع بحوث المدرسة البلجيكية، أولا مع " شيم بيرلمان " وزملائه، وثانيا مع " ميشال ماييز "، ضف إلى ذلك جهود كل من الإنجليزي " ستيفن تولمان " والأمريكي " أرن نايس "[2]، أمّا عند العرب فإن الجهود البحثية المعاصرة في الميدان ذاته قد نشطت على مستوى ثلاث مدارس أيضا، حيث جُعلت الأسبقية التاريخية في تطوير الدرس البلاغي عامة وبلاغة الحجاج خاصة للمدرسة المصرية باعتبارها رائدة للنزعة الإحيائية والتطوّرية إن على مستوى الإبداع الشعري والنثري أو على مستوى التنظير النقدي والبلاغي[3].

---

[1] – السابق، ص 27، 28.

[2] – محمد سالم محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر– ، ص 101.

[3] – نفسه، ص 217.

ولعل المتتبع لحركة البحث في البلاغة المعاصرة داخل هذه المدرسة يجد أنّ الكتاب الذي صدر سنة 1992م بعنوان « بلاغة الخطاب وعلم النص » لصاحبه "صلاح فضل"، يعدّ من بواكير المصنفات في حقل الدراسات النقدية العربية التي اهتمت ببلاغة الحجاج[1]، حيث يقول صاحب الكتاب: بما أنّ « بلاغة الخطاب الحديثة – سواء أكانت بلاغة أدبية أو برهانية – فإّن رصد الظواهر وتفسيرها، ومحاولة الوصول إلى الأبنية العقلية والفكرية التي تعتمدها، والوظائف الفنية المنوطة بها يتجاوز مجرّد الحكم بالقيمة؛ لأنه يعمد إلى تحليل الواقع والكشف عن مراتبه ومكوناته، ودرجة تفاعله الخصب مع السياقات الثقافية والإنسانية التي يندرج فيها »[2]. وينبغي الإشارة إلى أنّ أعمال الباحث قد استفادت من جهود المدرسة البلجيكية التي جعلت من دراسة الحجاج ومتعلقاته مبحثا لغويا بلاغيا فلسفيا إيبستمولوجيا، أسهمت فيه أغلبية فروع العلوم الإنسانية والمكونات الثقافية والحضارية في مجتمع معين، لأنّ العملية الحجاجية ليست مجرد إجراء بسيط، بل هي أعقد من ذلك بكثير[3].

ويضيف " صلاح فضل " – بناء على رؤى المدرسة البلجيكية – ضرورة اشتمال التحليل الحجاجي على كل ما له علاقة بجميع أقسام المتلقين من سامعين وقراء ومشاهدين، إذ بذلك تتجاوز البلاغة الجديدة بعض مظاهر الجمود في البلاغة القديمة التي كانت تركز تركيزا بالغا على هيئة الخطيب وعناصر الإثارة المتعلقة بالمشافهة، وبالتالي فإّن هذا الرأي قد لفت النظر إلى أنّ مقياس التأثر والاقتناع من قبل المخاطبين ليس المعيار الوحيد لنفاذ الخطاب ونجاعته، إذ ثمة أبعاد عقلية ومنطقية لابد من الاهتمام بها في الأبنية الحجاجية[4]؛ « لأنها تتوجّه إلى قراء لا يخضعون للإيحاءات

---

[1] – السابق، ص 220.

[2] – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 148.

[3] – محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر –، ص229.

[4] – نفسه، ص نفسها.

و[الضغوطات] والمصالح والأهواء، وعندئذ يتضح لنا أنّ هذه التقنيات البرهانية تبدو على كل المستويات، سواء أكان الأمر يتعلق بنقاش عائلي، أو بحوار جدلي في وسط مهني متخصص، أو بمحاجة إيديولوجية »[1].

من الواضح أنّ هذه النظرة النقدية تزاوج بين التجريد الفلسفي وبين النزعة العلمية، وذلك في سعي لاستخلاص قوانين أو مبادئ عامة تفيد في تعميق الحجاج من جهة، ودراسته دراسة توظف أغلب العناصر البلاغية سواء منها القديمة أو تلك التي دخلت في الحقل البلاغي بعد تطور وسائل التواصل[2]، مثل تقنيات العرض والتقديم التي لقيت نجاحا واضحا في اتجاه معين، والذي أدى بها إلى أن تنحصر في المجالات البلاغية، اعتمادا على تصوّرها باعتبارها فن الكلام والكتابة الجيّدين؛ أي فن عرض الفكر بطريقة شكليّة محضة[3].

إنّ البحوث المنجزة تحت مظلة الفلسفة أوّلا، وعلمي الاجتماع والنفس المعرفيين ثانيا، منحت بلاغة الحجاج آفاقا واسعة، و أوثقت أواصر اتصالها بمختلف المجالات المعرفيّة الحافة بها، كما أنّها لفتت نظر أعضاء المدرسة البلجيكية المتأخرين إلى ضرورة الأخذ ببعض معطياتها في بحوثهم النظرية والتطبيقية، وهو ما بدا بيّنا في دراسات " ميشال مايير " (M.Mayer) المتعلقة بالمنطق واللغة والحجاج، والإشكالات البلاغية المعاصرة بصفة عامة[4].

وعليه، إنّ الحجاج عند " صلاح فضل " ممثل المدرسة المصرية ورد في ثنايا أبحاثه، إذ عرض فيها إلى عدد من المفاهيم المتداولة بين أعضاء المدرسة البلجيكية،

---

[1] – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، ص99.

[2] – محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر–، ص 230.

[3] – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، ص100.

[4] – محمد سالم محمد الامين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، – بحث في بلاغة النقد المعاصر–، ص234.

التي يبدو متأثرا بها وبروادها، إلاّ أنّ ذلك لم يغلب على رأيه، حيث ظهر جليّا تميّزه ببعض الإضافات الخاصة به[1].

على حين تكاد تكون " المدرسة التونسية " الأشهر من حيث تداولها للبحث في بلاغة الحجاج، وكذا التوسع في موضوعاته واستعمالاته، ولعل الحديث عن جهود هذه المدرسة سيتركز على علمين من أعلام هذه الدّراسات لما لهما من باع واسع وزاد زاخر فيها[2]، أمّا الأول فهو الباحث " حمادي صمود "، إذ يعتبر من الروّاد العرب المعاصرين الذين تبنوا البلاغة بمفهومها الواسع – العربية والغربية، القديمة والمعاصرة – خيارا بحثيا منذ فترة السبعينيات، خاصة فيما تضمنته أطروحته التي طبعت في شكل كتاب بعنوان « التفكير البلاغي عند العرب – أسسه وتطوّره إلى القرن السادس– »، والتي عدّت " مشروع قراءة " كما وصفها غيره[3].

وتتحدد مرحلة اهتمام صمود بالدراسات الحجاجية مع الفريق البحثي الذي شُكّل لتقصي بلاغة الحجاج في التقاليد الغربية، الذي نشر أوّل أعماله سنة 1998م[4].

وخلاصة أفكاره بناء على هذه الدراسات أنّ الحجاج خاصة، والبلاغة المعاصرة عامة، لا يكتفيان بدراسة آليات التأثير والتأثر، بل يتجاوزان ذلك لدراسة التغيّرات الطارئة، وهذا التجاوز قائم على ثنائية النص والخطاب في علاقتهما بالواقع وبالمخاطبين من جهة، وعلاقتهما بالثورة التقنية التواصلية السريعة الخطى من جهة ثانية[5].

---

(1) – ليلى جغام، إستراتيجيات الحجاج في التراث العربي– مقاربة تداولية في كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ – ، ص55.

(2) – نفسه، ص نفسها.

(3) – محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر– ، ص 272.

(4) – نفسه، ص 276.

(5) – نفسه، ص 281،282،283.

والباحث الثاني " عبد الله صولة " الذي اشتهر بأطروحته في الدّكتوراه الموسومة بـ « الحجاج في القرآن الكريم – من خلال أهم خصائصه الأسلوبية – »، التي طبعت لأول مرة سنة 2002م، وقد نوقشت بكلية الآداب بمنوبة سنة 1997م بإشراف الدكتور " حمادي صمود "، ومحتواها المزاوجة بين الحجاج والأسلوبية في غير تنافر، على الرّغم من الشّبهات الكثيرة والمزالق الهائلة التي تحفّ بالموضوع، حيث حاول أن يجمع في باب تنظيره للحجاج ضمن أطروحته السالفة الذكر عددا من المفاهيم التي أسندت لهذا المصطلح، وبدا تعامله مع هذه المصطلحات تعامل الحاذق الفاهم والعارف بمدلولاتها، والمتشبع بمضامينها، كما حلل ونقد وربط المفاهيم بغيرها مما تداخل معها، وإن حدث تعارض فيما بينها سعى إلى تبيان وجهه هذا التعارض معلقا ومعقبا تارة وشارحا تارة أخرى، وعلى المستوى نفسه سار جانب التطبيق في الأطروحة، إذ تمت معالجة مضمون كتاب الله بحذر وتركيز شديدين من وجهة حجاجية أسلوبية منتقلا فيها من المعجم (المفردات) إلى النحو (النظم) ثمّ إلى البلاغة (البيان)، فانقسمت الدراسة بذلك إلى ثلاثة أقسام: الحجاج على مستوى الكلمة، بعدها الحجاج على مستوى التركيب، ثم الحجاج على مستوى الصورة[1].

وعليه، حاول الباحث من خلال هذه الأطروحة رسم إستراتيجية متكاملة لدراسة هي الأفضل والأوسع بشهادة الكثيرين ممن عرضوا لها بالتثمين والتقييم، وبالتالي قد وضع الباحث خطّ سير وأرضية متينة لمثل هذه الدراسات، وكذا لفت الانتباه إلى العديد من مجالات البحث التي ما تزال خصبة لهذا النوع من الأبحاث، خاصة وأنّ الحجاج في

[1] – صابر الحباشة، التداولية والحجاج – مداخل ونصوص – ، ص 51،52.

الخطاب القرآني ينتهج أوضح الطرق، ويوظّف أرقى الآليات ليحقق أنجح الفوائد وأسمى الغايات، بما أنّه خطاب مقدس الدلالة، رفيع المستوى[1].

أمّا الباحث " محمد العمري " فهو من رواد " المدرسة المغربية "، اهتم بالبلاغة العربية القديمة باحثا في نصوصها الإبداعية الشعريّة والنثرية وما يتصل بهما من خطابات نقدية، عن علاقات التداخل والترابط بين هاتين الصناعتين ودورهما في بلورة مفهوم البلاغة العربية، واستعان في عمليته البحثية بجهاز مفاهيمي يشير إلى وعيه بمحاور البلاغة المعاصرة، خاصة بلاغة الحجاج، وأعرب عن ذلك الوعي كتابه « في بلاغة الخطاب الإقناعي» الصادر سنة 1986م، فضلا عن ترجماته المختلفة لكل من جون كوهين (1986/J.K م)، وهنريش بليث (1989/H.B م)، وفاركا كبيدي (1992/V.K م)، ومارسيلو داسكال (1997/M.D)[2]، وإدارته للعديد من المجلات المتخصصة، ومن أهم كتبه في البلاغة المعاصرة « البلاغة العربية – أصولها وامتداداتها –» و«الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية »، ويتلخص هذا الأخير في خمسة مستويات تشكل الإطار الشامل الذي استوعب الجهود البلاغية القديمة، أمّا كتاب « البلاغة العربية – أصولها وامتداداتها– » فهو كتاب تاريخ جديد للبلاغة العربية، وبوصف أدق هو تتبع لأصولها وروافدها، ومحاولة قراءتها قراءة جديدة يتزايد الإلحاح عليها يوما بعد يوم بما أنّها تراث لا يزال ممتدّا في الراهن بقوة نظرا إلى عمق أسئلته[3].

---

[1] – ليلى جغام، إستراتيجية الحجاج في التراث العربي – مقاربة تداولية في كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ – ، ص61.

[2] – نفسه، هامش ص62.

[3] – محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر – ، ص255،258،259.

وبالتالي حاول الباحث من خلال هذه الأعمال أن يقيم جسرا تحاوريا بين البلاغة العربية القديمة والبلاغة المعاصرة، بتوظيف عدد من الآليات التي تصمن له ذلك، حيث عرض لنخبة من بلاغي العرب القدامى موظفا مقولاتهم في عدد من القضايا التي كانت محط اهتمام بما يرتبط بقضايا الحجاج والجدل والخطاب، ولم يكن عرضه لها على سبيل الذكر فحسب، إنما لمقابلتها بتمثيلاتها في البلاغة المعاصر، وقد وفق في ذلك – بشهادة المختصين – إلى حدّ بعيد[1].

أيضا، من رواد المدرسة المغربية المفكر " طه عبد الرّحمن "، وعَرْضُ مجمل آرائه وأفكاره يكون بالحديث عمّا جاء في كتابيه «في أصول الحوار وتجديد علم الكلام» و« اللسان والميزان أو التكوثر العقلي»، إذ أقام الأول على ضرورة الاستفادة مما تركه السلف من تراث، ووجوب إقامة حوار دعامته التشبع بمعرفة ما هو تراثي ومعالجته وفق آليات حديثة، وهو في كل ذلك يربط حديثه عن الحجاج بحديث سابق له عن مصطلح « الحوارية»، فجعله – أي الحجاج – منهجا من مناهجها، إذ هي تعتمد على الاستدلال، والحجاج نوع من أنواع الاستدلال، أو هو وصف له كما أشار إلى ذلك قائلا: « إذا جاز أن " المحاورة " تستند إلى نماذج تنتمي إلى المجال التداولي، جاز معه أنها تسلك من سبل الاستدلال ما هو أوسع وأغنى من بنيات البرهان الضيقة »[2]، ثم يضيف شارحا مقصده ومدللا على مراده: « كأن يعتمد " المحاور " في بناء النص الصور الاستدلالية مجتمعة إلى مضامينها أوثق اجتماع، وكأن يطوي الكثير من المقدمات والنتائج، ويفهم من قوله أمورا غير تلك التي نطق بها، وكأن يذكر دليلا صحيحا على قوله من غير أن يقصد التدليل به، وأن يسوق الدليل على قضية بديهية أو مشهورة هي في غنى عن

---

[1]– ليلى جغام، إستراتيجيات الحجاج في التراث العربي – مقاربة تداولية في كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ – ، ص65.

[2] – طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص46.

دليل للتسليم بها »[1]، ثم يستنتج ويقيّم قائلا: « كل ذلك لأنه يأخذ بمقتضيات الحال من معارف مشتركة ومعتقدات موجهة ومطالب إخبارية وأغراض علمية، وكل سبيل استدلالي يكون هذا وصفه، فهو سبيل احتجاجي لا برهاني، يقيد فيه المقام التراكيب، ويرجّح فيه العمل على النّظر »[2].

وفي كتابه الثاني يواصل تفصيل ما أقر به في كتابه الأول، حيث يجمع بين الحجاج والخطاب في باب واحد مبيّنا العلاقة بينهما بقوله: « حقيقة الخطاب ليست هي مجرد الدخول في علاقة مع الغير، وإنما هي الدخول معه فيها على مقتضى الإدعاء والاعتراض، بمعنى أن الذي يحدد ماهية الخطاب إنما هو" العلاقة الاستدلالية " وليس العلاقة التخاطبية وحدها، فلا خطاب بغير حجاج »[3]، ثم واصل الحديث فيما يخص مراتب الحجاج ومقاييسه وأنواع الحجج، وكل ما اتصل به من مصطلحات ومفاهيم ، عارضا إيَّاها بتفصيل مسهب وشرح واف لكل طالب معرفة ومسترجي فائدة[4].

خلاصة هذا العرض الموجز تحيل إلى أن إعادة قراءة التراث البلاغي- الغربي والعربي على حد سواء – في ضوء المقولات النقدية المعاصرة، كانت متفاوتة بحسب الروافد المتوفرة من مقتضيات الخطابين الأدبيين النقدي والإبداعي- شعرا ونثرا – في كل فترة[5].

---

[1] – السابق، ص نفسها .

[2] – نفسه، ص نفسها.

[3] – طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 226.

[4] – ليلى جغام، إستراتيجيات الحجاج في التراث العربي – مقاربة تداولية في كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ – ، ص 66 – 69.

[5] – ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر – ، ص 217.

ثانيا / أشكال الحجاج في النظريات الحديثة:

- **تمهيد:**

إن بناء القول الحجاجي يتشكل من طريق تفاعل مكوناته الداخلية من استدلال وآليات ومفاهيم، ومكوناته الخارجية من وقائع إنسانية وتجربة وأسباب ومسببات، وهي عناصر ضرورية لكنها غير كافية لفهم وتحليل القول الحجاجي؛ ذلك لأن الحجاج يطرح إشكالات أخرى ترتبط بطبيعة أشكاله وأنواع حججه وطرق توظيفها، وفي هذا الإطار تكون الحاجة ماسة إلى معالجة كل تلك القضايا معالجة جادة يكون الهدف منها الوقوف على الحجاج كبناء نظري خالص من أجل تحليل إجرائي دقيق ترومه مراحل البحث اللاحقة[1].

إن عملية تشكيل الدليل أو توظيفه في كلام ما تسمى " استدلالا "، وبما أن " الاستدلال ": « طلب معرفة الشيء من جهة غيره»[2]، فإن هذا المفهوم يفترض معطيات ثلاثة على الأقل، هي الدليل المطلوب، والنتيجة، وعملية الاستدلال التي تمثل العلاقة الرابطة بينهما(الدليل والنتيجة) [3].

كما لا يخلو هذا التحديد الأولي من عموم شامل، فهو يضم الصور " الاستدلالية الصناعية " التي يتكفل بها المنطق الصوري، بقدر ما يضم أبسط ضروب الانتقال من حمرة الوجه إلى الخجل، ومن تلبد السماء بالغيوم إلى هطول المطر (صور استدلالية

---

[1] – قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، دار عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، دار جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012م ، ص 43.

[2] – أبو هلال العسكري، كتاب الفروق، تقديم وضبط وتعليق وفهرسة: أحمد سليم الحمصي، دار جروس برس، طرابلس، لبنان، ط1، 1994م، ص79.

[3] – شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديد المتحدة للنشر، بيروت، لبنان، توزيع دار أويا، طرابلس، ليبيا، ط2 ، 2010م ، ص 14.

طبيعية). من البين أن في هذا العموم والشمول شيئا من الصواب، وأيضا كثيرا من دواعي الخلط والحرج، فهل تستقيم التّسوية بين انتقال ثبّته العرف في مقام ثقافي واجتماعي ما، وبين أشكال من القواعد المنظمة التي أُثبتت فاعليتها في ضمان صحة النتائج؟

من هذا التساؤل، يتضح الفرق الأساسي الذي لابد من مراعاته،" فالاستدلال الصناعي" في المنطق والنظريات العلمية والتطبيقات التكنولوجية قائم على وضوح نسبي لعناصر مجموعة الانطلاق ولإجراءات توليد المدلولات، على حين أنّ " الاستدلال الطبيعي " رهين العناصر المستمدة من السياقين المقامي والمقالي عند التخاطب، لكن لا يكون التسليم عموما بأن الإجراءات التي تُمكّن من الانتقال من الدوال إلى مدلولات غامضة تماما أو هي مختلفة تمام الاختلاف عن الإجراءات الصريحة المعتمدة في الاستدلالات الصناعية، وفي الآن نفسه لا يمكن نظريّا، ولا واقعيا اعتبار جميع الاستدلالات برهانية بيّنة بالمعنى التقني المستعمل لدى المناطقة القدماء، ومن هذه الناحية فإن الاستدلال الطبيعي استدلال ثري من حيث المادة التي يجري عليها، ولعله أيضا من حيث تقنياته التي لا يمكن اختزالها في ضرب واحد، لعل المناطقة قد وقفوا عليه وقنّنوه، فجعلوه تقنية صريحة يستغلونها في الحكم على صلاحية الاستدلال من عدمها. وما من بدّ أن رجل المنطق والرياضيات يحلّ ما يعترضه من مشاكل في مجال اختصاصه بحسب تقنيات صريحة تدرب عليها، ولكنه في مخاطباته اليومية – بتنوع مقاماتها وسياقاتها – يستحيل عليه أن يكتفي بأشكال الاستدلال التي تعلمها في مجال اختصاصه، وربما كانت وظيفة الاستدلال، إضافة إلى مادته وطرقه، هي التي تتغير من مقام إلى آخر تغيرا يقتضي تنويع تقنيات الاستدلال بحسب الوظيفة المسندة إليه[1].

[1] – السابق، ص 14، 15، 16.

مما أثبت آنفا، يمكن تفصيل أشكال الحجاج وفق العناصر الآتي ذكرها:

1 - الحجاج المنطقي:

" الحجاج المنطقي " استدلال يحدث فيه طلب الحجة من جهة إعمال للعقل وتنقيب في الفكر[1]، علما أن الحجة هي الدليل الذي يقصد أو الذي يجب الرجوع إليه للعمل به من أجل تحصيل الغلبة على الخصم[2]، ولعل هذا الأخير مفهوم اصطلاحي استمد مضامينه من المعنى اللغوي، إذ ثبت في لسان العرب أن " الحُجَّةَ " سمّيت حجة لأنها تُحَجُّ أي تُقصد، فالقصد لها وإليها[3]، كما أثبت صاحب « كتاب الفروق » هذا المعنى بشرح أدق حين قال: « الحجة هي الاستقامة في النظر والمضي فيه على سنن مستقيم من رد الفرع إلى الأصل، وهي مأخوذة من المَحَجَّةِ وهي الطريق المستقيم (...)، حَجَّ يَحُجُّ إذا استقام في قصده »[4].

بالتالي يكون الحجاج بالمنطق استدلالا مستقيما قسّمه المنظرون إلى مباشر وغير مباشر حسب ما يلي:

أ - **الاستدلال المنطقي المباشر:** هو استنتاج قضية من قضية أخرى - سواء أكانت حملية أم شرطية - دون توسط قضية ثالثة[5]؛ أي الوصول إلى نتيجة من قضية

---

[1] - فتحي الشنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، 1970م، ص 21، 22.

[2] - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 137.

[3] - ابن منظور، لسان العرب، مادة (حجج)، 28/2.

[4] - أبو هلال العسكري، كتاب الفروق، ص 74، 75.

[5] - محمود زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 20.

واحدة (مقدمة) [1]، ويتحقق ذلك وفق طريقين، فأما الطريق الأولى فتقتضي" قواعد التقابل بين القضايا "، وهذه القواعد هي: التضاد، والتناقض، والتداخل، والدخول تحت التضاد[2]، وأما الطريق الثانية فتستدعي" قوانين التعادل بين القضايا "، وهذه القوانين هي: العكس المستوي، ونقيض العكس، وعكس النقيض، ونقض المحمول، ونقض الموضوع [3].

ب – الاستدلال المنطقي غير المباشر: هو استنتاج قضية (نتيجة) من قضيتين أو أكثر (مقدمات)، فإن تم استنتاج قضية من قضيتين يسمى الاستدلال" قياسا "، وإن تم الاستنتاج من أكثر من قضيتين يسمى الاستدلال" استقراء "، والقياس إمّا " حملي" وإمّا " شرطي "، وأما الاستقراء فيكون " تاما " أو " ناقصا "[4].

---

[1] – محمد فتحي الشنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، ص 79.

[2] – ماهر عبد القادر محمد علي، المنطق ومناهج البحث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1985م ، ص 55.

[3] – محمد مهران رشوان، قضايا أساسية في المنطق، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الاردن، ط1، 2011م، ص 201–210 .

[4] – محمود زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، ص 20، 21.

2 – الحجاج الجاهز:

" الحجاج الجاهز " هو استدلال يحدث فيه طلب الإثبات أو التأكيد أو التنفيذ من جهة أبنية لغوية تحمل في كنهها دليل حجيتها، ما يعني أنه استدلال يتميز بكونه يدل على أمر حاضر أو ماثل يتوسل به إلى غيره ليُظهر ما كان خفيا منه إمّا لإثباته وتأكيده، وإما لإفساد نتائج أدلة الخصم من خلاله[1]، وبتعبير آخر هو العينات التي تمثل مدلول اللفظ (الدليل) و خصائصه أحسن تمثيل، إذ ليس في الإمكان إدراك دال اللفظ (الدليل) ذاته إلا بواسطة نماذج تستحضرها الذاكرة[2]، بناء على مقتضيات المقام وما تعارف عليه المحيط الاجتماعي، وعليه تكون النصوص المقدسة من قرآن كريم وحديث نبوي شريف وإنجيل... إلخ، والنصوص الأدبية من نثر وشعر، والأقوال المأثورة من أمثال وحكم، والحقائق التاريخية من أحداث واقعية ماضية وحاضرة، أدلة اصطلح عليها العلماء المحدثون بـ " الحجج الخطابية أو الحجج الجاهزة "[3].

وعليه، الحجاج الجاهز استدلال خطابي غير صناعي ولا طبيعي، يحدث فيه الوصول إلى نتائج ليس من الضروري أن تكون صالحة منطقيا بقدر ما يطلب منها أن تكون ناجحة مستجيبة لأهداف التخاطب والتعامل الاجتماعي بما أنها ذات طابع عرفي[4]، وبالتالي قد يكون الحجاج عينه حجة وبرهانا ودليلا ضمن سياقات متباينة بما أنه يؤدي إلى الإذعان حينا وإلى الاقتناع حينا آخر، أو إلى كليهما في آن واحد ومسلكه

---

[1] – طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 135.

[2] – طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 101.

[3] – عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، ط1 ، 2004م ، ص 537، 538 ؛ محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر – ، ص 131، 132.

[4] – ينظر: شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، ص 16.

في ذلك النفس والوجدان بدل العقل والمنطق[1]، ضف إلى ذلك أن من ذات المسلك قد يتحقق الوصول إلى حجاج مغالط، وآخر جلي التمايز وسم بأنه ساخر.

[1]– ينظر: أحمد أوالطوف، بلاغة الخطاب الحكائي – إستراتيجيات الحجاج في كليلة ودمنة – دار عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، دار جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014م ، ص 10.

3 – الحجاج المغالط:

مما سبق، اتضح أن للحجاج سمات احتمالية، فالبناء الحجاجي مهما كان مدعوما بعناصر فنية بلاغية متعددة تفضي إلى نتائج محددة، فإن العلاقة بين هذه النتائج والحجج تظل غير حتمية وغير ملزمة؛ لأن بمقدور مبدع متفنن آخر أن يمر ببعض « المواضع » الأخرى ليستخلص عكس النتيجة المقررة سلفا، علما أن المواضع– حسب فرضية" أزفالد ديكرو (O.ducrot)"– مجموعة صغرى لها بنية دلالية مخصوصة، وهي مبدأ حجاجي عام من المبادئ التي يستعملها المتخاطبون ضمنيا للحمل على قبول نتيجة ما، فالموضع فكرة مشتركة مقبولة لدى جمهور واسع وعليها يرتكز الاستدلال في اللغة[1].

وهكذا يظل الحجاج منفتحا دوما على القراءة والتأويل وإعادة الصياغة. وإذا كان من اللسانيين من تبنوا الطرّح التداولي اللساني للحجاج والذي يتميز بأنّ أبنيته الكبرى تنسجم فيها النتائج مع المقدمات انسجاما بيِّنا، فإن ثمّة لسانيين آخرين من داخل الحقل التداولي قدّموا نماذج حجاجية تقوم على انسجام ظاهري بين المقولات والمقتضيات، لكن التمعن فيها يكشف عن خطأ الاستنتاجات المقدّمة، ويعمد إلى هذا النمط الحجاجي من يرمون الإقناع المؤقت لجماعة ما بأي وسيلة[2].

بالتأكيد إنّ هذا الحجاج مجانب للصواب أي خاطئ، وبالتالي يصطلح عليه في الأوساط النقدية بـ « الحجاج المغالط »، وهو رديف المصطلح الأجنبي

---

[1] – شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، فريق البحث في البلاغة والحجاج – أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم – إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية – تونس1–، كلية الآداب، منوبة، تونس، ص380.

[2] – محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر –، ص196.

« Fallacies »[1]، حيث جرت العادة على ترجمة هذا المصطلح بـ « السفسطة/Sophisme »[2]، أو « الاشتطاط/الاستدلال الزائف/Paralogisme »[3]، إلا أن " كريستيان بلانتان " (C.Plantin) عندما اقترح مصطلح « المغالطة/ الغلط (Fallacies) » سنة 1990م إنما كان لأسباب ومبررات، فمن جهة يُعتبر المصطلحان « السفسطة » و« الاشتطاط» غير مناسبين تقنيا لكونهما محمّلين بإيحاء منطقي قوي جدًّا، فهما لا يستخدمان للتعبير عن حجة، وإنما يستخدمان تحديدا للتعبير عن استدلال خاطئ، وبالتالي معيب بمقتضي قواعد المنطق، لذلك يكون الاحتفاظ بهما سلبيا بما أنه يحمل اعتقادا مفاده أن المغالطات ليس لها من المنطق إلا طابعه فقط، والحال أن بعضها يمكن أن يكون صوريا والبعض الآخر غير صوري، ويمكن أن ترجع الخاصية المعيبة – ظاهريا – للمغالطة إلى عجز آخر في غير ميدان المنطق، فأصبح كل من المصطلحين السالفين اختزاليين لا يتيحان سوى الإشارة إلى نوع واحد محتمل من المغالطات[4].

وعندما نشر" شارل هامبلن " (CH.Hamblin) كتاب" المغالطات " سنة 1972م، كان يعطي إشارة البدء لدراسة موضوع قديم جدًّا، ولكن بصورة حديثة، حيث اعتبر المغالطة حجة غير صالحة وإن كان لها مظهر الصلاحية؛ أي أنه يرى المغالطة من تعريفها كحجة معيبة[5]، وبالتالي يبقى الحجاج المغالط على اختلاف تعاريفه حجاجا « يقوم على مفارقة الظاهر السليم والباطن الخاطئ، بحيث لا يستطيع اكتشافه إلا الخبراء

---

[1] – جبور عبد النور، سهيل إدريس، المنهل – قاموس فرنسي عربي– ، ص 431.

[2] – نفسه، ص 965.

[3] – نفسه، ص 738.

[4] – فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح ناحي الغامدي، ص72.

[5] – نفسه، ص 72، 73.

المتأنون »[1]، وعليه تكون "المغالطة " ذات مفهوم عام تقتضيه حدود متعددة « فهي حجة تبدو سليمة مع أنها في الواقع ليست كذلك...، أو هي صورة غير صحيحة لحجة ما... أيا كانت مادتها...، أو هي عدم الصحة في التفكير الاستدلالي »[2].

وبما أن هدف الحجاج المغالط جعل السامع ينساق بسرعة إلى نتيجة معينة من طريق الإيهام والتمويه، فمن الضروري أن يكون للطريق ذاتها مظاهر متعددة، يمكن بسطها بناء على معطيات الخطاب المختار حسب ما يلي[3]:

- حجاج المغالطة بالمصادرة على المطلوب
- حجاج المغالطة بتجاوز الحجّة
- حجاج المغالطة بتجاهل المطلوب
- حجاج المغالطة بالعرض
- حجاج المغالطة بالتّركيب والقسمة أو التّأليف والإفراد
- حجاج المغالطة بالاشتراك
- حجاج المغالطة باللّبس
- حجاج المغالطة بالمسائل المتعدّدة
- حجاج المغالطة بالسّلطة

---

[1] – محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في البلاغة النقد المعاصر– ، ص 198.

[2] – محمد مهران رشوان، قضايا أساسية في المنطق، ص95، 96.

[3] – محمد النويري، الأساليب المغالطية مدخلا لنقد الحجاج، فريق البحث في البلاغة والحجاج – أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم – ، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية – تونس1– ، كلية الآداب، منوبة، تونس، ص416 – 445؛ رشيد الرّاضي، الحجاج والمغالطة– من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار–، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، طرابلس، ليبيا، ط1، 2010م، ص19– 39 ؛ محمد مهران رشوان، قضايا أساسية في المنطق، ص114.

- حجاج المغالطة بالاسترحام
- حجاج المغالطة بالإغاظة
- حجاج المغالطة بالتّخويف
- حجاج المغالطة بالتّناقض العملي
- حجاج المغالطة بالتّناقض الأخلاقي العملي
- حجاج المغالطة بما يهوى الجمهور
- حجاج المغالطة الشّخصيّة
- حجاج المغالطة بالجهل
- حجاج المغالطة بالتّجهيل

4 – الحجاج السّاخر:

إذا أُخذت أقوال من يعتبرون الحجاج كلّ الأساليب التي تؤدي إلى إقناع المتلقي بفحوى الخطاب سواء خاطبت العقل أو أثارت العاطفة جاز التحدث عن " الحجاج بالسخرية ".

والواقع أن تعريفات السخرية كثيرة إذ يذهب البعض إلى اعتبارها صورة من الصور المجازية لأنها تُختزل في قول ما هو مختلف عمَّا يُرى. على حين يعدها آخرون شكلا من أشكال استرجاع صدى أفكار أو ملفوظات يريد المتكلم أن يشير إلى تهافتها. ويقدّم " بروندونير" (Berrandonner) تعريفا للسخرية من شأنه أن يقيم صلة وثيقة بينها وبين الحجاج، فهو يعتبرها تناقض قيم حجاجية، فما يسمح بقيام جملة ساخرة عنده، كونها حجة على فرضية ما، وبما أن تناسق الخطاب وتناغمه يفترض ألا يلتقي فضاء حجج الفرضية الواحدة بفضاء حجج فرضية هي مختلفة عنها، اتضح بيسر أن الفضاءين يلتقيان متى كان المقام ساخرا[1].

من الواضح إذا، أنّ الخطاب ليكون ساخرا عليه أن يكون حجاجيا أوّلا، فيكون للكلام ظاهرٌ وباطنٌ، ظاهره حجة تقود إلى نتيجة، وباطنه حجة تقود إلى نتيجة أخرى مناقضة تماما للأولى، إلا أن الإشكال يتمثل في صعوبة التفطن إلى الحجاج والحجاج المضاد في الآن ذاته، فالظاهر يخفي الباطن ولا يسمح له بالانكشاف ما لم يُدرس السياق كله، بعبارة أخرى لا شيء في عبارة « إن صوتك جميل » يحيل على باطنه الساخر ماعدا السياق، ولما كان السياق جملة من العناصر المترابطة، ولما كان على صلة وطيدة بالمقام، اتضح أنّ المتلقي مطالب بالإلمام بكل العناصر المكونة للسياق والإحاطة بكل

[1] – سامية الدريدي الحسني، دراسات في الحجاج – قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم – ، دار عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، دار جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009م ، ص 164.

سمات المقام ليدرك أن العبارة السالفة إنما هي حجة على نتيجة مناقضة تماما للظاهر، والقصد مدى الإزعاج الذي يسببه ذاك الصوت للآخرين[1].

وقبل هذا التحديد المنهجي الحديث، تقلبّت السخرية بين تحديدات مفاهيمية عديدة، وخضعت لمقاربات متنوعة بتنوع التنظيرات التي انبثقت عنها منذ نشأتها الأولى في حقل الفلسلفة الإغريقية، أي انطلاقا من إعادة مساءلتها للحس المشترك مع " سقراط " (Socrat)، ثم انتقالها من مجالها الأخلاقي هذا، إلى البلاغي مع البلاغيين الرومان لتقترن بالمفارقة الدلالية لديهم، وليغدو هذا التضاد بين الفكرة والتعبير عنها مرتكزا لتحديدها بالنسبة للتقليد البلاغي بعد ذلك، مشفوعا بعناصر سياقية وأبعاد مجازية، ثم تطور مفهومها إلى أداة لمواجهة العالم من قبل الرومانسيين لما يسمح به تعددها من عدم مطابقة القول لمعناه، ولما تخوّله من مسافة نقدية تجاه التعاقدات الاجتماعية وضوابط الحوار، لذلك اعتبرت برزخا فاصلا واصلا بين عالم منشود غير متحقق وواقع مفروض، يقوم الساخر فيه بدور إدراك مفارقاته ونقائصه بوصفه مصلحا أخلاقيا. أما السخرية الحديثة فإنها على خلاف سخرية القلب الدلالي التقليدية، إذ تعتبر الانزياح كامنا داخل الملفوظ عينه، غير قائم بالضرورة في لعبة الكلام الواضح ذي الفكرة المضمنة ، ولا في القراءة المحدودة بالمقاصد الواعية للكاتب، على عكس بعض التصورات المعاصرة التي عادت إلى الاستيحاء من البلاغة التقليدية والإضافة إليها، فنتج عن ذلك مقاربات تداولية متباينة، وإن كانت السخرية الفلسفية الانتقادية لم تغب تماما في أكثر التنظيرات[2].

من الجلي، أن هذه التنظيرات تتراوح بين تحديدات متباعدة تعكس تحوّلات مفهوم السخرية وتعدده، وإذا كان من غير الجائز اختزالها في تحديد واحد، فإنها تسمح بالتأكيد باستخراج مكونات ثابتة لهذه الظاهرة منها:

---

[1] – السابق، ص 165.

[2] – أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ص 25.

أ – **المكون الفلسفي للسخرية:** إذا كانت السخرية في المرحلة الإغريقية قد انبثقت من فيض الحوارات الفلسفية و ارتبطت أساسا بالبعد الأخلاقي الهادف إلى إدانة القيم الخاطئة وإعادة النظر في السائد من الأفكار المتداولة، فإنها في المرحلة الرومانية أصبحت أحد محاور اهتمام الحقل البلاغي[1].

ب – **المكون البلاغي للسخرية:** يقوم هذا المكون على النظر إلى السخرية بوصفها تقنية خطابية مبنية على إثبات الشيء ونفيه، أو التعبير عن القول بضدّه، من هذا المنظور،السخرية تجمع بين التعريض، أي الأداة التي لا تصرح بقول شيء مع أنها تلفت الانتباه إليه، والقلب الدلالي المستعمل للكلمة بالشكل المناقض لمعناها الحقيقي والتقنيتان تمكنان الخطيب من إنكار ما أثبته لأنّ النفي ظاهر في التعريض وخفي في الثانية[2].

ج – **المكون الحجاجي للسخرية:** إن خصائص التعدد الصوتي والتفنيد والتضمين، إضافة إلى الطبيعة المفارقة للسخرية المثبتة لظاهر كلام يبطله باطنه، سواء أكانت نفيا للشيء بإيجابه، أم ذمًّا في معرض المدح، أم هزلا يراد به الجدّ، أم تهكما، أو كل ما يسمح به الحجاج غير المباشر بتعبير" بيرلمان "، أشكال بلاغية مضمرة لنية التحاج بصيغ متفاوتة الأثر لانبنائها جميعها على عنصر المواراة؛ الشيء الذي يوحي بكون السخرية مسافة غير قابلة للتفاوض، ويدعو إلى التفكير بكيفية اشتغال البنية التواصلية الساخرة[3].

إذن، يمكن إجمال أشكال الحجاج حسب آراء المدارس المعاصرة والنظريات الحديثة وفق المخطط التوضيحي الآتي ذكره:

---

[1] – السابق، ص 26.

[2] – نفسه، ص نفسها.

[3] – نفسه، ص 30.

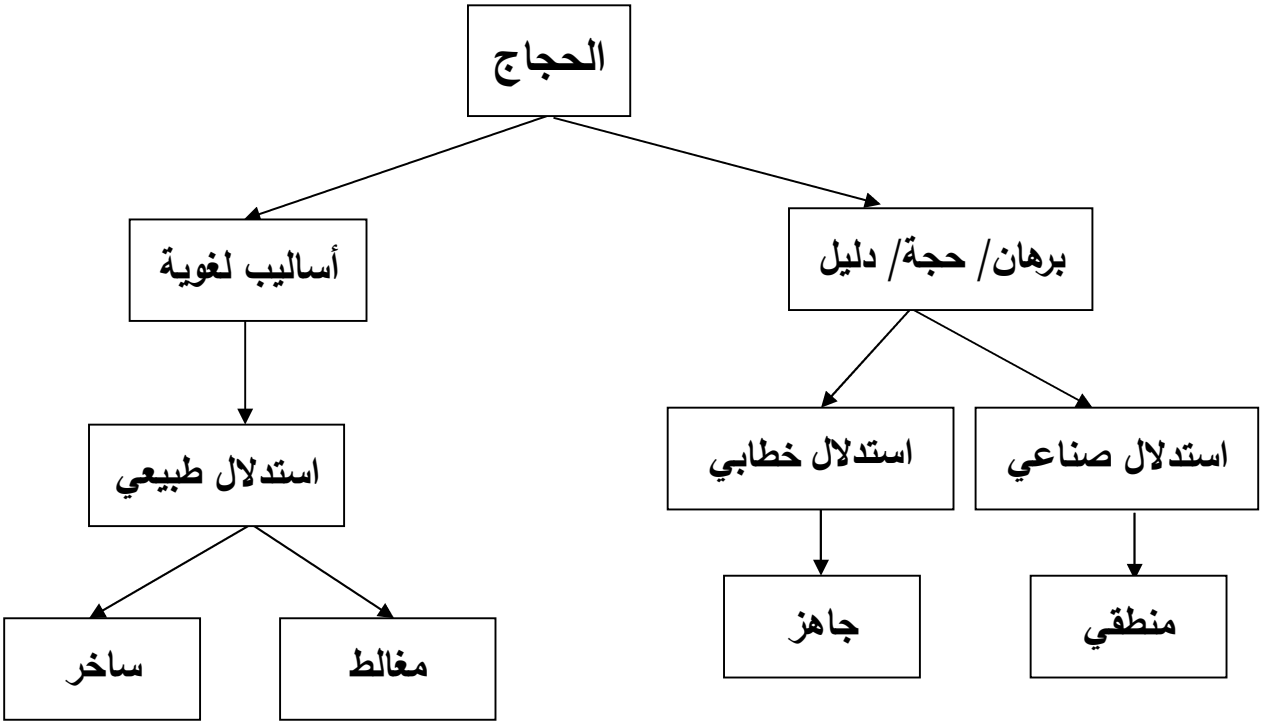

المخطط رقم – 02 –

ثالثا / فن المقامة في الأدب العربي:

1 – مفهوم المقامة لغة واصطلاحا:

المَقامات جمع مَقامَة ، والمَقامة في اللغة من المصدر الميمي " مقام "، و المقام – بالفتح أو الضم – موضع الإقامة أو المجلس[1]، لذلك سميت الأحدوثة من الكلام مقامة لأنها تذكر في مجلس واحد تجتمع فيه الجماعة لسماعها[2]، أو لما يحكي في جلسة من الجلسات على شكل حكاية ذات أصول فنية، وموجز هذه الأصول أنّها حكاية قصيرة يسودها شبه حوار درامي، وتحتوي على مغامرات يرويها " راو" عن " بطل" يقوم بها، وقد يكون هذا البطل شجاعا يقتحم أخطارا وينتصر فيها، وقد يكون ناقدا اجتماعيا أو سياسيا، وقد يكون فقيها متضلعا في مسائل الدين أو مسائل اللغة، ولكنه – في حالاته كلها تقريبا – متسول ماكر ولوع بالملذات مستهتر، يحتال للحصول على المال ممن خدعهم، ثم هو دائما أديب يجيد في أسلوبه عن بديهية وارتجال[3].

ولعل أول من وضع " فن المقامات "، وأعطاها هذا الاسم في العربية هو « أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحي بن سعيد الهمذاني » المعروف بـ « بديع الزمان » (– 398هـ / 1007م)[4] ، المشتهر بهذا الفن الذي اخترعه اختراعا، وانساق في تياره

---

[1] – الفيروز آبادي، القاموس المحيط، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2003م، ص 1026 ؛ المعجم العربي الأساسي، ص 1017.

[2] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم – ، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ط. د.ت، ص 615.

[3] – محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 2001م ، ص 180.

[4] – ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط ، د.ت ، 127/1، 129 ؛ المنجد في الأعلام، دار المشرق للطباعة و النشر، المكتبة الشرقية للتوزيع، بيروت، لبنان، ط29، 2008م، ص 113.

انسياق مقدرة واستعلاء، وراح يباري به كل ذي علم ومعرفة[1]، وهو متأثر في اختراعه هذا بنموذج واقعي هو الشاعر « أبودلف مِسْعَر بن مهلهل الخزرجي الينبوعي » (– 391هـ / 1000م) [2] وهو معاصر لبديع الزمان، وقد كان شاعرا جوالا جاب الآفاق محتالا لكسب الرزق بالأدب و الشعر وحيل كثيرة أخرى، وكان البديع يعجب به، ويحسن إليه، ويحفظ من شعره، وقد ضمّن مقاماته بعضا منه[3].

بناء عليه، يمكن القول إن المقامات بمعناها الاصطلاحي أو بشكلها الفني المعروف لم تتحقق إلا على " يد بديع الزمان الهمذاني "، كما يمكن اعتبار أنّ البديع هذا لم يكن متأثرا حين أنشأ هذه المقامات بأحد من الكتاب الذين سبقوه – فيما عدا شاعره المفضل – ، وإنما كان متأثرا بواقع الحياة العامة، بالبؤس والحرمان والإملاق، تلك الظواهر الاجتماعية التي حملت كثيرا من الناس على التكدي والتسول بمختلف الوسائل والحيل، فكان منهم الغزاة المتصنّعون والأعراب المنتجعون، والزّهاد وأبناء السبيل، والسحرة والمشعوذون والقُصاص، والنائحون، وغير ذلك[4]، وبالتالي انتقل معنى المقامة إلى كلام الكدية والاستجداء بلغة مختارة، وتناول بديع الزمان الهمذاني اللفظة مع ما التصق بها من معنى التّسول الأنيق، وأنشأ ما يسمى بـ « فن المقامات »[5]، وإذا به ينشئ فنّا جديدا احتار النقاد – فيما بعد – فيما إذا كان فنّا قصصيّا، فليس من الغريب أن يكون كذلك بما أنّ روح القصّ التي سادت القرن الرابع الهجري والقرون السابقة له هي المحضن الذي ترعرعت فيه المقامات[6].

---

[1] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم – ، ص 624.

[2] – المنجد في الأعلام، ص 19.

[3] – محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص 181.

[4] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم – ، ص 617، 618.

[5] – نفسه، ص 616.

[6] – أيمن بكر، السرد في مقامات الهمذاني، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د. ط، 1998م ، ص 19.

إلا أن كثيرا من دواعي النظرية النقدية أدّى إلى اختلاف الباحثين بناء على توزّع آرائهم، فأما الرأي الأوّل فقد قال: « إنّ المقامات ليست من القصص في شيء »[1]، فهي في الإجمال سرد لوقائع بسيطة معروفة بأسلوب مزخرف متحلٍّ بالسجع الغريب، تعتمد أكثر ما تعتمد الأمثال والأشعار والآيات القرآنية والأحاديث ممّا يجعل منها مقالات أدبية لغوية أنيقة في لغتها متينة في صياغتها، ولعله من الصواب إذا تقرّر أنّ المقامة ليست قصة، وأن أصحاب المقامات لم يرموا في مقاماتهم إلى تأليف قصّة[2].

أمّا الرأي الثاني فقد اعتبر« أنّ بعض المقامات قصص »[3]، ولا بد أن يكون منطلقه في ذلك أنّ مقامات بديع الزمان الهمذاني – بخاصة – أقرب إلى الفن القصصي بمفهومه الاصطلاحي المعاصر لما يحتويه – أغلبها وليس كلها – من عقدة وصراع وأشخاص وحوار، ولكن لا يمكن اعتبار بقية المقامات قصصا لأنّها تخلو من عناصرها الفنية الأهم، من عرض، وتحليل نفسي للشخصيات، ووجود صراع حقيقي ونمو للأحداث (الحبكة) [4].

على حين يرفض الرأي الثالث السؤال من أساسه – هل المقامة قصة ؟ – ويؤكد « أنّ المقامات ... جنس أدبي قائم بذاته لم تعرف اللغات الأخرى له نظيرا »[5]، وبالتحديد مقامات الهمذاني، إذ تتمتع بخصائص مميزة تم اكتسابها من توظيف ملامح الموروث القصصي الذي سبقها أو عاصرها توظيفا جديدا خضع فيه لشروطها، ولم تخضع هي لشروطه، بما جعلها تتصف بصفات استطاعت أن تؤسس للنوع الذي استمر

---

(1) – السابق، ص 22.

(2) – نفسه، ص 24.

(3) – نفسه، ص 22.

(4) – نفسه، ص 23.

(5) – نفسه، ص 26.

بعد واضعها لقرون طويلة[1]، وبالتالي المقامات نوع له سماته الخاصة التي تميزه عن أي شكل قصصي آخر من مثل: الرواية، والقصة، والأقصوصة ... إلخ[2].

وعليه، يمكن اعتبار التوجه الأخير حلاّ وسطا تعامل مع الرّؤى المتنازعة بموضوعية علمية منحت الفن الجديد خصوصية وتميّزا في مجال الإبداع الأدبي.

[1] – السابق، ص نفسها.

[2] – نفسه، ص 22.

2 – نشأة فن المقامة:

إبان العصر العباسي، وفيما كانت السياسية تتقلب في أطوارها المتباينة، كان الأدب يسير سيرا مطّردا في كنف الحضارة والثقافة، توجهه الأحوال الاجتماعية والتقاليد العربية، والآفاق الجديدة التي انفتحت أمامه من كل صوب[1]، والأدب العباسي – كما لايخفى – نُسب إلى العباسيين على وجه التغليب؛ لأنه نشأ ونما في ظلهم، وهو في الحقيقة أدب العباسيين في بغداد، والبويهيين في فارس، والحمدانيين في الشام، والفاطميين في مصر والمغرب ...، وإنه لمن الواضح أنّ الأدب كائن حيّ يتأثر بالعوامل السياسية والاجتماعية والطبيعية، ويستجيب لها ويتلوّن بألوانها، وإذا كانت بيئة الأدب العباسي مختلفة المظاهر، متباينة النزعات، فلا يخلو أن يختلف ذلك الأدب في مظاهره ونزعاته بين إقليم وآخر، وإن لم يكن الاختلاف جوهريّا[2].

وبما أن الأدب نثر وشعر، فإن النثر العباسي راح ينمو في ظلّ تلك الحضارة الجديدة، متخطيّا الحدود التي وقف عندها الشعر، فظهرت فيه آثار المدينة العباسية والتفكير العباسي أكثر مما ظهرت في الشعر[3]، وما حقيقة هذه الآثار إلا أحداث واقعية عكست جانبا من جوانب الحياة الطبيعية بمظاهرها السياسية والاجتماعية والثقافية، ومن مظاهر الحياة الاجتماعية خلال القرن الرابع الهجري " الحرمان و التسول "، فقد كان نصيب الكثرة الكثيرة من الناس، تلك الكثرة التي كانت تعيش عيشة فقر وبؤس وإملاق تحت ظلّ المحن والخطوب، وبين براثن الجوع والمرض والموت، فشاع التكدي والاحتيال

---

[1]– حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه – الأدب المولد – ، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1991م، 23/2.

[2]– نفسه، 31/2،32.

[3] – نفسه، 38/2.

شيوعا شديدا[1]، حتى في طبقات العلماء و أرباب الثقافة[2]، فالعصر كان عصر ترف في القصور والدّور، غير أنّ هذا الترف جرّ إلى الفتن والحروب ومصادرة الأملاك، حتى صارت الثروة خطرا على صاحبها، لأن الثروة التي كانت في بيوت عليّة القوم تكاد أخبارها لا تصدق، أمّا عامة الناس فكان منهم في كل قطر طريد الفقر والبؤس، يأكل رغيفه الجباة المكلّفون بجمع المكوس والضرائب وليس من يسألهم عمّا يفعلون[3]. وما كان لحياة كهذه إلا أنّ تتمثل في الأدب، وبالتالي طرح " أدب التسوّل" صورة لطائفة كبيرة من الناس تنكرت لهم الأيام فلجأت إلى ألوان من الحيل لكسب المال من أجل العيش، ضف إلى أدب التسوّل وهو يعكس واقعا اجتماعيا، أدبا آخر يعكس واقعا ثقافيا، وهو " أدب الصنعة و التنميق "، هذا الأدب الذي بلغ أوجه في هذا العصر حيث صيّر الكتابة مزيجا من زخرف لفظي وتطريز تصويري أغرق المعنى الضئيل في بحر زاخر من الأسجاع والاستعارات وشتى ضروب المحسنات البديعية، فبلغ به المترسلون مبلغا بعيدا من التأنق والتعقيد[4].

والداعي إلى ذلك أن القرن الرابع الهجري كان فيه للمثقفين الأعاجم دور كبير تأتى لهم من ترفهم الثقافي لانتمائهم إلى أمم متحضرة، وتضلعهم في اللغة العربية والثقافة الإسلامية، إلاّ أنّ هذا العنصر الأعجمي ذاته أدخل على العربية – كفن كتابي – صبغة جديدة لا يمكن عدّها من حسنات الفن الإنشائي، وهي صبغة من المحسنات البديعية وأنواع الترف اللفظي الذي هو وليد تصنّع وليس وليد سليقة حقيقية[5].

---

(1) – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم – ، ص 616.

(2) – نفسه، ص 625.

(3) – نفسه، ص 626.

(4) – نفسه، ص 616، 617.

(5) – عبد الله شريّط، تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية – وحدة الطبع المتعددة – ، الجزائر، ط3، 1983م ، ص 207، 208.

وعليه، إنّ من النقاد من رأى بأن " تيار أدب الحرمان والتّسوّل "، و" تيار أدب الصّنعة والتنميق "، مصدران طبيعيان لظهور المقامة بصورتها الفنية[1].

[1] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي– الأدب القديم – ، ص 617.

3 – أغراض المقامة الهمذانية وخصائصها:

أصبح الأدب في عهد العباسيين شاملا لجميع المعارف التي يتجلى بها الإنسان، وأصبح الأديب خزانة للعلم والثقافة، ولهذا اتجه التأليف شطرا المجاميع الشعرية والنثرية، والنّظريات في الفنون والعلوم، والأبحاث في الكتابة والنقد والتاريخ وما إلى ذلك، وقد اصطبغت تلك المؤلفات بصبغة الشمول والتنوع في الموضوع[1]، وبما أنّ " بديع الزمان الهمذاني " ابن هذه البيئة مولدا ونشأة فلا عجب أن يكون نادرة في الذكاء وسرعة الحافظة، وذا ثقافة واسعة جدّا، شملت الفلسفة وعلم الكلام ومذاهب الأديان وتعاليم الإسلام، وطبائع الأمم، وفنون الأدب، ولعل الفضل في هذه الموسوعية يرجع إلى ولعه بالأسفار، حيث زار عدّة مدن من فارس والعراق، كما أنه كان يحب الاتصال بالوزراء والأمراء، وبما أنّه كان ذا أخلاق عالية مكنته من الظفر بمكانة سامية عند الجميع فقد عاش حياة مترفة يسرت له سبل الفلاح في مختلف الأقطار، وضمنت له الخلود عبر أزمنة التاريخ المديدة[2]، كل ذلك أسهم في إنتاج عمل فني جديد عكس بيئة كاتبه التي عاش فيها ومنها تعلم، وفي هذا الصّدد يرى الناقد " عز الدين إسماعيل " أنّ الكاتب الحق هو من يستغل في عمله الإبداعي المادة التي توافرت له من بيئته، حقا إنّ كل إنسان يستطيع أن يحكي لك حكاية أو يقص عليك حادثة شاهدها أو وقعت له، ولكن لم يحدث أن أصبح جميع الناس كُتّابا؛ ما يعني أن الاستعداد القصصي خاصية إنسانية يشترك فيها جميع الناس، ولكن الكاتب الفني يختلف عن كل إنسان في أنه ينظر إلى الأشياء الواقعة نظرة خاصة، فهو لا يقف منها عند السطح، ولكنه يسبر أغوارها ويفرز عليها من أفكاره وخياله، ويجعل لها تكوينا آخر وفلسفة أخرى، وعندما يختزن كل ذلك في نفسه ليستغله في يوم من الأيّام، فإن ذلك لا يحدث اعتباطا، إنما يلجأ إليه ليستمد منه ما

---

[1] – حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه – الأدب المولد –، 41/2.

[2] – عبد الله شريط، تاريخ الثقافة والأدب في المشرق و المغرب، ص 209.

له أهمية خاصة، لذلك كانت مادة العمل الفني الناجح دائما مادة لها صفة الأهمية، ولا تأتي أهمية هذه المادة من أهمية الحدث مثلا، أو أهمية التاريخ، لأن الحادثة في ذاتها مهما كانت أهميّتها الخاصة لا تكفي لإخراج عمل فني ناجح، وإلاّ كان من السهل على كل واحد أن يختار الحوادث الكبرى ليتخذ منها مادة فنية، على حين ليست كل الأعمال الفنية التي تتناول الحوادث الكبرى ذات قيمة أدبية، ولكن القيمة تأتي من حيث أن الكاتب قد تعمق في هذه الحادثة أو تلك، ونظر إليها من جوانبها المتعددة[1]، من هنا بالذات تحددّت قيمة المقامات واتضحت أغراضها الخاصة وسماتها المميزة، وطارت شهرتها عبر العصور، فأما من أغراضها:

– **الهدف التعليمي:** عندما وضع الهمذاني فن المقامة الأول مرّة كان معلّما في "نيسابور" يلقي دروس اللغة والبيان على الطلاب ويدربهم على الأسلوب الجميل في الكتابة، كما كان من أشّد الناس في حدّة الذكاء، ومن أصدقهم تفهّما لطبائع الناس ولتطوّر العقل البشري، فقادته رسالته التعليمية إلى تقديم المعارف بأسلوب يعلق في الأذهان، إذ كان الأسلوب أسلوب العلم في إطار القصّة وجوّ الفكاهة، وكانت الطريقة طريقة النثر في موسيقى الشعر وتضمين الأبيات الشعرية[2]، أيضا يندرج ضمن الهدف ذاته الوعظ الديني، حيث ظهر ذلك في نزعة عقلية صوفية بأسلوب إسلامي[3].

– **الموسوعة العلمية:** مجموعة المقامات في الأدب العربي موسوعة علمية كبيرة، تشمل شتى المعارف الشائعة، فهنالك " القاموس اللغوي " بمختلف فروعه وامتداداته، وأيضا يوجد " القاموس التاريخي " وفيه أخبار الأمم وعاداتهم وأحوالهم الاجتماعية، ضف

---

[1] – عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه – دراسة ونقد –، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط8، 2002م، ص 101.

[2] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم – ، ص 618.

[3] – نفسه، ص 628.

إلى ذلك " القاموس النحوي والبياني والعروضي " بما يحتويه من كليات العلوم اللسانية[1]، لهذا وصفت مقامات الهمذاني بأنها خزانة واسعة لطالبي اللغة والبيان ومختلف ألوان المعارف[2].

– **المدح التكسبي:** على سنة الشعراء سار كتاب المقامات، حيث تكسبوا بهذا العمل الأدبي نظرا لقيمته الفنية، ومثال ذلك " المقامة الخلفيّة " للهمذاني التي تَوجَّه بها إلى " خلف بن أحمد" مادحا إيّاه فيها، وهو يصفه بالعقل والكرم، قاصدا التكسب المادي[3].

– **جمع الألفاظ والتعبيرات:** بما أنّ فن المقامة وليد أدب الصنعة والتنميق، فإن الغرض الذي لأجله وضع هو جمع الألفاظ والتعبيرات، وإبداع التشبيهات والاستعارات والكنايات، وتنميق الكلام بألوان الطباقات والجناسات وشتى البديعيات[4]، وكذا بتضمينه ألوانا من الأمثال والآيات القرآنية والأحاديث البنيوية والأبيات الشعرية والألغاز اللغوية[5]، حتى غدا هذا الفن ميدانا للتدليل بالمقدرة، ومضمارا واسعا لإظهار البراعة والمباهاة بالمحصول العلمي عامة، واللفظي منه خاصة[6].

على ضوء هذه الأغراض الخاصة يمكن إدراك الملامح المميزة لمقامات بديع الزمان الهمذاني من خلال رصد الخصائص الآتية:

– **صورة المجتمع:** إنّ من يطالع مقامات الهمذاني يبصر بجلاء تلك الطبقية الاجتماعية التي تبرز واضحة القسمات في صورتين، الأولى طبقة بورجوازية (وسطى/

---

(1) – السابق، ص 618، 619.

(2) – نفسه، ص 634.

(3) – نفسه، ص 628.

(4) – نفسه ، ص 627.

(5) – نفسه، ص 630.

(6) – نفسه، ص 618.

طبقة الوزراء والولاة وأصحاب المناصب في الدولة) حشدت الأموال فعاشت حياة الترف والرفاهية في لهو ومجون، و الثانية طبقة بروليطارية (دنيا/ طبقة عامّة الناس) احترفت الكدية والتسول وما ترتب عنهما من أنواع التلصص وضروب النصب والاحتيال من أجل توفير مطالب الحياة الضرورية[1]؛ كل ذلك يعطي صورة عن مجتمع الهمذاني وما فيه من نماذج حياتية متباينة، وما يحيط بها من ظروف اقتصادية كالحة، وأحوال اجتماعية متقلبة[2]، وهذا ما أدّى إلى تجاوز مجرد العرض الشكلي لهذه الأحوال المتقلبة إلى وصف العادات والتقاليد السائدة في كثير من المجتمعات الإسلامية وغيرها. وكان يمكن أن يكون هذا الجنس أخصب جنس أدبي في العربية، وأن يقوم – في نقد العادات والتقاليد والقضايا الاجتماعية – مقام القصة والمسرحية في الآداب الغربية، لولا أنّه سرعان ما انحرف عن النقد الاجتماعي في صورة جدّية إلى المماحكات اللفظية والألغاز اللغوية والأسلوب المصطنع الزاخر بالحلية اللفظية التي لا تعود على المعنى بطائل يذكر[3].

– **الحوار والقصص:** إنّ الإطار القصصي الذي يأخذه شكل المقامات إنّما يرجع إلى هدفها التعليمي– كما سبق بيانه – ، وبالتالي يمكن اعتباره وسيلة ترغيبية في مقابل الإطار الحواري الذي يعتمد في كثير من الأحيان وسيلة تمثيلية، ومن ثمّة فإن القصّ والحوار في المقامة إنّما يستعان بهما لبلوغ غاية، وتحقيق هدف، فجوهر هذا الفن بناء على أغراضه ومراميه السالفة هو بسط المعارف ورصف المعلومات وجمع الألفاظ وتنميق الأسلوب، وما سوى ذلك فهو من قبيل الوسائل والغايات[4].

– **الصّنعة اللفظية والأسلوب المنمّق:** خاصية التزامها الهمذاني كما التزمها غيره من مترسلي عصره، وهي خاصية يحدث فيها الاهتمام بالألفاظ أكثر من الاهتمام

---

[1] – السابق، ص 630،631.

[2] – عبد الله شريط، تاريخ الثقافة والأدب في المشرق و المغرب، ص 210.

[3] – محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص 180.

[4] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي– الأدب القديم – ، ص 620، 623.

بالمعاني، إذ تعتمد السجع والغريب من الألفاظ، ويقوم ذلك على إرسال العبارة موجزة سريعة، مقطعة تقطيعا موسيقيا[1]، وهذا أسلوب عال في الكتابة، أسلوب الخاصة دون سواها، فيه تنقبض العبارة انقباض إيجاز، وتسترسل استرسال ترادف، ويتراص فيه التركيب تراص إعجاز، وتنتفض فيه الجملة بعد الجملة انتفاض تعجيز، وتتعاقب فيه الألفاظ تعاقب اختيار دقيق، و أداء وثيق، وتحتشد فيه الإشارات والتلميحات احتشاد استعلاء وتضييق، وتمور فيه الألغاز والأحاجي، على موسيقى الجناس والطباق والسّجع، موران أرستقراطية ترف وتنميق، وهكذا فالأسلوب في المقامة غاية تصنيعية يقصد إليها المؤلف قصدا، ويعمل على تجويدها ما استطاع، فيعكف على العبارة يركبها تركيب جزالة وأناقة، ويوشيها بوجوه البيان والبديع، حتى لكأن الحرف فيها ينافس الحرف في الآداء، واللفظة تساجل اللفظة في الزخرفة، فتغدو التراكيب على اختلافها وتنوعها عالما من الفسيفساء العجيبة[2].

– **طبيعة الموضوعات:** ليست المقامات ذات موضوع واحد يُعنى الكاتب بمعالجته، أو يهتم لتفصيله، وإنما هي قالب فنيّ لموضوعات متباينة يدور إطارها القصصي العام حول الكدية والاحتيال[3]، مع اختلاف كبير في تنوع المضامين، فمنها ما هو أدبي، ومنها ماهو ديني، ومنها ما هو اجتماعي أخلاقي، ومنها كذلك ما هو مجوني بحت أو عبث ولهو[4].

– **الشخصيات الخيالية:** المقامة الهمذانية فن أدبي نثري يكون بطلها أحيانا متديّنا زاهدا واعظا، وأحيانا منافقا مخادعا، وأحيانا أخرى شاعرا خطيبا وعالما أديبا، ويحمل البطل اسم " أبي الفتح الإسكندري "، وله راوية يروي حوادثه يحمل اسم " عيسى بن

---

[1] – السابق، ص 629.

[2] – نفسه، ص 622.

[3] – نفسه، ص 625.

[4] – عبد الله شريط، تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب، ص 210.

هشام"، وكلاهما شخصية خيالية[1]؛ فأما " الراوية " فهو شخص نكرة، عمله الوحيد أن يروي الأحداث، وأن يصطنع الانفعال، والمقامة تُفْتَتَحُ بإسناد الرواية إليه (حدثنا عيسى بن هشام)، وكثيرا ما تختم بذكر اكتشافه حقيقة البطل، وهكذا فدوره في المقامة ظِلٌّ عمل، أماّ " البطل " فهو خزانة علم المؤلف في اللغة والبيان والشعر وشتى المعارف، إنّه فاكهة الندماء، ومجمع البحرين، لا تستعصي عليه معضلة مهما تعقدت، ولا يفوته حلّ للغز أو أحجية، جوابه عند كلّ سؤال، وكلامه فصل في كل مجال، إنّه خطيب المنابر ولسان الحقيقة والكذب، ورجل الحيلة التي لا تقف عند حدّ، ومن ثمة فهو كل شيء في المقامة فعلا وقولا[2].

– **الفكاهة والسخرية:** الأعمال النثرية لبديع الزمان الهمذاني – بعامة – ومقاماته – بخاصة – تمثل ثقافته الشاملة أصدق تمثيل، كما تجمع بين صفتين يمكن القول أنهما متناقضتين– إلى حدّ ما – إذا تعلق الأمر بشخصيته الفذة وروحه المرحة، فقد يكون ناقدا لطيفا أحيانا، ولاذعا في أغلبها من خلال سخريته المرة وفكاهته الهازئة[3]، لذلك مقاماته زاخرة بضروب مختلفة من الفكاهة التي أضفت عليها جمالا وحيوية، حيث صوّر الهمذاني أنواع الفكاهة كلها، كفكاهة الطباع، والفكاهة اللفظية، وفكاهة المواقف، وفكاهة الأشكال والحركات، حتى صار من أوائل صنّاع الفكاهة في الأدب العربي لاستطاعته تصوير مختلف أنواعها، ومن ثمة بلوغه بها قمة النضج على الرّغم من قيد سجعه ومشقة صنعته اللفظية[4]. وليس من الصعب أن يبرع الهمذاني ويبدع في مثل هذا الفن؛ فقد كان رحالة بكثرة أسفاره بين بلاد المشرق الإسلامي، وقد مكنه ذلك من مشاهدة أصناف

---

[1] – السابق، ص نفسها.

[2] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم –، ص 622.

[3] – عبد الله شريط، تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب، ص 210.

[4] – باسم ناظم سليمان ناصر المولى، سيكولوجية الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمذاني، المكتب الجامعي الحديث للنشر، الإسكندرية، مصر، د. ط، 2012م، ص 135.

مختلفة من الناس في تلك البلدان واستكشاف طبائعهم، خاصة الشخصيات الشاذة الغريبة في تصرفاتها، كما ساعدته تلك الرحلات أيضا على تجميع خبرات كثيرة بعادات الأمم والشعوب ومعرفة الأدواء التي تعاني منها، ضف إلى ذلك أن العصر الذي عاش فيه – وهو عصر الدّول والإمارات – كان شديد الاضطراب السياسي، مما انعكس على المجتمع وحياة الناس، فيه فوارق واضحة بين طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء، وكثر فيه السلب والنهب ليس من قطّاع الطرق فحسب، بل من طمع الولاة في الوزراء، وطمع الوزراء في كبار التجار والأعيان، وخوف كل ذي مال على ماله من أن يتعرض للسرقة في أي وقت. وقد بدت هذه الأوضاع واضحة في مقامات الهمذاني بناء على مشاهد صوّرها النقد الساخر والفكاهة المغرضة في قالب فني جديد[1].

إنّ صاحب هذا القالب الفني الجديد شُهد له بالبراعة والاقتدار في ضبط أسسه وإحكام قوانينه وبالتالي في التنظير له عبر العصور، مما أدى ببعض الباحثين إلى إبداء الاندهاش من توحد تقاليد الكتابة في المؤلفات التي تحمل اسم " المقامة "، والغريب أن جميع هؤلاء وغيرهم ممن تصدى لكتابة هذا الفن، نسجوا في إنشاءاتهم نسجا واحدا، واتجهوا اتجها واحدا؛ فلكل منهم في مقاماته راوية يروي الأخبار، وبطل تدور حوله الأحداث، وجميعها تستهدف هدفا واحدا، وتقوم على موضوع يكاد يكون واحدا، وتشترك كلها في هذا الأسلوب اللغوي الذي يتمسك به جميع مؤلفيها[2].

وعليه، يكون من الواضح أنّ إشكالية تصنيف هذا الجنس الأدبي تنبع من تعقيد المقامات بصفتها نوعا سرديّا وليس من بساطتها وسطحيتها على حد تصور الكثيرين، فالمقامة تتدرج في دائرة التعدد والمزج ؛ فهي لا تقدم نبرة ثانية – لأي قصة على

---

[1] – علي محمد السيد خليفة، الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمذاني – دراسة تحليلية – ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2010م، ص 17.

[2] – أيمن بكر، السرد في مقامات الهمذاني، ص 26.

الأرجح – بل تقدم انزلاقا نغميا متعدد المضامين، ويحتوي عددا مهمّا من الأنواع التي إن تمّ النظر إليها على حدة كانت أحادية النبرة؛ وما هذا التعقيد إلا نقطة هامة جديرة بالدراسة أغفلته الفرضيات المطروحة قديما وحديثا، وهو ما يفسر عدم اتفاق النظريات النقدية إلى اليوم. من هنا لابد من توجه يعمل على تحليل المقامات من أجل طرح إمكانية التعمق في إدراك هذا النوع الذي لربما استمر عبر العصور – الحديثة والمعاصرة – لو توافرت له الظروف الملائمة[1].

[1] – السابق، ص 26، 27.

الفصل الثاني:

الحجاج بأساليب المغالطة النّسقية في مقامات الهمذاني

أولا/ الحجاج بأساليب المغالطة النسقيّة الصوريّة:

تمهيد

1-أساليب المغالطة بالمصادرة على المطلوب

2-أساليب المغالطة بتجاوز الحجّة

3-أساليب المغالطة بتجاهل المطلوب

4-أساليب المغالطة بالعرض

ثانيا/ الحجاج بأساليب المغالطة النسقيّة اللغوِّية:

تمهيد

1- أساليب المغالطة بالتركيب

2- أساليب المغالطة بالاشتراك

3- أساليب المغالطة باللّبس

4- أساليب المغالطة بالمسائل المتعددة

أولا/ الحجاج بأساليب المغالطة النسقيّة الصوريّة:

تمهيد:

إنَّ الإنسان في حياته اليومية يفكّر بطريقة منطقية وإنْ لم يكن في استطاعته عادة التحقق من ذلك، إلا أنّ ذلك لا يعني أنّ تفكيره يتم دائما بطريقة منطقية صحيحة؛ إذ إنه مُعرَّض للخطأ في استدلالاته- سواء بقصد أو بغير قصد-، فإن كان بقصد فهو يريد المغالطة لا محالة، وإن كان بغير قصد فلأنه أساء استخدام موهبته الفكرية بالتأكيد، وفي حالة ما إذا كانت الحاجة عاملا حتميا لأنْ يبحث الإنسان لنفسه عن علم يضع له المبادئ الضرورية التي يستطيع بها ضبط فكره ووزن أحكامه حتى يأمن الوقوع في الخطأ ويتجنب التناقض الذي يمكن أن ينطوي عليه تفكيره، وإن كان هذا العلم هو ما يسمى «علم المنطق»[1]؛ فإنّ ضوابطه قوانين صورية قد يحدث التلاعب بها، فيؤدي ذلك إلى مغالطات حجاجية ذات علاقة بالمستوى النسقي، بناء على خلل صوري يمكن إجمال ضُروبه الواردة في مقامات الهمذاني، ضف إلى ذلك أن الحوار القائم بين شخصيات هذا الفن الأدبي تحقق وفق أساليب حجاجية متباينة، يعزي وصفها من أجل تحديد خصائصها التواصلية إلى البلاغة بما أنها «علم يُعْنَى بكيفيات التعبير التي تحقق للقول أكبر حظوظ الفاعلية والنجاعة والتأثير مولية بالغ الاهتمام لطرائق أداء المعنى»[2]، إضافة إلى المعنى ذاته، وبالتالي يكون كشف جلّ هذه الطرائق وفق تنظيم إجرائي تتحكم فيه معطيات النصوص الأدبية.

---

[1] – محمد مهران رشوان، قضايا أساسية في المنطق، ص33.

[2] – حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب- أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)-، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، طرابلس، ليبيا، ط3، 2010م، ص 247.

1- أساليب المغالطة بالمصادرة على المطلوب:

المصادرة على المطلوب مغالطة فيها يفترض الإنسان صحة ما يريد البرهنة عليه من أجل أن يبرهن عليه[1]، وهي مغالطة معروفة أيضا باسم " مغالطة الدور"، فعادة يلجأ المتكلم إلى مقدمات مُسلمٍ بها، ومنها يمكن أن يستنبط تلك القضية كنتيجة لازمة عن هذه المقدمات، وبالتالي إذا أخذت النتيجة نفسها المُراد البرهنة عليها على أنها مقدمة وقع المتكلم في "مغالطة الدور"[2]، حيث يتم في المقدمات إدراج النتيجة التي يلزم إقامة الدليل على صدقها، وذلك حتى يتوهم المتلقي أن هذه النتيجة من المقدمات المسلمة، وقد يتم هذا الإدراج إمّا صراحة أو بصورة ضمنية[3]، والبنية العامّة لهذه الحيلة الاستدلالية هي كالآتي[4]:

- مقدمات تتضمن النتيجة (س) نفسها التي ينبغي التدليل على صدقها إمّا في صورة صريحة أو مضمرة.
- النتيجة المُدَّعاة (س) صادقة.

إن وجه المغالطة في هذا الأسلوب واضح، فوضع النتيجة ضمن المقدمات لا يعني بالضرورة أنها صادقة ما لم يقم الدليل على ذلك، وإلا ستكون أطراف الخطاب كمن يدور في حلقة مفرغة، بحيث إذا سأل المعترض عن الأصل في صدق النتيجة، يُحال على المقدمات، فيجد نفسه مرة أخرى أمام النتيجة نفسها المراد تأصيل صدقها، ومن هنا كانت تسمية هذه المغالطة بـ«الدّور»، أما تسميتها بـ «المصادرة على المطلوب» فلأن المطلوب

---

(1) – محمد فتحي الشنّيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، ص106.

(2) – محمد مهران رشوان، قضايا أساسية في المنطق، ص108.

(3) – رشيد الرّاضي، الحجاج والمغالطة، ص39.

(4) – نفسه، ص نفسها.

هنا هو النتيجة التي ينبغي إقامة الدليل على صدقها، فبدل ذلك تقع المصادرة عليها ويتم إدراجها ضمن المقدمات [1].

بمعنى آخر، إنّ هذه المغالطة تنشأ في حالتين متداخلتين: إمّا أن تكون القضية نفسها مستخدمة بوصفها مقدمة ونتيجة معا، أو حين لا يمكن أن تكون إحدى المقدمتين صادقة إلا إذا صدقت النتيجة منذ البداية، وفي كلتا الحالتين يفترض الدّليل المغالط صِدْقَ ما يحتاج إلى برهان[2].

وتكون هذه المغالطة أكثر تأثيرا حين تنطوي على خطوات كثيرة، مع العلم أن ليست المغالطة ذاتها بحكم تعريفها هو ما يجعلها دليلا غير صحيح، ولكن الأساس الذي تدان من أجله مثل هذه الأدلة هو أنها لا تأتي بجديد؛ لأنها عقيمة من حيث كونها براهين[3].

انطلاقا مما تواضع عليه أصحاب الاختصاص فيما يتعلق بهذا المفهوم، تكون خطابات الهمذاني الواردة في كل من المقامات «القريضية والبصرية والفزارية» مغالطة من هذا النوع عمل على حمل معانيها الضمنية ودلالاتها السياقية أساليب تواصلية يمكن حصرها من خلال التحليل الآتي:

أ- المقامة القريضية:

يقول الهمذاني: « **حَدَّثَنَا عيسىَ بنُ هِشَام قال: طَرَحَتْنِي النَّوَى مَطَارِحَهَا حتَّى إذَا وَطِئْتُ جُرجَان الأَقْصَى، فَاسْتَظْهَرْتُ على الأيَّامِ بِضِيَاعٍ أجلْتُ فِيهَا يَدَ العِمَارَةِ، وأَمْوَالٍ وَقَفْتُهَا عَلَى التِّجَارَةِ، وحَانُوتٍ جَعَلْتُهُ مَثَابَةً، وَرُفْقَةٍ اتَّخَذْتُهَا صَحَابَةٌ، وَجَعَلْتُ لِلدَّارِ حَاشِيَتَيِ النَّهَارِ، وَلِلْحَانُوتِ مَا بَيْنَهُمَا، فَجَلَسْنَا يَوْمًا نَتَذَاكَرُ القَرِيضَ وَأَهْلَهُ وَتِلْقَاءَنَا شَابٌّ**

---

[1] – السابق، ص نفسها.

[2] – محمد مهران رشوان، قضايا أساسية في المنطق، ص108.

[3] – نفسه، ص نفسها.

قَدْ جَلَسَ غَيْرَ بَعِيدٍ يُنْصِتُ وَكَأَنَّهُ يَفْهمُ، ويسْكُتُ وكَأَنَّه لاَ يَعْلَمُ، حَتَّى إِذَا مَالَ الكَلاَمُ بِنَا مَيْلَهُ، وجَرَّ الجِدَالُ فِينَا ذَيْلَهُ، قَالَ: قَدْ أَصَبْتُم عُذَيقَهُ، ووافَيتُمْ جُذَيْلَهُ، وَلَوْ شِئْتُ لَلَفَظْتُ وأَفَضْتُ، وَلَوْ قُلْتُ لَأَصْدَرْتُ وَأَوْرَدْتُ، ولَجَلَوْتُ الْحَقَّ فِي مَعْرِضِ بَيَانٍ يُسْمِعُ الْصُّمَّ، ويُنْزِلُ العُصْمَ، فقُلتُ: يَا فَاضِلُ ادْنُ فَقَدْ مَنَّيْتَ، وهَاتِ فَقَدْ أَثْنَيْتَ، فَدَنَا وَقَالَ: سَلُونِي أُجِبْكُمْ، واسْمَعوُا أُعْجِبْكُمْ، فَقُلْنَا: مَا تقُولُ فِي امْرِئِ الْقَيْسِ؟ قَالَ: هُوَّ أَوَّلُ مَنْ وَقَفَ بِالدِّيَارِ وَعَرَصَاتِهَا، وَاغْتَدَى والْطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا، وَوَصَفَ الْخَيْلَ بِصِفَاتِهَا، ولَمْ يَقُلْ الْشِّعْرَ كَاسِبًا، وَلَمْ يُجِدِ الْقَوْلَ رَاغِبًا، فَفَضَلَ مَنْ تَفَتَّقَ لِلْحِيلَةِ لِسَانُهُ، وانْتَجَعَ لِلْرَّغْبَةِ بَنَانُهُ، قُلْنَا: فَمَا تَقُوُلُ فِي النَّابِغَةِ؟ قَالَ: يَثْلِبُ إِذَا حَنَقَ، ويَمْدَحُ إِذَا رَغِبَ، ويَعتَذِرُ إِذَا رَهِبَ، ولاَ يَرْمِي إِلاَّ صَائِبًا، قُلْنَا: فَمَا تَقُوُلُ فِي زُهَيْر؟ قَالَ: يُذِيبُ الشِّعْرَ والشِّعْرُ يُذِيبُهُ، وَيَدْعُوُ الْقَوْلَ وَالسَّحْرُ يُجِيبُهُ، قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ في طَرَفَةَ؟ قَالَ: هُو مَاءُ الأَشْعَارِ وَطِينَتُهَا، وَكَنْزُ الْقَوَافِي ومَدِينَتُهَا، مَاتَ وَلَمْ تَظْهَرْ أَسْرَارُ دَفائِنِهِ، ولَمْ تَفْتَحْ أَغْلاَقُ خَزائِنِهِ، قُلْنَا: فَمَا تقُولُ فِي جَرِيرٍ والْفَرَزْدَقِ وأيَّهُمَا أَسْبَقُ؟ فَقَالَ: جَرِيرٌ أَرَقُّ شِعْرًا، وَأَغْزَرُ غَزْرًا، وَالْفَرَزْدَقُ أَمْتَنُ صَخَرًا، وَأَكْثَرُ فَخْرًا، وَجَرِيرُ أَوْجَعُ هَجْوًا، وأَشْرَفُ يَوْمًا، والْفَرَزْدَقُ أَكْثِرُ رَوْمًا، وَأَكْرَمُ قَوْمًا، وَجَرِيرٌ إِذَا نَسَبَ أَشْجَى، وإِذَا ثَلَبَ أَرْدَى، وإِذَا مَدَحَ أَسْنَى، والفَرَزْدَقُ إِذَا افْتَخَرَ أَجْزَى، وَإِذَا احْتَقَرَ أَزْرَى، وإِذَا وَصَفَ أَوْفَى، قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي المُحْدِثِينَ مِنَ الشُّعَرَاءِ والْمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: المُتَقَدِّمُونَ أَشْرَفُ لَفْظًا، وَأَكْثَرُ مِنَ المَعَانِي حَظًّا، والمُتَأَخِّرُونَ أَلْطَفُ صُنْعًا وأَرَقُّ نَسْجًا »[1].

إنّ هذه البنية الحجاجية المقتطعة من بنية خطابية أكبر، تُفصح وبجلاء عن سياق المغالطة؛ وذلك أنَّ الرَّاوي المسمى "عيسى بن هشام" وهو يسرد الأحداث في صورة حوار بين أطراف متعددة، عمد إلى لفت الانتباه إلى متكلم (فجلسنا يوما نتذاكر القريض وأهله

[1] – بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص9 – 12.

وتلقاءنا شاب قد جلس غير بعيد ينصت وكأنّه يفهم، ويسكت وكأنّه لا يعلم)[1] أخذ زمام الحديث مغالطا إيّاهم بعد قولهم: « **حَتَّى إذا مال الكلامُ بنا ميلهُ، وجرَّ الجدال فينا ذيلَهُ** »[2]، حيث قال: « **قد أصبتُم عُذَيقَهُ، ووافيتم جُذَيْلَهُ، ولو شئتُ للفظْتُ وأفضْتُ، ولو قُلتُ لأصدرتُ وأوردْتُ، ولجَلَوْتُ الحقَّ في معرضِ بيانٍ يُسمعُ الصُّمَّ، وينزِلُ العُصْمَ، فقُلتُ: يا فاضلُ ادْنُ فقد منَّيْت، وهات فقد أثْنيْتَ، فدنَا وقَال: سَلونِي أُجبْكُمْ، واسمَعوُا أعْجبكمْ** »[3].

من هنا تتحدد معالم المغالطة، فالمتكلم حكم بالصدق على مقدمة كلامه يقينا، سابغا عليه معاني التعظيم[*] بتوظيف صيغة التصغير على وزن "فُعَيْل" في كل من اللفظتين "عُذُق" ← "عُذَيق"، و"جِذْل" ← "جُذَيْل" [4]، وفي هذا إقرار بعظمة كلام المتدارسين، وما هو إلا توجيه صريح الى ان كلامه–الذي لم يصرّح به بعد– أعظم من كلامهم، حيث أبان عن ذلك بتوظيفه أفعالا مزيدة على وزن "أَفْعَلَ ← يُفْعِلُ" (أفَضْتُ و أَصْدَرْتُ و أوْرَدْتُ ←في الماضي/يُسْمِعُ و يُنْزِلُ ←في المضارع) وغايته منها تحقيق المبالغة، وتأكيد التمكين [5]، وكأنَّهُ بذلك يتحدَّى الجميع، ثمّ عمد إلى إثبات كلامه هذا من خلال إجابته عن كلّ الأسئلة المطروحة عليه، مع العلم أن السائلين في هذه الحالة، كانوا أعلم منه بالإجابة، وإلا ما تجرؤوا على مثل هذا التحدي، وبالتالي اِتضح سمت المغالطة في إجابات المتكلم أثناء استدلاله؛ لأنّ هذا الأخير كان أقرب إلى الأحكام

---

[1] – السابق، ص 9.

[2] – نفسه، ص 9، 10.

[3] – نفسه، ص 10.

[*]– من المعلوم أنّ التصغير ظاهرة لغوية تستعمل لأغراض كالتحقير وتقليل الحجم وتقليل الكمية والعدد وتقريب الزمان والمكان والتحبب، كما قد تكون للتعظيم أيضا.

[4] – ينظر: عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د ط)، 1999م، ص 98، 99.

[5] – ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، حققه وقدّم له وفهرسه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص،88، 89، 92.

النقدية – التي قد يوافق عليها البعض وقد يعارضها البعض الآخر– منه إلى الأدلة المعيارية التي يمكن من خلالها الحكم على فرضيته المزعومة، والتي استدل عليها بالآتي:

« فَقُلْنَا: مَا تقُولُ فِي امْرِئِ الْقَيْسِ؟ قَالَ: هُوَّ أَوَّلُ مَنْ وَقَفَ بِالدِّيَارِ وَعَرَصَاتِهَا، وَاغْتَدَى والْطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا، وَوَصَفَ الْخَيْلَ بِصِفَاتِهَا، ولَمْ يَقُلْ الْشِّعْرَ كَاسِبًا، وَلَمْ يُجِدِ الْقَوْلَ رَاغِبًا، فَفَضَلَ مَنْ تَفَتَّقَ لِلْحِيلَةِ لِسَانُهُ، وانْتَجَعَ لِلْرَّغْبَةِ بَنَانُهُ، قُلْنَا: فَمَا تَقُوُلُ فِي النَّابِغَةِ؟ قَالَ: يَثْلِبُ إِذَا حَنَقَ، ويَمْدَحُ إِذَا رَغِبَ، ويَعتَذِرُ إِذَا رَهِبَ، ولاَ يَرْمِي إلاَّ صَائِبًا، قُلْنَا: فَمَا تَقُوُلُ فِي زُهَيْر؟ قَالَ: يُذِيبُ الشِّعْرَ والشِّعْرُ يُذِيبُهُ، وَيَدْعُوُ الْقَوْلَ وَالسَّحْرُ يُجِيبُهُ، قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ في طَرَفَةَ؟ قَالَ: هُو مَاءُ الأَشْعَارِ وَطِينَتُهَا، وَكَنْزُ الْقَوَافِي ومَدِينَتُهَا، مَاتَ وَلَمْ تَظْهَرْ أَسْرَارُ دَفائِنِهِ، ولَمْ تَفْتَحْ أَغْلاَقُ خَزائِنِهِ، قُلْنَا: فَمَا تقُولُ فِي جَرِيرٍ والْفَرَزْدَقِ وأيَّهُمَا أَسْبَقُ؟ فَقَالَ: جَرِيرٌ أَرَقُّ شِعْرًا، وَأَغْزَرُ غَزْرًا، وَالْفَرَزْدَقُ أَمْتَنُ صَخَرًا، وَأَكْثَرُ فَخْرًا، وَجَرِيرُ أَوْجَعُ هَجْوًا، وأَشْرَفُ يَوْمًا، والْفَرَزْدَقُ أَكْثِرُ رَوْمًا، وَأَكْرَمُ قَوْمًا، وَجَرِيرٌ إِذَا نَسَبَ أَشْجَى، وإِذَا ثَلَبَ أَرْدَى، وإِذَا مَدَحَ أَسْنَى، والفَرَزْدَقُ إِذَا افْتخَرَ أجْزَى، وَإِذَا احْتَقَرَ أَزْرَى، وإِذَا وَصَفَ أَوْفَى، قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي المُحْدِثِينَ مِنَ الشُّعَرَاءِ والْمُتَقدِّمِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: المُتَقدِّمُونَ أَشْرَفُ لَفْظًا، وَأَكْثَرُ مِنَ المَعَانِي حَظًّا، والمُتأَخِّرُونَ أَلْطَفُ صُنْعًا وأَرَقُّ نَسْجًا»[1].

ثم يواصل – المتكلم ذاته– استدلاله ولكن بطريقة مختلفة فيقول [2]:

أَمَـا تَـرَوْنِي أَتَغَشَّى طِـمْرَا مُمتَطِيًّا فِـي الضُّـرِّ أَمْرًا مُرًّا

مُضْطَبِنًا عَلَى اللَّيَالِي غِمْرَا مُلاَقِـيًا مِنْـهَا صُـرُوُفًا حُمْـرَا

---

[1] – بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 10، 11، 12.

[2] – نفسه، ص 12، 13.

أَقْصَى أَمَانِي طُلُوعُ الشِّعْرَى فَـقَدْ عُنِـينَا بِالأَمَـانِي دَهْـــرَا

وَكَانَ هَذَا الْحَـرُّ أَعْلَـــى قَدْرَا وَمَـــاءُ هَذَا الْوَجْـــهِ أَغْلَى سِعْرَا

ضَرَبْتُ لِلسَّـرَّا قِبَابًـــا خُضْرَا فِـي دَارِ دَارَا وَإِيـوَانِ كِـــسْـــرَى

فَانْـقَلَبَ الـدَّهْرُ لِبَـطْنٍ ظَهْرَا وَعَادَ عُرْفُ الْعَيْشِ عِنْدِي نِـكْرَا

لَمْ يَـبْقَ مِـــنْ وَفْرِي إلاَّ ذِكْرَا ثُـمَّ إِلَـى الْيَـوْمِ هَلُـمَّ جَـــرَّا

وما يؤكد أن هذا الاستدلال مردود على صاحبه هو خاتمة البنية الشعرية، حيث تمكن الراوي من اكتشاف حقيقة هذه الشخصية حين صرحت قائلة [1]:

لَوْلاَ عَجُوزٌ لِي بِسُرَّ مَنْ رَا وَأَفْرُخٌ دُونَ جِبَالِ بُصْـرَى

قَدْ جَلَبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِم ضُرَّا قَتَلْتُ يَا سَادَةُ نَفْسِي صَبْرَا

وما هذا التصريح إلا احتيال وخداع من أجل تحصيل أهداف مادية، ودليل ذلك الحوار الدائر بين الاثنين– ابن هشام/ أبو الفتح– حيث: «**قَالَ عِيسَى ابْنُ هِشَامٍ: فَأَنَلْتَهُ مَا تَاحَ، وَأَعْرَضَ عَنَّا فَرَاحَ، فَجَعَلْتُ أَنْفِيهِ وَأَثْبِتُهُ وأُنْكِرُهُ وَكَأَنِّي أَعْرِفُهُ، ثُمَّ دَلَّتْنِي عَلَيْهِ ثَنَايَاهُ، فَقُلْتُ: الإِسْكَنْدَرِيُّ وَاللهِ، فَقَدْ كَانَ فَارَقَنَا خَشِفَا، وَوَافَانَا جِلْفًا، وَنَهَضْتُ عَلَى إِثْرِهِ، ثُمَّ قَبَضْتُ عَلَى خَصْرِهِ، وَقُلْتُ: أَلَسْتَ أَبَا الْفَتْحِ، أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ، فَأَيُّ عَجُوزٍ لَكَ بِسُرَّ مَنْ رَا**»[2]، فأقرّ هذا المغالط بفعلته وأفصح عن شخصيته متفاخرا ضاحكا حين قال [3]:

وَيْحَكَ هَذَا الزَّمَـانُ زُورُ فَـــــلاَ يَغُـــرَّنَّكَ الْغُرُورُ

لاَ تَلْـــتَزِمِ حَالَـــةً وَلَكِنْ دُرْ بِـالْلَّيَالِـي كَـمَا تَدُورُ

---

[1] – السابق، ص 13.

[2] – نفسه، ص نفسها.

[3] – نفسه، ص نفسها.

والمخطط الآتي يبسط سياق الحجاج، ويجمل جلّ أبعاده ويوجز أهم معانيه:

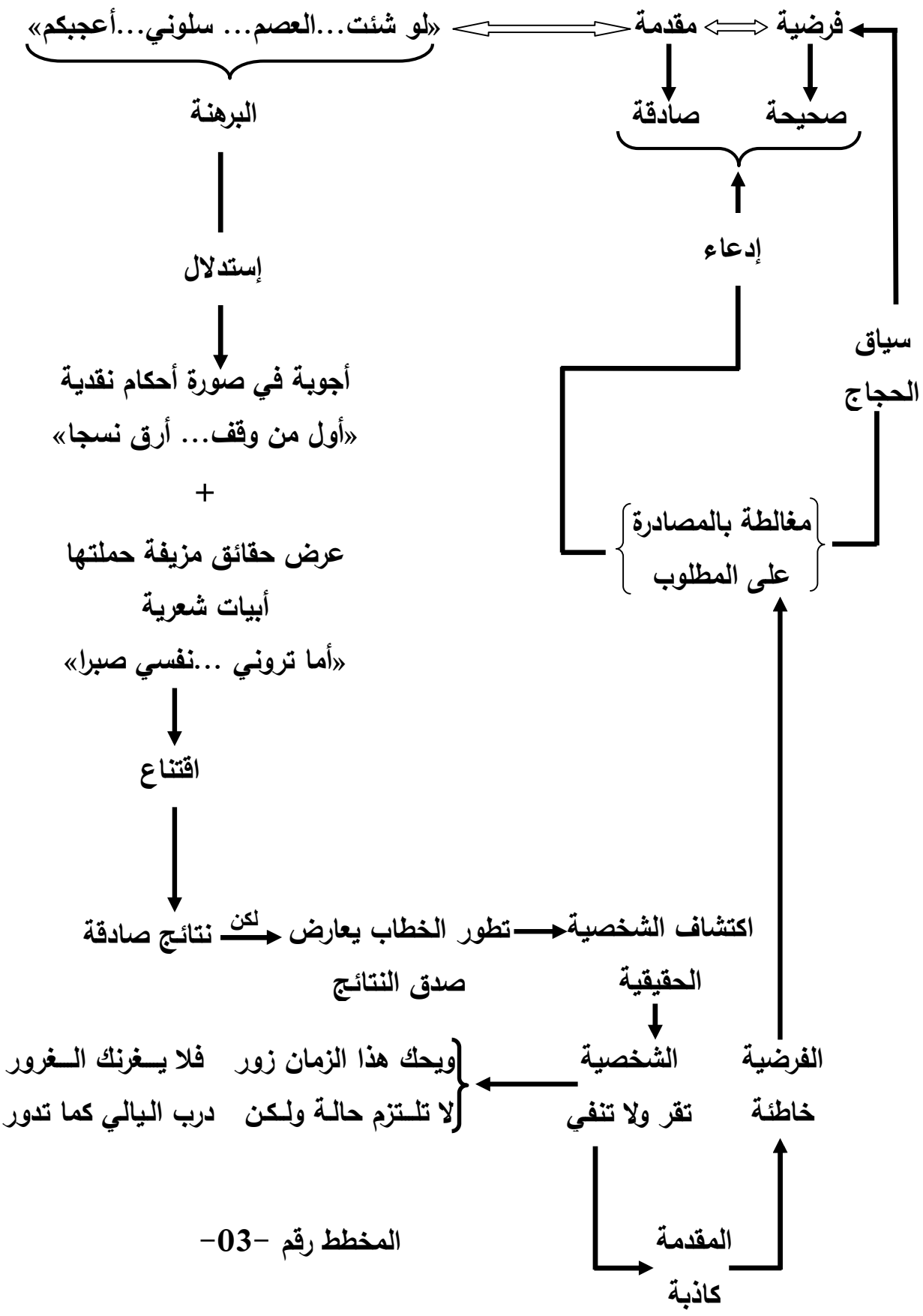

المخطط رقم -03-

زيادة على ذلك، ما تجدر الإشارة إليه بعد هذا البيان الوظيفي، أنّ بنية النسق الحجاجي قد حملتها أساليب تواصلية تمايزت تراكيبها اللغوية بتمايز مراحل الخطاب، حيث وردت مقدمة الحجاج وفق أسلوب خبري إنكاري تنوعت مؤكداته[1]، بين أداة التحقيق " قد"، و"لام الابتداء"، من قول المحاجج «قد أصبتم عذيقه» إلى غاية قوله «وينزل العصم»، وما داعي التأكيد في كلام " أبي الفتح"، إلا أنّه كان يسعى لإثبات حكم تجهله أطراف الحوار مجتمعة، وبالتالي قد تنكره كما قد يكون هذا الجهل إما حقيقة أو اعتقادا، لذلك ورد الأسلوب إنكاريا ليستوعب الاحتمالين [2]، وفيما عدا هذا الأسلوب الخبري، ثم إنشاء النداء على وجهه الأصلي، وهو طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف مخصوص هو "الياء" التي نابت مناب الفعل " أدعو" [3]، حيث قال الدّاعي- وهو هنا ابن هشام-: «يا فاضل أُدن فقد منيت، وهات فقد أثنيت».

أيضا، خُتمت المقدمة بأسلوب إنشائي طلبي لكن من طريق أمر خرج عن معناه الأصلي، بما أن الآمر هنا ما لجأ إلى هذا الأسلوب على وجه الاستعلاء والإلزام [4]، وإنما عمد إلى ذلك للاستدلال والإفحام، وبالتالي كان قوله لمستمعيه: «سلوني أجبكم، واسمعوا أعجبكم» تسوية لشخصه بهم[5]، ودحضا لما قد تبادر إلى أذهانهم دون سابق دراية ولا علم بحاله و أحواله حين قالوا: «تلقاءنا شاب قد جلس غير بعيد ينصت وكأنّه يفهم، ويسكت وكأنه لا يعلم».

---

[1] – السكاكي، مفتاح العلوم، ص258، 259.

[2] – ينظر: نفسه، ص259-263.

[3] – الميداني، البلاغة العربية -أساسها وعلومها، وفنونها، وصور من تطبيقاتها، بهيكل جديد من طريف وتليد-، دار القلم، دمشق، سوريا، الدار الشامية، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، 240/1.

[4] – السكاكي، مفتاح العلوم، ص428.

[5] – عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية- علم المعاني، البيان، البديع- دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ص77.

بعد ذلك وردت جلّ تراكيب الاستدلال- النثرية منها والشعرية- في صورة أساليب خبرية منها ما هو ابتدائي أحالت إليه التراكيب الإسنادية الفعلية سواء أكانت مضارعة أم ماضية، وإن طغت الأولى على الثانية، وهذه الأخيرة وردت إما مثبتة على سبيل الإطلاق، أو منفية تقييدا بإحدى الأداتين " لم " و "لا".

أما الأسلوب الطلبي فعملت على توكيده اسمية التراكيب الإسنادية – وإن قَلَّتْ-[1]، ولعل في هذه المزاوجة بين الأسلوبين الابتدائي والطلبي خروج الخبر عن مقتضى الظاهر، فحينا يُنزل المتكلم المتلقي خالي الذهن منزلة المتردد الشاك، وبالتالي يحتاج إلى تأكيد كلامه بمؤكد، وفي هذه الحالة يكون الأسلوب طلبيا، وحينا آخر يجعل المنكر -احتمالا- كغير المنكر والمقتضى الظاهر يوجب إلقاء الخبر على المنكرين مؤكدا، ولكن الخبر في الأساليب الابتدائية قد خرج عن هذا المقتضى وألقي مجردا من التوكيد[2]، ولا جرم أن سبب ذلك هو الإيغال في أبعاد البلاغة العميقة بما أنّ المتكلم داهية يدرك بفكره الثاقب وسرعة بديهته أنه يخاطب من هم أعلم منه، حتى وإن نفوا ذلك عن أنفسهم- تحديّا لا تواضعا- بتوجيه الأسئلة إليه، وما هذه الأسئلة إلا أساليب استفهامية وردت على أصلها رغم تعددها؛ إذ كانت بمثابة محرك للحوار الدائر بين أطراف الخطاب لا غير، فيما عدا الأسلوب الوارد في خاتمة النسق الحجاجي: « ألست أبا الفتح، ألم نُربِّك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين؟ فأي عجوز لك بسُرَّ من را»، فهو استفهام خرج عن معناه الأصلي، مركب من سؤالين (ألست، ألم / أيّ)[3]،؛ فأما الأول فقد حمل معنى التقرير باكتشاف الشخصية المحتالة، وأما الثاني فحمل معنى

---

[1] – ينظر: السابق، ص44، 45، 46، 49.

[2] – السكاكي ، مفتاح العلوم، ص258، 259؛ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، قدّم له وبوبه وشرحه: علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (دط)، 2000م، ص44، 45، 46.

[3] – الميداني، البلاغة العربية، 258/1.

الإنكار[1]، بناء على استنكار واضح من طرف الراوي بعد كشفه زيف هذه الشخصية بقوله: «فأنلته ما تاحَ، واعرض عنّا فراح، فجعلت أنفيه وأثبته، وأنكره وكأني أعرفه، ثم دلتني عليه ثناياه، فقلت: الإسكندري والله، فقد كان فارقنا خشفا، ووافانا جلفا» كما تميز هذا التركيب بظاهرة بلاغية على مستوى الألفاظ، أسهمت في نقل المعنى بصورة فنية، حيث كان لطباق الإيجاب بعد ضمني أفصح عنه التضاد الدلالي بين كل من (أنفيه وأثبته/ أنكره وأعرفه/ فارقنا ووافانا)[2].

أيضا، كان لدلالة التضمين البلاغي أثر في محاولة المحتال إقامة الدليل مرة أخرى مسوغا بذلك ما ارتكبه من جرم في حق مستمعيه بأن قال ضاحكا:

وَيْحَكَ هَذَا الزَّمَــانُ زُورُ فَـــــلاَ يَغُــرَّنَّكَ الْغُرُورُ

لاَ تَلْــــتَزِمِ حَالَــةً وَلَكِنْ دُرْ بِـالْلَّيَالِـي كَـمَا تَـدُورُ

حقيقة هذه الأبيات أنها للشاعر العباسي " أبو دلف" صوّر فيها الواقع الاجتماعي خلال حقبة زمنية محددة، سادت فيها طبقتان متباينتان؛ طبقة حشدت الأموال فعاشت حياة الترف والرفاهية في لهو ومجون، والأخرى طبقة احترفت الكدية والتسول وما ترتب عنهما من أنواع التلصص وضروب النصب والاحتيال من أجل توفير مطالب الحياة الضرورية[3]، وبالتالي كان للتضمين البلاغي بعد استدلالي واضح في سياق جديد وعلى

---

[1]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، صحح أصله: محمد عبده، محمد محمود التركيزي الشنقيطي، علق عليه: محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 2001م، ص89، 90.

[2] – عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، صححه: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ص 15.

[3] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي– الأدب القديم–، ص630، 631.

لسان قائل صنديد، بما أنه تضمين الأديب كلامه شعرا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورا[1].

في معرض هذا التحليل لا بد من الإشارة إلى أن النسق الحجاجي بعامة قد ميزته ظواهر بلاغية يمكن إجمالها حسب الآتي ذكره:

- التقييد بالنفي وفق الأداتين " لم ولا"، ولعل ذلك يأخذ بعدا تأكيديا في بعض الأساليب البلاغية بما أن التأكيد يكون في الإثبات كما يكون في النفي أيضا[2].

-التقييد بالشرط وفق حرف الشرط " لو " ، واسم الشرط " إذا"، وبالتأكيد كان لبنية التركيب الشرطي بجملته وجوابه أثر في التماس سمت البلاغة، بما أنّ الأصل في "إذا" أن يكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه[3]، أما " لو" فهي للشرط في الماضي مع القطع بانتفاء الشرط[4]، وبالتالي يكون حكم القطع سواء بالإثبات أو بالنفي القائم في أسلوب الشرط سندا بلاغيا، لا يقبل الظن والاحتمال، اتكأ عليه المتكلم أثناء استدلاله.

– التقييد بالتمييز بعد اسم التفضيل، وما أراد المتكلم من هذا المسلك البلاغي إلا أن يثبت حكما ببيان ما خفي من ذات أو نسبة[5]، فجاء إثباته في صورة موازنة تحكمت فيها صيغة اسم التفضيل " أَفْعَلَ"، لأنها صيغة تدل على أنّ

---

[1] – الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص344.

[2] – أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط و تدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، الدار النموذجية، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2000م، ص58.

[3] – الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص102.

[4] – نفسه، ص97.

[5] – احمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 156.

شيئين/ مفهومين قد اشتركا في صفة واحدة/ حكم واحد، وزاد أحدهما فيها على الآخر [1].

- قصر التراكيب الإسنادية وانسجام وحداتها الجزئية وهذا ما حقق إيقاعا موسيقيا أسهم في توجيه الأسماع ولفت الانتباه من خلال ظاهرتين اثنتين هما [2]:

- التوازي الشكلي الذي أسس له التناسب بين أنماط الجمل، وخاصة الجمل الشرطية، وأوزان الصيغ الصرفية، ومن أبرزها صيغ أسماء التفضيل.
- التوازن الصوتي الذي أثبته توافق الفواصل، إما من طريق سجع حققه تشاكل الفواصل في الوزن والحرف الأخير، وإما من طريق موازنة حققها تشاكل الفواصل في الوزن مع اختلاف حرفها الأخير، وكان هذا الجرس الموسيقي سمة بارزة من بداية النسق الحجاجي إلى نهايته.

ب- المقامة البصرية:

يؤسس خطاب الهمذاني في "المقامة البصرية" مغالطة نسقية صورية طريقها المصادرة على المطلوب، وتحققت هذه الطريق بمجرد أن حكم متكلم مجهول على كلامه الذي أراد إن يستدل من خلاله على حاله بالصحة والصدق متوجها به إلى جماعة في أحد المنتزهات حيث قال: «**يَا قَوْمُ مَا مِنْكُمْ إِلاَّ مَنْ يَلْحَظُنِي شَزْرَا، وَيُوسِعُنِي حَزْرًا، وَمَا يُنْبِئُكُمْ عَنِّي أَصْدَقُ مِنِّي**»[3]؛ ومن مقدمة الكلام هذه، شرع المتكلم ذاته في الاستدلال على ما تمّ الحكم عليه مسبقا بقوله: «**أَنَا رَجُلُ مِنْ أَهْلِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ، مِنَ الْثُّغُورِ الأَمَوِيَّةِ، قَدْ وَطَّأَ لِي الْفَضْلُ كَنَفَهُ وَرَحَّبَ بِي عَيْشٌ وَنَمَانِي بَيْتٌ، ثُمَّ جَعْجَعَ بِي الْدَّهْرُ عَنْ ثمَّهِ وَرَمِّهِ، وَأَتْلاَنِي زَغَالِيلَ حُمْرَ الْحَوَاصِلِ:**

---

[1] – ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص98 ؛ عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص71.

[2] – الميداني، البلاغة العربية، 2/ 503، 504، 512، 518.

[3] – بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ، ص 68.

كَأَنَّهُمْ حَيَّاتُ أَرْضٍ مَحْلَةٍ فَلَوْ يَعَضُّونَ لَذَكَّى سَمُّهُمْ

إِذَا نَزَلْنَا أَرْسَلُونِي كَاسِبًا وَإِنْ رَحَلْنَا رَكِبُونِي كُلُّهُمْ

وَنَشَزَتْ عَلَيْنَا البِيضُ وَشَمَسَتْ مِنَّا الصُّفْرُ، وَأَكَلَتْنَا السُّودُ وَحَطَّمَتْنَا الْحُمْرُ، وَانْتَابَنَا أَبُو مَالِكٍ، فَمَا يَلْقَانَا أَبُو جَابِرٍ إِلاَّ عَنْ عُقْرٍ وَهَذِهِ الْبَصْرَةُ مَاؤُهَا هَضُومُ وَفَقِيرُهَا مَهْضُومٌ، وَالمَرْءُ مِنْ ضِرْسِهِ فِي شُغُلٍ، وَمِنْ نَفْسِهِ فِي كَلٍّ فَكَيْفَ بِمَنْ :

يُطَوِّفُ مَا يُطَوِّفُ ثُمَّ يَأْوِي إِلَى زُغَـــبٍ مُحَـدَّدَةِ العُـيُونِ

كَسَاهُنَّ الْبِلَى شُعْثًا فَتُمْسِي جِيَاعَ النَّابِ ضَامِرَةَ البُطُونِ

ولَقَدْ أَصْبَحْنَ الْيَوْمَ وَسَرَّحْنَ الطَّرْفَ فِي حَيٍّ كَمَيِّتٍ، وَبَيتٍ كَلاَ بَيْتٍ، وَقَلَّبْنَ الْأَكُفَّ عَلَى لَيْتَ، فَفَضَضْنَ عُقَدَ الضُّلُوعِ، وَأَفَضْنَ مَاءَ الدُّمُوعِ وَتدَاعَيْنَ بِاسْمِ الْجُوعِ:

وَالفَقْرُ فِـي زَمَنِ الْلِّئَا مِ لِكُلِّ ذِي كَرَمٍ عَلاَمَهْ

رَغِبَ الكِرَامُ إِلَى اللِّئَا مِ وَتِلْـكَ أَشْـرَاطُ الْقِيَامَهْ

وَلَقَدْ اخْتِرْتُمْ يَا سَادَةُ، وَدَلَّتْنِي عَلَيْكُمُ السَّعَادَةُ ، وَقُلْتُ: قَسَمًا، إِنَّ فِيهِمْ لَدَسَمًا، فَهَلْ مِنْ فَتَى يَعَشِّيهِنَّ، أَوْ يغَشِّيهِنَّ، وَهَلْ مِنْ حُرٍّ يُغَدِّيهِنَّ أو يُرَدِّيهِنَّ؟»[1].

إنّ سياق الحجاج في هذه المقامة ليس مرهونا بموقف المتلقين؛ إذ يعتبر إقناع هذا الأخير من عدمه عاملا خارجيّا لا يؤثر في النسق الصوري للمغالطة، وكان إقرار الراوي " عيسى ابن هشام" في نهاية الخطاب بتحقق الاقتناع انبهارا وإعجابا لا شفقة وتعاطفا، مجرد اعتراف بمقدرة المتكلم واقتداره، وفي ذلك يقول: « **فَواللهِ مَا اسْتَأْذَنَ عَلَى حِجَابِ سَمْعِي كَلاَمٌ رَائِعٌ أَبْرَعُ، وَأَرْفَعُ وَأَبْدَعُ، مِمَّا سَمِعْتُ مِنْهُ، لاَ جَرَمَ إِنَّا اسْتَمَحْنَا الْأَوْسَاطَ،**

[1] – السابق، ص68 – 71.

ونَفَضْنَا الْأَكْمَامَ وَنَحَّيْنَا الْجُيُوبَ، وَنُلْتُهُ أَنَا مُطْرِفِي وَأَخَذَتِ الْجَمَاعَةُ إِخْذِي، وَقُلْنَا لَهُ: الْحَقْ بِأَطْفَالِكَ، فَأَعْرَضَ عَنَّا بَعْدَ شُكْرٍ وَفَّاهُ، وَنَشْرِ مَلَأَ بِهِ فَاهُ» [1].

إذن، ما تَمَكَّن المتكلم من إيصال معاني الحاجة والعوز، وبالتالي نجح في نيل العطايا الوفيرة، والتي كانت مطلبه منذ البداية، دون أن يثير من حوله الشبهات، إلاَّ لأنه أجاد حبك المجرى الحجاجي في نسق الخطاب بصفة عامة، حتى وإن كان هذا المجرى حلقة مفرغة دار فيها المتكلم انطلاقا من مقدمة يفترض أن تكون نتيجة مؤجلة، وهذا بالذات ما تمكن المنطق الصوري من معارضته، حيث بيّنت "قاعدة التقابل بالدخول تحت التضاد" أنّ النسق الصوري الذي وردت فيه الأحكام نسق مغالط[2].

والمخطط الآتي يوضح ذلك:

[1] – السابق، ص71، 72.

[2] –ينظر: ماهر عبد القادر محمد علي، المنطق ومناهج البحث، ص55– 60.

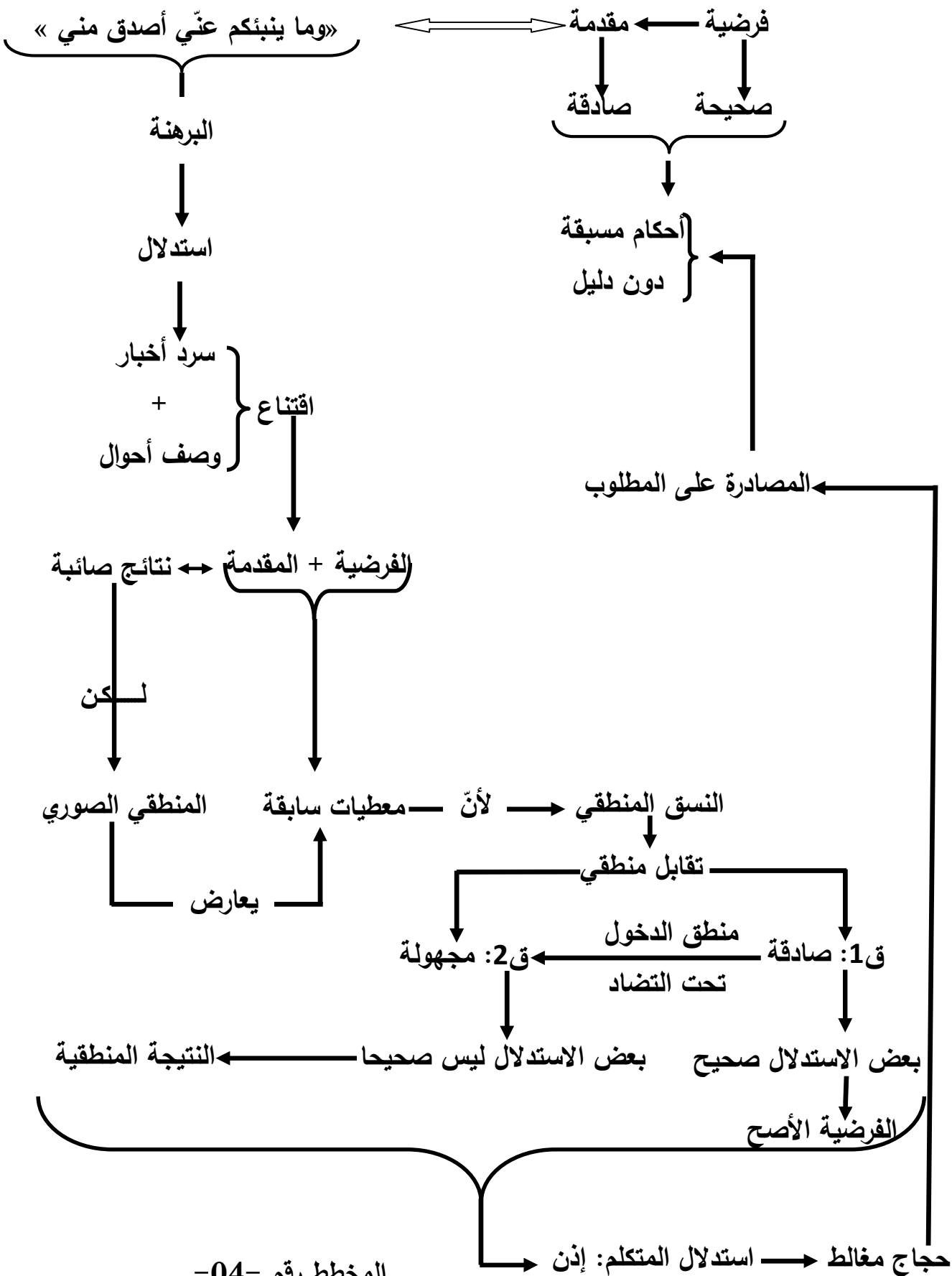

المخطط رقم -04-

من المخطط، يتضح أنّ المستدل استهل برهانه وفق أسلوب خبري إنكاي(*)، غرضه نقل حكم إلى متلق منكر له، فوجب توكيده (تركيب إسنادي اسمي+ أسلوب قصر بأداة النفي "ما" و أداة الاستثناء "إلاّ") من أجل تحصيل اليقين و إحلاله محل الإنكار[1]، وذلك بقوله :«**مَا مِنْكُمْ إلاَّ مَنْ يَلْحَظُنِي شَزْرًا، وَيُوسِعُنِي حزْرًا، وَمَا يُنَبِئُكُمْ عَنِّي، أصْدَقَ مِنِّي**»، و من ذات المسلك عَبَر مرة أخرى لينقل تفاصيل النسق الاستدلالي الذي فيه يقول :«**أَنَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الإسْكَنْدَرِيَّة، مِنَ الثُّغُورِ الأُمَوِيَّةِ، قَد وَطَّأَ لِيَ الفَضْلُ كَنَفَهُ وَرَحَبَ بِي عَيْشٌ وَنَمَانِي بَيْتٌ، ثُمَّ جَعْجَعَ بِيَ الدَّهْرُ عَنْ ثَمِّهِ وَرِمِّهِ، وَأَتْلانِي زَغَالِيلَ حُمْرَ الحَوَاصِلِ** :

كَأَنَّهُمْ حَيَّاتُ أَرْضٍ مَحَلَةٍ فَلَوْ يَعَضُوْنَ لَذَكَّى سَمُهُمْ

إِذَا نَزَلْنَا أَرْسَلُونِي كَاسِبًا وَإِنْ رَحَلْنَا رَكِبُونِي كُلُّهُمْ

ونَشَزَتْ عَلَيْنَا البِيضُ وشَمَسَتْ مِنَّا الصُّفْرُ، وَأَكَلَتْنَا السُّودُ وَحَطَّمَتْنَا الحُمْرُ، وانْتَابَنَا أَبُو مَالِكٍ، فَمَا يَلْقَانَا أَبُو جَابِرٍ إِلَّا عَنْ عُقْرٍ وَهَذِهِ البَصْرَةُ مَاؤُهَا هَضُوم وفَقِيرُهَا مَهْضُومٌ، والمَرْءُ مِنْ ضِرْسِهِ في شُغُلٍ، ومِن نَفْسِهِ فِي كَلٍّ فَكَيْفَ بِمَنْ:

يُطَوِّفُ مَا يُطَـوِّفُ ثُمَّ يَأْوِي إِلَى زُغْــبٍ مُحـدَّدَةِ العُـيُونِ

كَسَاهُنَّ البِلَى شُعْثًا فَتُمْسِي جِيَاعَ النَّابِ ضَامِرَةَ البُطُونِ

وَلَقَدْ أَصْبَحْنَ اليَوْمَ وَسَرَّحْنَ الطَّرْفَ في حيٍّ كَمَيْتٍ، وَبَيْتِ كَلَا بَيْتٍ، وَقَلَّبْنَ الأكُفَّ على لَيْتَ، فَفَضَضْنَ عُقْدَ الضُّلُوعِ، وَأَفَضْنَ مَاءَ الدُّمُوعِ وَتَدَاعَيْنَ بِاسْمِ الجُوعِ:

وَالفَقْرُ فِي زَمَنِ اللَّئَا مِ لِكُلِّ ذِي كَرَمٍ عَلَامَهْ

(*)– بغض النظر عن أسلوب النداء في فاتحة النسق الحجاجي؛ لأنه أسلوب استفتح به النسق الحجاجي بعامة وغرضه من ذلك لفت الانتباه لا غير.

(1) –السكاكي، مفتاح العلوم، ص401، 405.

رَغِبَ الكِرَامُ إلى اللِّئَا مِ وَتِلْكَ أَشْـرَاطُ القِيـامَهْ

وَلَقَدِ اخْتَرْتُمْ يَا سَادَة، وَدَلَّتْنِي عَلَيْكُمُ السَّعَادَةُ، وَقُلْتُ: قَسَمًا، إِنَّ فِيهِمْ لَدَسَمًا».

وبالتالي كان الأسلوب الخبري، ولكن الطلبي هذه المرة، بما أنّه قائم في كل جزء من أجزاء البنية الاستدلالية على مؤكدات هي على الترتيب[1]:

- اسمية التركيب الإسنادي:«أنا رجل اسكندري... الأموية».
- أداة التحقيق "قد": «قد وطأ.... كلهم».
- أسلوب القصر بأداة النفي "ما" وأداة الاستثناء "إلَّا": «ونشزت... فما يلقانا أبو جابر إلا عن عقر».
- اسمية التركيب الإسنادي في كل من: «وهذه البصرة... مهضوم»، و«المرء في ضرسه... ضامرة البطون».
- القسم المقدر بـ"لقد":«ولقد أصبحن... أشراط القيامة».

إلا أن أسلوب الخاتمة–خاتمة الاستدلال– قد اختلف، حيث قيل: «**وَلَقَدْ أُخْتَرْتُمْ يَا سَادَةُ، وَدَلَّتْنِي عَلَيْكُمْ السَّعَادَةُ، وَقُلْتُ قَسَمًا، إِنَّ فِيهِمْ لَدَسَمًا، فَهَلْ مِنْ فَتًى يُعَشِّيهِنَّ، أَوْ يَغَشِّيهِنَّ؟ وَهَلْ مِنْ حُرٍّ يُغَدِّيهِنَّ أَوْ يُرَدِّيهِنَّ؟**»، وما هذا إلا أسلوب خبري إنكاري تعددت مؤكداته وتنوعت حسب الآتي ذكره[2]:

- القسم المقدر بـ"لقد" والقسم الظاهر باللفظة "قسما":«ولقد اخترتم... قسما».
- التقييد بأداتي التوكيد "إنّ" و "اللَّام": «إن فيهم لدسما».
- إثبات "نون التوكيد الثقيلة" في أكثر من موضع: «...يعشّيهنّ أو يغشيهنّ... يُغدّيهن أو يردّيهنّ».

---

[1] – الميداني، البلاغة العربية،185/1– 188؛أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص178.

[2] – الميداني، البلاغة العربية، 188/1، 189.

وبهذا الإنكار خلال هذه المرحلة من مراحل الخطاب خرج الخبر عن مقتضى ظاهره، بما أن المتلقي قبل ذلك كان شاكا وليس منكرا، وتفسير ذلك انتقال المتكلم من وضعية الاستدلال إلى حالة عمد فيها إلى الاسترحام والاستعطاف، وما هذا إلا غرض بلاغي أبانته معطيات السياق اللغوية وقرائن الأحوال المقامية السابقة[1].

زيادة على ذلك تخلل هذه الأساليب الخبرية أسلوب إنشائي، طريقه استفهام خرج عن معانيه الأصلية إلى معان مجازية في موضعين اثنين، فأما الأول فتمّ بأداة الاستفهام "كيف": «فكيف بمن...ظامرة البطون»، وكان غرضه التهويل أي التفظيع والتفخيم لشأن المستفهم عنهم[2]، وكيف لا وهم مُجرد أحداث صغار تمكن الجوع منهم فأرداهم في حالة مزرية، ضف إلى ذلك حالة البؤس والشقاء التي يكابدها الوالد في طلبه الرزق ولكن دون جدوى.

أما الثاني فتحقق بأداة الاستفهام "هل":«فهل من فتى...، وهل من حرّ... يردّيهن»، والغرض من ذلك "الأمر"[3]، ولكنه أمر من نوع خاص، أوحت به دلالة عميقة تحمل معنى الطلب برفق ولين، من الأدنى إلى الأعلى علي سبيل الالتماس، وفي هذا بعد واضح عن المعنى الحقيقي الذي هو طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى على وجه الوجوب والإلزام استعلاءً[4].

كما كان لبعض المحسنات البديعية أثر في توجيه مجرى الإيقاع الموسيقي منها على مستوى المعنى طباق الإيجاب بين (ثمّه/رمّه) و (حيّ/ ميت)، أما على مستوى اللفظ فيوجد جناس بين (يعشّيهن/ يغشّيهن) و (يغدّيهن/ يردّيهن)، وهو غير تام، لأنّ كل

---

(1) – عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص60، 61.

(2) – نفسه، ص92، الميداني، البلاغة العربية،283/1، 284.

(3) – الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص136؛ الميداني، البلاغة العربية، 288/1.

(4) – السكاكي، مفتاح العلوم، ص428.

لفظتين من الألفاظ السابقة حدث فيهما اختلاف في أنواع الحروف، وفيما عدا هذا، تفرد السجع بالسلطة في أداء المهام التحسينية ضمن مختلف أجزاء الخطاب[1].

ج- المقامة الفزاريّة:

أيضا، "المقامة الفزارية" بنية خطابية كبرى، من خلالها سلك الهمذاني مسلك المغالطة السابقة على لسان شخصيتين اثنتين فقط، فأما الأولى فشخصية الراوي "عيسى بن هشام"، وأمّا الثانية فشخصية المحتال "أبو الفتح الإسكندري" الذي تنكّر في هيئة مرشد فصيح، وتفاصيل الأحداث فيما يلي:« **حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ فِي بَعْضِ بِلاَدِ فَزَارَةَ مُرْتَحِلاً نَجِيبَةً، وقَائِدًا جَنِيبَةً، يَسْبَحَانِ بِي سَبْحًا، وأَنَا أَهِمُّ بِالوَطَنِ فَلَا اللَّيْلُ يَثْنِينِي بِوَعِيدِهِ، ولاَ البُعْدُ يَلْوِينِي بِبِيدِهِ، فَظَلَلْتُ أَخْبِطُ وَرَقَ النَّهَارِ بِعَصَا التَّسْيَارِ، وَأَخُوضُ بَطْنَ اللَّيْلِ، بِحَوَافِرِ الخَيْلِ، فَبَيْنَا أَنَا فِي لَيْلَةٍ يَضُلُّ فِيهَا الغَطَاطُ، ولاَ يُبْصِرُ فِيهَا الوَطْوَاطُ، أَسِيحُ سَيْحًا ولاَ سَانِحَ إلاَّ السَّبُعُ، ولاَ بَارِحَ إلاَّ الضَّبُعُ، إذْ عَنَّ لِي رَاكِبٌ تَامُّ الآلاَتِ يَؤُمُّ الأَثْلاَتِ، يَطْوِي إليَّ مَنْشُورَ الفَلَوَاتِ، فَأَخَذَنِي مِنْهُ مَا يَأْخُذُ الأَعْزَلَ، مِنْ شَاكِي السِّلاحِ، لَكِنِّي تَجَلَّدْتُ فَقُلْتُ: أَرْضَكَ لَا أُمَّ لَكَ فَدُونِكَ شَرْطُ الحِدَادِ، وَخَرْطُ القَتَادِ، وَخَصْمٌ ضَخْمٌ، وَحَمِيَّةٌ أَزْدِيَّةٌ، وأَنَا سِلْمٌ إنْ شِئْتَ، وحَرْبٌ إنْ أَرَدْتَ، فَقُلْ لِي مَنْ أَنْتَ، فَقَالَ: سِلْمًا أَصَبْتَ، فَقُلْتُ: خَيْرًا أَجَبْتَ فَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: نَصِيحٌ إنَ شَاوَرْتَ، فَصِيحٌ إنْ حَاوَرْتَ، ودُونِ اسْمِي لِثَامٌ، لاَ تُمِيطُهَ الأَعْلاَمُ، قُلْتُ: فَمَا الطُّعْمَةُ؟ قَالَ: أَجُوبُ جُيُوبَ البِلاَدِ، حَتَّى أَقَعَ عَلَى جَفْنَةِ جَوادٍ، ولِي فُؤَادٌ يَخْدِمُهُ لِسَانٌ، وَبَيَانٌ يَرْقُمُهُ بَنَانٌ، وقُصَارَايَ كَرِيمٌ يَخْفِضُ لِي جَنِيبَتَهُ، وَيَنْفُضُ إليَّ حَقِيبَتَهُ، كَابْنِ حُرَّةٍ طَلَعَ عَلَيَّ بِالأَمْسِ، طُلُوعَ الشَّمْسِ، وغَرَبَ عَنِّي بِغُرُوبِهَا لَكِنَّهُ غَابَ وَلَمْ يَغِبْ تَذْكَارُهُ، وَوَدَّعَ وشَيَّعَتْنِي آثَارُهُ، ولاَ يُنْبِئُكَ عَنْهَا أَقْرَبُ مِنَهَا، وَأَوْمَأَ إلَى مَا كَانَ لَبِسَهُ، فَقُلْتُ: شَحَّاذٌ وَرَبِّ الكَعْبَةِ أَخَّاذٌ، لَهُ فِي الصَّنْعَةِ نَفَاذٌ، بَلْ هُوَ**

[1] – ينظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، ص4، 7، 8، 9، 10 ،14، 15.

فِيهَا أُسْتَاذٌ، ولاَ بُدَّ مِنْ أَنْ تَرْشَحَ لَهُ وَتَسِحَّ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا فَتَى قَدْ جَلَّيْتَ عِبَارَتَكَ فَأَيْنَ شِعْرُكَ مِنْ كَلاَمِكَ؟ فَقَالَ: وأَيْنَ كَلاَمِي مِنْ شِعْرِي؟ ثُمَّ اسْتَمَدَّ غَرِيزَتَهُ، ورَفَعَ عَقِيرَتَهُ، بِصَوْتٍ مَلأَ الوَادِي وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

وَأَرْوَعَ أَهَــدَاهُ لِـي اللَّيْـلُ والْفَلاَ وَخَمْسٌ تَمَسُّ الأَرْضَ لَكِنْ كَلاَ وَلاَ

عَرَضْتُ عَلَى نَارِ المَكَارِمِ عُودَهُ فَكَانَ مُعَــمًّا فِي السِّيَادَةِ مُخْـوَلاَ

وخَادَعَتُهُ عَنْ مَالِـهِ فَخَــدَعْتُهُ وَسَاهَـــلْتُــهُ مِنْ بِــرِّهِ فَتَــسَهَّـلاَ

ولَمَّا تَجَالَيْـنَا وأَحْمَـدَ مَنْـطِقِي بَلاَنِــي مِنْ نَظْـمِ القَرِيضِ بِمَا بَلاَ

فَمَا هَزَّ إِلاَّ صَارِمًا حِينَ هَزَّنِي وَلَمْ يَلْقَــنِي إِلاَّ إِلَى السَّـبْقِ أَوَّلاَ

وَلَـــمْ أَرَهُ إِلاَّ أَغَــرَّ مُحَجَّـلاَ وَمَـا تَحـــته إِلاَّ أَغَــرَّ مُحَـــجَّلاَ

فَقُلْتُ لَهُ: عَلَى رِسْلِكَ يَا فَتَى وَلَكَ فِيمَا يَصْحَبُنِي حُكْمُكَ، فَقَالَ: الْحَقِيبَةُ بِمَا فِيهَا، فَقُلْتُ: إِنَّ وَحَامِلَتَهَا، ثُمَّ قَبَضْتُ بِجُمْعِي عَلَيْهِ وقُلْتُ: لاَ والذِّي أَلْهَمَهَا لَمْسًا، وشَقَّهَا مِنْ واحِدَةٍ خَمْسًا، لاَ تُزَايِلْنِي أَوْ أَعْلَمَ عِلْمَكَ، فَحَدَرَ لِثَامَهُ عَنْ وَجْهِهِ فَإِذَا هُوَ واللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ » [1].

ومنه، يمكن إجمال مراحل الحجاج في هذه البنية وفق المخطط الآتي:

[1] – بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص72– 77.

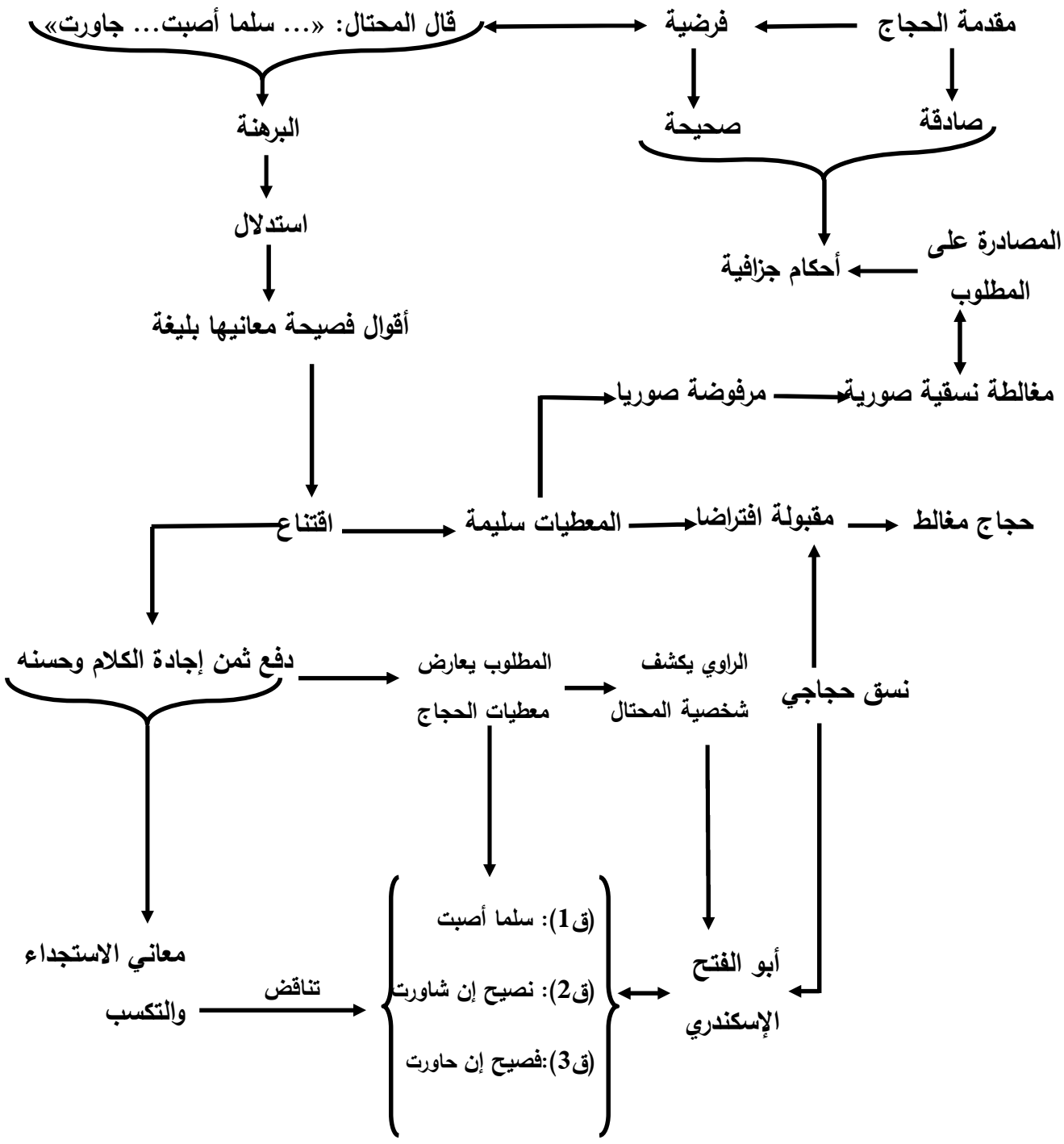

المخطط رقم -05-

إذن، المقامة الفزارية خطاب حجاجي، اعتمد فيه الأديب على أساليب بلاغية محققا إياها وفق حوار متبادل بين طرفين هما الراوي والمحتال، واستفتح الأول منهما الحديث بتراكيب لغوية واصفا من خلالها كيف التقى بهذا الذي أراد ن يحتال عليه، ثم نقل تفاصيل الأحداث وفق أسلوب خبري ابتدائي هيمن على نسق الاستدلال كله، فيما عدا ضرب طلبي اعتمده المحتال في بداية استدلاله، وآخر إنكاري لجأ إليه في حبك مكيدته، فأما الأول فتوسل به لتأسيس مقدمة حجاجية ابتداء من: «**فَقَالَ: سِلْمًا أَصَبْتَ، فَقُلْتُ: خَيْرًا أَجَبْتَ فَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: نَصِيحٌ إِنْ شَاوَرْتَ، فَصِيحٌ إِنْ حَاوَرْتَ**»[1]، وهي مقدمة دعائمها ثلاثة تراكيب إسنادية واقعة ضمن تركيب إسنادي أكبر تحدّه لفظة الفعل "قال" (جملة مقول القول) [2].

- التركيب الإسنادي الأول: ورد جملة فعلية بصيغة الماضي، تقدم فيها المفعول به على الفعل، والقصد من ذلك تأكيد اختصاصه به[3]: «فقال: سلما أصبت».
- التركيبان الإسناديان الثاني والثالث: ورد كل منهما جملة اسمية محذوفة المسند إليه تقديره "أنا"، والعامل المرجّح لهذا الحذف هو وقوع المبتدأ بعد القول مباشرة: «قال: نصيح إن شاورت، فصيح إن حاورت»، والقرينة الدالة على ذلك مقالية لفظية قبلية، يحيل إليها استفهام الراوي عن المسند إليه ذاته بقوله:«فمن أنت؟»[4]، فتكون الإجابة على وجه التقدير: «أنا نصيح إن شاورت وأنا فصيح إن حاورت»، وبالتالي حذف المبتدأ في هذا الموقف حذفا تقتضيه البلاغة، لأنّ فيه

---

[1] – السابق، ص73.

[2] – ينظر: عبده الراجحي، التطبيق النحوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1988م، ص333، 334.

[3] – الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص115.

[4] – عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص121؛ عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص91.

فرصة لصاحب الرأي المستدل عنه بتعجيل الاطمئنان بالمسند الذي هو خبر محكوم به على إثبات فائدة الكلام التي ينتظرها المتلقي[1].

أما الضرب الثاني فقد ورد في خاتمة الاستدلال مثقلا بمعاني الفخر والمدح احتيالا من خلال البيتين[2]:

فَمَا هَزَّ إِلَّا صَارِمًا حِينَ هَزَّنِي وَلَمْ يَلْقَنِي إِلَّا إِلَى السَّبْق أَوَّلًا

وَلَـمْ أَرَهُ إِلَّا أَغَـــرَّ مُحَـجَّلًا وَمَا تَحْـــتَهُ إِلَّا أَغَـرَّ مُحَجَّلًا

من المعلوم أن أسلوب القصر من أقوى طرق التأكيد، ومرد ذلك إلى طبيعة مفهومه الإصلاحي، فهو تخصيص شيء بشيء، أو تخصيص أمر بآخر من طرق مخصوصة[3]، والطريق المخصوصة التي سلكها منشد هذين البيتين هي النفي بالأداتين "لم" و"ما"، ثم الاستثناء بالأداة "إلَّا"، وهو أسلوب قصر إضافي، ورد في البيت الأول قصر تعيين بما أن القائل كان يفتخر بنفسه من أجل إقناع المخاطب المتردد، أما القصر في البيت الثاني فقد ورد قصر إفراد، لأن المخاطب–بالتأكيد– لم يكن يعلم بأنه يتفرد بكل تلك الصفات التي امتدحه بها مبالغا في معانيها[4].

من هذه المعاني، انتبه "ابن هشام" إلى حقيقة الاستجداء التي سعى إليها "أبو الفتح"، وبعد أن صرّح هذا الأخير بهذه النيّة علنا، تأكدت شكوكه أثناء تحاورهما وهما يتجادلان:« **فَقُلْتُ لَهُ: عَلَى رِسْلِكَ يَا فَتَى وَلَكَ فِيمَا يَصْحَبُنِي حُكْمَكَ، فَقَالَ: اَلْحَقِيبَةُ بِمَا فِيهَا، فَقُلْتُ: إِنَّ وَحَامِلَتَهَا، ثُمَّ قَبَضْتُ بِجُمْعِي عَلَيْهِ وَقُلْتُ: لَا وَالَّذِي أَلْهَمَهَا لَمْسًا،**

---

[1] – السكاكي، مفتاح العلوم، 265، 266.

[2] – بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص76.

[3] – الميداني، البلاغة العربية، 523/1.

[4] – الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص121، 122، 123.

وَشَقَّهَا مِنْ وَاحِدَةٍ خَمْسًا، لَا تُزَايِلْنِي أَوْ أَعْلَمَ عِلْمَكَ، فَحَدَرَ لِثَامَهُ عَنْ وَجْهِهِ فَإِذَا هُوَ واللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْح اَلْإِسْكَنْدَرِيُّ»[1]، وبانكشاف حيلة "أبي الفتح" ختم "ابن هشام" المقامة بأبيات مضمّنة تحمل معاني اللوم والذّم قائلا[2]:

تَوَشَّـحْتُ أَبَـا الْفَـتْحِ بِهَـذَا السَّـيْفِ مُـخْتَالًا

فَمَـا تَصْـنَعُ بِالسَّـيْفِ إِذَا لَـمْ تَـكُ قَـتَّـالًا

فَـصُغْ مَا أَنْـتَ حَلَّيْتَ بِـهِ سَيْـفَكَ خَلْـخَالَا.

[1] – بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص76.

[2] – نفسه، ص77.

2- أساليب المغالطة بتجاوز الحجة:

تنشأ المغالطة بتجاوز الحجة حين يتجاوز الشخص المقدمات ليصل إلى نتيجة تتسق مع هذه المقدمات، ولكنها لا تلزم عنها[1]، ويمكن اختصار هذا المفهوم في التمثيل الآتي:

مقدمات منطقية (م1+م2+م3...) ⟸ نتيجة متسقة صوريا مقحمة دلاليا.

إن ما ورد في المقامات الآتي ذكرها يوافق هذا المفهوم، ويمثل له بصورة وظيفيّة:

أ- المقامة الجاحظية:

يقول الهمذاني من المقامة الجاحظية: « **فَقَال الرَّجُلُ [أبُو الفتْح الإسكندري]: أَيْنَ أَنْتُمْ مِنَ الحَدِيثِ الَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ [الحديث عن الجاحظ]؟ فأَخَذْنَا فِي وَصْفِ الجَاحِظِ وَلَسَنِهِ، وَحُسْنِ سَنَنِهِ في الفَصَاحَةِ وَسُنَنِهِ فِيمَا عَرَفْنَاهُ، فَقَالَ: يَا قَوْمُ لِكُلِّ عَمَلٍ رِجَالٌ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ، وَلِكُلِّ دَارٍ سُكَّانٌ، وَلِكُلِّ زَمَانٍ جَاحِظٌ، وَلَو اِنْتَقَدْتُمْ، لَبَطَلَ مَا اِعْتَقَدْتُمْ**»[2].

من الواضح أن "أبا الفتح" يستدل على أنّ ما اِتفق عليه المتحدّثون غير صحيح، فلجأ إلى مسلّمات صادقة صدقا واقعيا استنتج من خلالها حكما وإن كان لا يتعارض معها فهو لا يلزم عنها بالضرورة؛ لأن من السهل جِدًّا استبدال كل مسلمة من هذه المسلمات بأخرى، دون أن يتأثر الحكم النّاجم عن النتيجة نفسها.

والمخطط الآتي يشرح ذلك:

---

[1] – محمد مهران رشوان، قضايا أساسية في المنطق، ص101.

[2] – بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص79، 80.

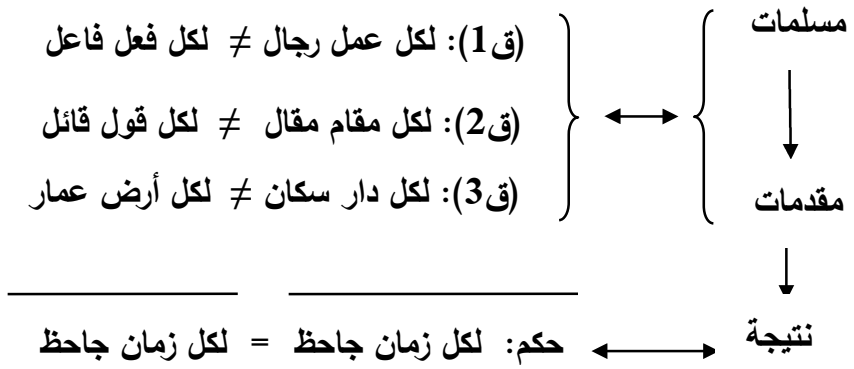

المخطط رقم -06-

إنّ ما يؤكد وجه المغالطة في هذا التركيب هو الأسلوب الإنكاري، فالمعارض لجأ إلى طرح دلائله – بل أفكاره– مؤكدا إياه بأكثر من مؤكد متوهما إنكار المتلقي، فتحقق التأكيد وفق تراكيب اسميّة تقدم مسندها وجوبا[1]، بما أنّه شبه جملة جار ومجرور، وفي هذه الحالة لا يمكن أن يرد المسند إليه المؤخر إلا نكرة، وبتقديم ما حقه التأخير (خبر+ مبتدأ) ثبت أسلوب القصر[2]، تلى هذه التراكيب تركيب شرطي مقيد بأداة الشرط "لو" امتنع جواب شرطه لامتناع فعل الشرط[3].

ب – المقامتان الحِرزيّة والشيرازيّة:

إنّ ما ورد في كل من المقامتين، "الحرزيّة ":

وَيْكَ لَوْلَا الصَّبْرُ مَا كُنْـ ـتُ مَـلَأْتُ الْكِيسَ تِبْرًا[4]

---

[1] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص99.

[2] – فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000م، 153/1، 154.

[3] – نفسه، 89/4.

[4] – بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص126.

والشيرازيّة:« **وَالمَعْرِفَةُ عِنْدَ الْكِرَام حُرْمَةٌ، وَالْمَوَدَّةُ لُحْمَةٌ، فَقُلْتُ: أَبَلَدِيٌّ أَنْتَ أَمْ عَشِيرِيٌّ؟ فَقَالَ: مَا يَجْمَعُنَا إِلَّا بَلَدُ الغُرْبَةِ، وَلَا يَنْظِمُنَا إِلَّا رَحِمُ الْقُرْبَةِ، فَقُلْتُ: أَيُّ الطَّرِيقِ شَدَّنَا فِي قَرَنٍ؟ قَالَ: طَرِيقُ اليَمَنِ** »[1]، على الترتيب، ما هو إلَّا مغالطة من طريق تجاوز الحجة، حيث تجاوز الأديب الحجة – في الأولى– على لسان بطله حين أوعز امتلاء الكيس تبرا لشدّة صبره وتحمّله، وفي الحقيقة ما ذلك إلَّا نتيجة حيلة ودهاء بالغين، ودليل ذلك قوله بعد البيت السابق[2]:

لَنْ يَنَالَ المَجْدَ مَنْ ضَا قَ بِمَا يَغْشَاهُ صَدْرَا

ثُمَّ مَا أَعْقَبَنِي السَّا عَةَ مَا أُعْطِيتُ ظَرَّا

أمّا اعتباره المعرفة حرمة والمودة لحمة في الثانية ما هو إلى تواضع عرفي لا يصحّ في نسق حجاجي على سبيل القطع، لأنّ نتائج هذا التواضع لا تلتزم بالضرورة خارج إطارها العرفي.

وما ميز التركيبين هو الضرب الخبري الطلبي، فالتقييد في المقامة الحرزيّة بأداة الشرط "لولا" مضافا إليها أداة النفي "ما"، واسميّة الجملة في المقامة الشيرازية، عملا على توكيد الخبر لمتلقٍ جاهل بحقيقة الخبر، وفي هذا خروج عن مقتضى الظاهر أدى إليه مقام المغالطة النسقية[3].

---

[1] – السابق، ص179.

[2] – نفسه، ص126، 127.

[3] – ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النّحو، 133/4.

3- أساليب المغالطة بتجاهل المطلوب (إثبات غير المطلوب):

تحدث هذه المغالطة عندما يتجاهل الإنسان ما يجب البرهنة عليه ضد الخصم، فيبرهن على شيء آخر غيره موهما المتلقي أنه قد برهن على المطلوب البرهنة عليه، وبالتالي قد يكون النسق البرهاني صحيحا من الوجهة المنطقية، ولكنّ المغالطة متحققة، لأن المحاجج عمد إلى البرهنة على نتيجة غير النتيجة المطلوبة[1]، وتجاهل المطلوب هذا يتم بأساليب مختلفة، منها ما ورد في المقامتين "السجستانية والقزوينية"، وإن اختلفت أساليب المقامتين فإن طريقهما واحدة، حيث لم يعمد المغالط إلى تحريف كلام الخصم ثم العمل على إثبات بطلان هذا الكلام محرفا، وإنما لجأ إلى طرح قضايا- في المقامتين- لا علاقة لها بالنتيجة التي يجب أن يبرهن عليها، وفي هذه الحالة سعى المغالط وكلّ جهده بذل لإثبات صحّة غير المطلوب[2].

فقال في الأولى: «**مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنَا أُعَرِّفُهُ بِنَفْسِي، أَنَا بَاكُورَةُ اليَمَنِ، وَأُحْدُوثَةُ الزَّمَنِ، وَأَنَا أُدْعِيَّةُ الرِّجَالِ، وَأُحْجِيَّةُ رَبَّاتِ الحِجَالِ، سَلُوا عَنِّي البِلَادَ وَحُصُونَهَا، وَالْجِبَالَ وَحُزُونَهَا، وَالأَوْدِيَةَ وَبُطُونَهَا، وَالبِحَارَ وَعُيُونَهَا، وَالْخَيْلَ وَمُتُونَهَا، مَنِ الَّذِي مَلَكَ أَسْوَارَهَا، وَعَرَفَ أَسْرَارَهَا، وَنَهَجَ سَمْتَهَا، وَوَلَجَ حَرَّتَهَا، سَلُوا المُلُوكَ وَخَزَائِنَهَا، وَالأَغْلَاقَ وَمَعَادِنَهَا، والأُمُورَ وَبَوَاطِنَهَا، وَالعُلُوم وَمَوَاطِنَهَا، وَالْخُطُوبَ وَمَغَالِقَهَا، وَالْحُرُوبَ وَمَضَائِقَهَا، مَن الَّذِي أَخَذَ مُخْتَزَنَهَا، وَلَمْ يُؤَدِّ ثَمَنَهَا، وَمَنَ الَّذِي مَلَكَ مَفَاتِيحَهَا، وَعَرَفَ مَصَالِحَهَا، أَنَا واللهِ فَعَلْتُ ذَلِكَ وَسَفَرْتُ بَيْنَ المُلُوكِ الصَّيدِ، وَكَشَفْتُ أَسْتَارَ الْخُطُوبِ السُّودِ، أَنَا وَاللهِ شَهِدْتُ حَتَّى مَصَارِعَ العُشَّاقِ، وَمَرِضْتُ حَتَّى لِمَرَضِ الْأَحْدَاقِ وَهَصَرْتُ الغُصُونَ النَّاعِمَاتِ وَاجْتَنَيْتُ وَرْدَ الخُدُودِ وَالمُوَرِّدَاتِ، وَنَفَرْتُ مَعَ ذَلِكَ**

---

[1] – محمد فتحي الشنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، ص106؛ محمد مهران رشوان، قضايا أساسية في المنطق، ص100.

[2] – ينظر: محمد فتحي الشنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، ص106.

عَنِ الدُّنْيَا نُفُورَ طَبْعِ الكَرِيم عَنْ وُجُوهِ اللِّئَامِ، وَنَبَوْتُ عَنِ المُخْزِيَاتِ نُبُوَّ السَّمْعِ الشَّرِيفِ عَنْ شَنِيعْ الكَلَامِ، وَالآنَ لَمَّا أَسْفَرَ صُبْحُ المَشِيبِ وَعَلَتْنِي أُبَّهَةُ الكِبَرِ عَمَدْتُ لِإِصْلَاح أَمْرِ المَعَادِ، بِإِعْدَادِ الزَّادِ، فَلَمْ أَرَ طَرِيقًا أَهْدَى إلى الرَّشَادِ مِمَّا أَنَا سَالِكُهُ، يَرَانِي أَحَدُكُمْ رَاكِبَ فَرَسٍ، نَاثِرَ هَوَسٍ، يَقُولُ هَذَا أَبو الْعَجَبِ، لَا وَلَكِنِّي أَبُو الْعَجَائِبِ عَايَنْتُهَا وَعَانَيْتُهَا، وَأُمُّ الكَبَائِرِ قَايَسْتُهَا وقَاسَيْتُهَا، وَأَخُو الأَغْلَاقِ صَعْبًا وَجَدْتُهَا، وَهَوْنًا أَضَعْتُهَا، وَغَالِيًا اِشْتَرَيْتُهَا وَرَخِيصًا اِبْتَعْتُهَا، فَقَدْ واللهِ صَحِبْتُ لَهَا المَوَاكِبَ، وَزَاحَمْتُ المَنَاكِبَ، وَرَعَيْتُ الكَوَاكِبَ، وَأَنْضَيْتُ المَرَاكِبَ، دُفِعْتُ إلى مَكَارِهَ نَذَرْتُ مَعَهَا أن لَا أَدّخِرَ عَنِ المُسْلِمِينَ مَنَافِعَهَا، وَلَا بُدَّ لِي أَنْ أَخْلَعَ رِبْقَةَ هَذِهِ الأَمَانَةِ مِنْ عُنُقِي إلى أَعْنَاقِكُمْ، وَأَعْرِضَ دَوَائِي هَذَا فِي أَسْوَاقِكُمْ، فَلْيَشْتَرِ مِنِّي مَنْ لَا يَتَقَزَّزُ مِنْ مَوْقِفِ العَبِيدِ، وَلَا يَأْنَفُ مِنْ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَلْيَصُنْهُ من أَنْجَبَتْ جُدُودُهُ، وَسُقِيَ بِالمَاءِ الطَّاهِرِ عُودُهُ»[1].

وقال في الثانية[2]:

أَدْعُو إِلى اللهِ فَهَلْ مِن مُجيب ... إلى ذَرًا رَحْبٍ وَمَرْعَى خَصِيبْ

وَجَنَّةٍ عَالِيَةٍ مَا تَنِي ... قُطُوفُهَا دَانِيَةً مَا تَغِيبْ

يَا قَوْمُ إِنِّي رَجُلٌ تَائِبٌ ... مِنْ بَلَدِ الْكُفْرِ وَأَمْرِي عَجِيبْ

إِنْ أَكُ آمَنْتُ فَكَمْ لَيْلَةٍ ... جَحَدْتُ رَبِّي وَأَتَيْتُ المُرِيبْ

يَا رُبَّ خِنْزِيرٍ تَمَشَّشْتُهُ ... وَمُسْكِرٍ أَحْرَزْتُ مِنْهُ النَّصِيبْ

ثُمَّ هَدَانِي اللهُ وَانْتَشَانِي ... مِنْ ذِلَّةِ الكُفْرِ اجْتِهَادُ المُصِيبْ

فَظَلْتُ أُخْفِي الدِّينَ فِي أُسْرَتِي ... وَأَعْبُدُ اللهَ بِقَلْبٍ مُنِيبْ

---

[1] – بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص23–28.

[2] – نفسه، ص92، 93، 94.

أَسْـجُدُ لِـــلَّاتِ حِـذَارَ العِدَى وَلَا أَرَى الكَـعْبَةَ خَـوْفَ الـرَّقِيـبْ

وَأَسْـأَلُ اللهَ إِذَا جَـنَّـنِـــي لَيْـــلٌ وَأَضْـنَانِيَ يَـوْمٌ عَصِيبْ

رَبِّ كَـــمَا أَنَّـكَ أَنـقَذْتَـنِي فَنَجِّـنِـي إِنَّنِـــي فِيـــهِـمْ غَـريـبْ

ثُمَّ اِتَّـخَذْتُ اللَّيْـلَ لِي مَرْكَبًـا وَمـــا سِـوَى العَزْمِ أَمَامِي جَنِيبْ

فَـقَـدْكَ مِن سَيْرِيَ فِي لَيـْلَـةٍ يَكَـــادُ رَأْسُ الطِّـفْلِ فِيـــهَا يَشِـيبْ

حَتَّى إِذَا جُـزْتُ بَـلَادَ العِدَى إِلَى حِـمَى الـــدِّينِ نَفَضْتُ الوَجِيبْ

فَقُلْتُ إِذْ لَاحَ شِعَـارُ الهُدَى نَصـْـرٌ مِـنَ اللهِ وَفَـتْحٌ قَـريـبْ

في الواقع إنّ نجاح هذه المغالطة يتوقف على فشل الملتقي في ملاحظة استبدال النتيجة المطلوبة (الغرض من الفخر في المقامة الأولى والدعوة إلى الله في الثانية) بالنتيجة غير الملائمة (التكسب والاستجداء في المقامتين)، زد على ذلك أن هذا الاستبدال قد يكون أخفى عندما يكون الموضوع معقدا، والمقال (الخطاب) طويلا[1]، ولعل ما يعزز هذا الخفاء ويقويه براعة حبك الأساليب البلاغية، وتقنيات عرضها، فالهمذاني عندما نسج خطابه الأدبي وحدد مواقع الشخوص فيه بدقة كان على دراية بالغة لما يحتاجه «أبو الفتح الإسكندري» من أساليب بما أنه محتال هدفه الأول والأخير إثبات صحّة كلامه، وبالتالي حصوله على مقابل مادي، وهذا ما بدا جليًّا في كل المقامتين:

أ- ما ورد في خاتمة المقامة السّجستانية: « **قَالَ عِيسَى بنُ هِشَام: فَدُرْتُ إلى وَجْهِهِ لِأَعْلَمَ عِلْمَهُ فَإِذَا هُوَ وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ وَانْتَظَرْتُ إِجْفَالَ النَّعَامَةِ**

[1] – محمد مهران رشوان، قضايا أساسية في المنطق، ص101.

بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ تَعَرَّضْتُ فَقُلْتُ كَمْ يُحِلُّ دَوَاءَكَ هَذَا؟ فَقَالَ: يُحِلُّ الكيسُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكْتُهُ وَانْصَرَفْتُ »[1].

ب- ممّا ورد في ثنايا المقامة القزوينية: « **فَلَوْ دَفَعْتُمْ النَّارَ بَشَرَارِهَا، وَرَمَيْتُمْ الرُّومَ بِحِجَارَهَا، وَأَعَنْتُمُونِي عَلَى غَزْوِهَا مُسَاعَدَةً وَإِسْعَادًا، وَمُرَافَدَةً وَ إِرْفَادًا، وَلَا شَطَطَ فَكُلٌّ عَلَى قَدْرِ قُدْرَتِهِ وَحَسْبِ ثَرْوَتِهِ، وَلَا أَسْتَكْثِرُ الْبَدْرَة، وَأَقْبَلُ الذَّرَّةَ، وَلَا أَرُدُّ التّمْرَةَ، وَلِكُلِّ مِنِّي سَهْمَانِ سَهْمٌ أُذَلِّقُهُ لِلِّقَاءِ، وَآخَرُ أُفَوِّقُهُ بِالدُّعَاءِ، وَأَرْشُقُ بِهِ أَبْوَابَ السَّمَاءِ، عَنْ قَوْسِ الظَّلْمَاءِ »**[2].

والمخطط الآتي يبين أغلب الظواهر البلاغية التي تميز بها البناء اللغوي:

[1] – بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص28.

[2] – نفسه، ص95.

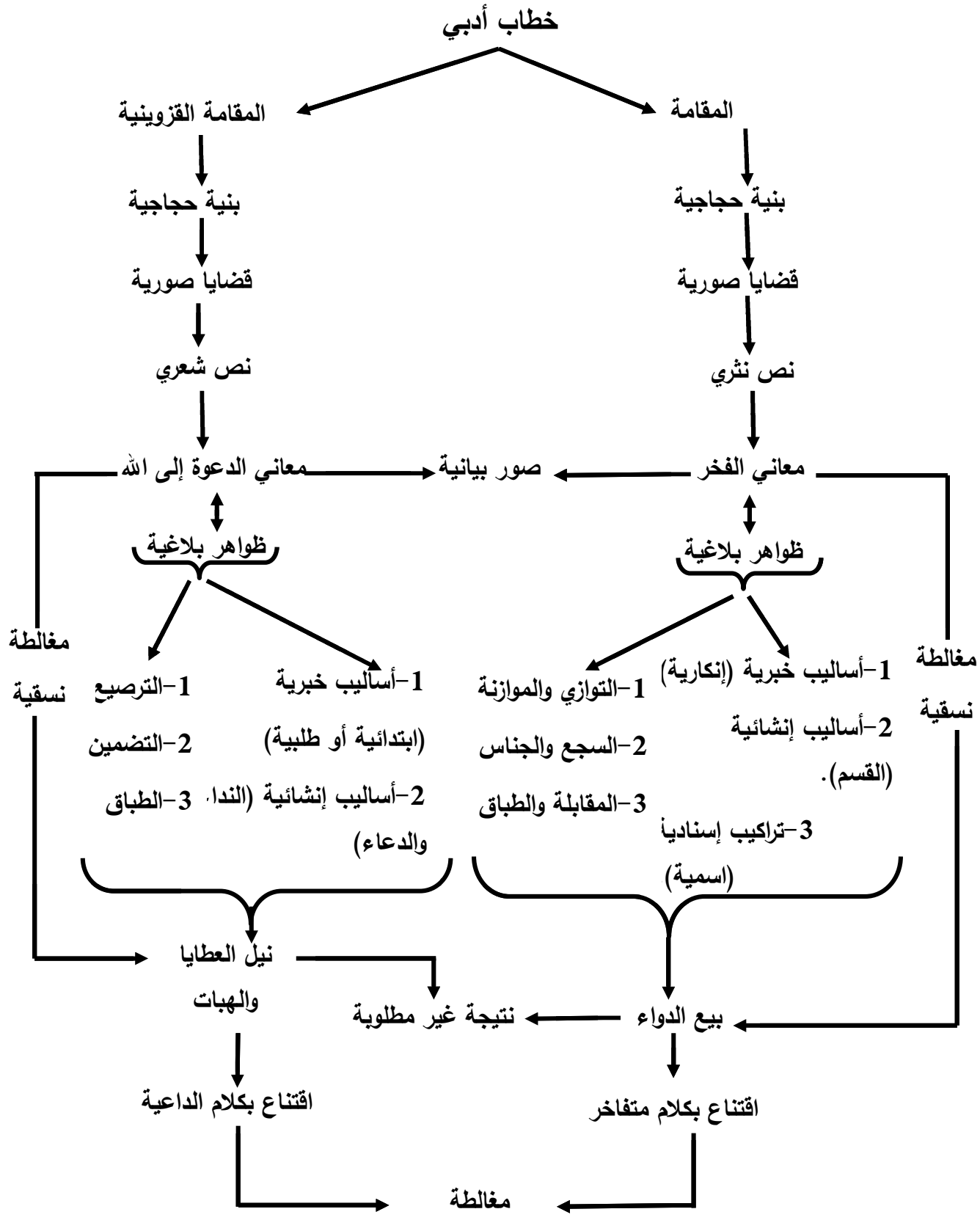

المخطط رقم -07-

4- أساليب المغالطة بالعرض:

تقع المغالطة بالعرض أثناء تطبيق قاعدة عامة على حالة جزئية قد تحول ظروفها العرضية دون إمكانية صدقها[1]، وتجلت أبعاد هذه المغالطة في «المقامة الموصلية» على لسان «عيسى بن هشام» و هو يسرد قصة تأزمت أحداثها بوصول «أبي الفتح الإسكندري» إلى مأتم كان القائمون عليه يستعدون لدفن الميت، فإذا بأبي الفتح هذا يغالط الحاضرين و يعلن بأن الذي سيدفن شخص حيّ و ليس ميّتا، مستدلا على كلامه بقاعدة عامة و هي «أنّ كلّ ميت يكون بارد الإبط»، و في هذه الحالة الجزئية (توقف القلب، لكن لم يبرد الإبط) قد حالت ظروف عرضية من تحقق هذه القاعدة العامة، و إن كان المشكوك في أمره قد مات فعلا، و بالتالي نجح «أبو الفتح» في مغالطة الحضور من أجل تحقيق أهدافه الخاصة.

وتفصيل هذه الأحداث ورد في المقامة بقول الراوي:« **فَلَمَّا رَآهُ الإِسْكَنْدَرِيُّ أَخَذَ حَلْقَهُ، فَجَسَّ عِرْقَهُ، فَقَالَ: يَا قَوْمُ اتَّقُوا اللهَ لا تَدْفِنُوهُ فَهْوَ حَيٌّ، وإِنَّمَا عَرَتْهُ بَهْتَةٌ، وَعَلتهُ سَكتَةٌ، وَأَنَا أُسَلِّمُهُ مَفْتُوحَ العَيْنَيْنِ، بَعْدَ يَوْمَيْنِ، فَقَالُوا: مِنْ أَيْنَ لَكَ ذَلِكْ؟ فَقَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ إِذا ماتَ بَرَدَ ابْطُهُ، وَهذَا الرَّجُلُ قَدْ لَمَسْتُهُ فعَلِمْتُ أَنَّهُ حَيٌّ، فَجَعَلوا أَيْدِيَهُمْ فِي ابْطِهِ، فَقَالوا: الأَمْرُ على مَا ذَكَرَ، فَافْعَلُوا كَمَا أَمَرَ، وَقَامَ الإِسْكَنْدَرِيُّ إِلى المَيِّتِ، فَنَزَع ثِيابَهُ ثُمَّ شَدَّ لهُ العَمَائِمَ، وَعَلَّقَ عَلَيْهِ تَمائِمَ، وَأَلعَقَهُ الزَّيْتَ، وَأَخْلَى لَهُ البَيْتَ، وَقَالَ: دَعُوهُ وَلا تَرْدَعُوهُ، وَإِنْ سَمِعْتُمْ لَهُ أَنِيناً فَلاَ تُجِيبُوهُ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَقَدْ شَاعَ الخَبَرُ وانْتَشَرَ، بِأَنَّ المَيِّتَ قَدْ نُشِرَ، وَأَخَذَتْنَا المَبارُّ، مِنْ كُلِّ دَارٍ، وَانْثَالَتْ عَلَيْنا الهَدَايا مِنْ كُلِّ جَارٍ، حَتَّى**

[1] – محمد مهران رشوان، قضايا أساسية في المنطق، ص 100.

وَرِمَ كِيسُنَا فِضَّةً وَتِبْراً وامْتَلأَ رَحْلُنَا أَقْطاً وَتَمْراً، وَجَهَدْنا أَنْ نَنْتَهِزَ فُرْصَة في الهَرَبِ فَلَمْ نَجِدْهَا، حَتَّى حَلَّ الأَجَلُ المَضْرُوبُ، واسْتُنْجِزَ الوَعْدُ المَكْذُوبُ»[1].

إنّ الملفت للانتباه أنّ الهمذاني قد صاغ هذه الأحداث وفق أسلوب لغوي بسيط، بما أنّه أوعز لعوامل غير لغوية مهمّة التأثير و الإقناع؛ و يمكن شرح هذه الآلية الحجاجيّة بناء على ما يثبته المفهوم النقدي الآتي: «تعمل... المقاربة الحجاجية الجدليّة على بناء القواعد الإجرائية لبنية التواصل الحجاجي، من خلال الإجابة عن تساؤلات تهم الملاءمة بين الحجج و المطابقة بين آلية الإدّعاء و الإعتراض، أمّا المقاربة الخطابية فتهدف إلى تحقيق مبدأ الإقناع في عملية التبادلات الحجاجية، و تبحث في تساؤلات من قبيل كيفية ...نهوض كل من المدعي و المعترض لإنتاج العملية التواصلية، و كذا التساؤل على مدى معرفة كل واحد منهما للآخر، و طبيعة التعهدات و الالتزامات التي تخص كل أنواع الحجج المطروحة، و التساؤل أيضا عن النتائج و الآثار الناتجة عن التبادلات بين المتحاورين، و تهم هذه الرؤية مبدأ التعاون المتصادق، أي الانتقال من الحد الأدنى للتفاعل في التواصل إلى الحد الأقصى للتفاعل التعاوني التواصلي بين الأطراف المشاركة في عمليات التناظر، تحقيقا لمبدأي الفهم و الإفهام»[2]، و يتم ذلك دون إغفال أنّ «إنجاز عملية التفاعل التواصلي قد تتعرض لعملية الخرق من طرف أحد المشاركين؛ و هو ما سمي في التداوليات الحجاجية للحوار النقدي بآليات التغليط، وبذلك تمّ الربط بين الدراسة الحجاجية التفاعلية للتواصل و الدراسة الخاصة بكل آليات خرق استمرارية ونجاح العملية الحجاجية؛ وهي دراسة تهم كلا من بنية المغالطات في النظرية الحجاجيّة

---

[1] – بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 104، 105.

[2] – عليوي أبا سيدي، الحجاج و التفكير النقدي، ص94.

أو ما يسمى "مجال السفسطة"، و أيضا ما أطلق عليه "الإيديولوجيا"و كلّ أشكال التعتيم أو الغلط و التغليط ضمن الحجاج النقدي»[1].

إذن، يمكن التمثيل لهذا المفهوم النقدي بناء على ما ورد في «المقامة الموصلية» وفق المخطط الآتي:

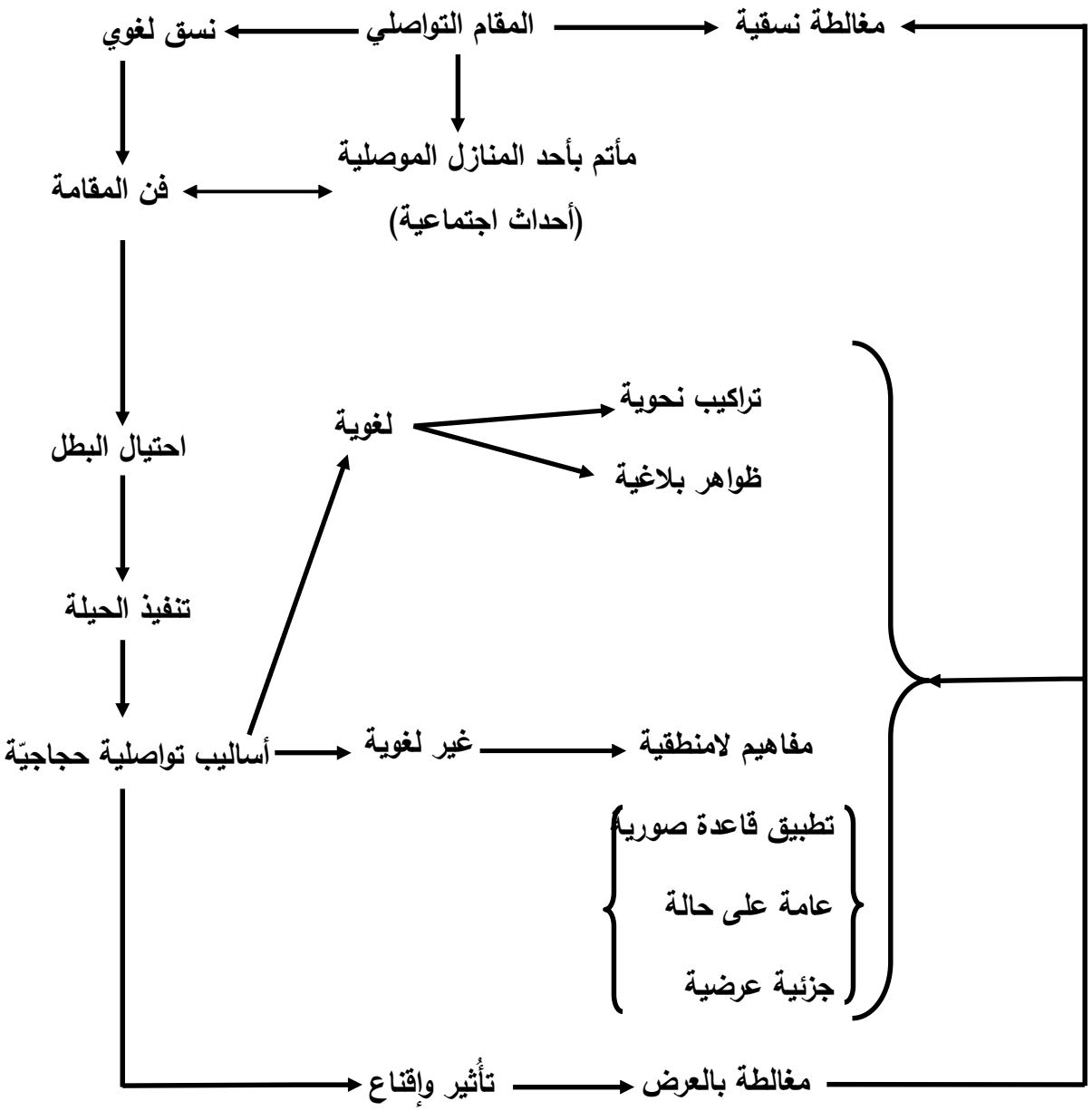

المخطط رقم -08-

[1] – السابق، ص نفسها.

ثانيّا/الحجاج بأساليب المغالطة النسقيّة اللّغويّة:

تمهيد:

ممّا سبق، ثبت أنّ البنية اللّغوية مهمّة جدّا بالنسبة للصورة المنطقية مهما كانت طبيعية هذه البنية؛ لأنّ التركيز على المعيار الصوري في المنطق يلقي نظرة معيّنة على الخصائص البنيوية للجملة، وهي نظرة لا ترى غير ما يظهر، أي الخصائص البنيوية المتحققة و المتجلية صراحة، و لكنّ المشكلة أنّ ما يجب معرفته حول بنية الجملة لا يكون دائما ظاهرا على السطح، و هذا يبيّنه وجود جمل ملتبسة بنيويّا في اللغة الطبيعية من بين أشياء أخرى...[1]، و عليه فإنّ الالتزام بالقواعد اللغوية– و ليس القواعد النحوية فحسب– أثناء التعبير يساعد في نقل الأفكار بصورة صحيحة، و لمّا كان المنطق أيضا يضع القواعد التي بواسطتها يكون التفكير صحيحا، فقد بدا الأمر و كأنّ طبيعة كل من "علم المنطق"، و "علم اللغة" واحدة، و هي أنّ كلا منهما يضع القواعد العامة للتفكير والتعبير الصحيحين على الترتيب[2]، و بالتالي قد يؤدي الخروج عن نظام القواعد العامة إلى إحداث خلل في بنية التركيب اللغوي، و هذا بدوره ما يؤدي إلى إيجاد قصور فكري، فيستدعي ذلك ضروبا متعددة من المغالطات اللغوية في مستواها النّسقي، يمكن حصرها انطلاقا من " مقامات الهمذاني " في الآتي ذكره:

---

[1] – ينس ألوود، لارس– غونار أندرسون، أوستن دال، المنطق في اللسانيات، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، دار المدار الإسلامي للتوزيع، بيروت، لبنان، توزيع دار أويا، طرابلس، ليبيا، ط1، 2013م، ص220.

[2] – محمد مهران رشوان، قضايا أساسية في المنطق، ص69.

1- أساليب المغالطة بالتركيب:

"المغالطة بالتركيب" أو "المغالطة بإفراد القول المركّب"، وذلك أن القول المركب إذا أسند إلى شيء يدل على أمر، وإذا أفرد دلّت مفرداته على أمر آخر إذا أُسندَت إلى الشيء ذاته، فيعمد المغالط إلى إسناد هذه المفردات إلى هذا الشيء، موهما أنّ ذلك لازم عن صدق إسناد مركّبها إليه[1]، وعليه يكون التلاعب اللفظي الوارد في المقامتين "البلخية والصفرية" حجاجا مغالطا بالتركيب أثبتاه النّصّان الآتيان:

أ- النّصّ الأول (المقامة البلخية): « دَخَلَ عَلَيَّ شَابٌّ فِي زِيٍّ مِلْءِ الْعَيْنِ، وَلِحْيَةٍ تَشُوكُ الأَخْدَعَيْنِ، وَطَرْفٍ قَدْ شَرِبَ مَاءَ الرَّافِدَيْنِ، وَلَقِيَنِي مِنَ البِرِّ فِي السَّنَاءِ، بِمَا زِدْتُهُ فِي الثَّنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: أَظَعْنًا تُرِيدُ؟ فَقُلْتُ: إِي وَاللهِ، فَقَالَ: أَخْصَبَ رَائِدُكَ، وَلَا ضَلَّ قَائِدُكَ، فَمَتَى عَزَمْتَ؟ فَقُلْتُ: غَدَاةَ غَدٍ، فَقَالَ:

صَبَاحُ اللهِ لَا صُبْحُ انْطِلَاقِ وَطَيْرُ الوَصْلِ لَا طَيْرُ الفِرَاقِ

فَأَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ الوَطَنَ، فَقَالَ بُلِّغْتَ الوَطَنَ، وَقَضَيْتَ الوَطَرَ، فَمَتَى الْعُوْدُ؟ قُلْتُ الْقَابِلِ، فَقَالَ طَوَيْتَ الرَّيْطَ، وَثَنَيْتَ الخَيْطَ، فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْكَرَمِ؟ فَقُلْتُ بِحَيْثُ أَرَدْتَ، فَقَالَ إِذَا أَرْجَعَكَ اللهُ سَالِمًا مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ، فَاسْتَصْحِبْ لِي عَدُوًّا فِي بُرْدَةِ صَدِيقٍ مِنْ نِجَارِ الصُّفْرِ، يَدْعُوا إِلى الكُفْرِ، وَيَرْقُصُ عَلَى الظُّفْرِ، كَدَارَةِ الْعَيْنِ، يَحُطُّ ثِقَلَ الدَّيْنِ، وَيُنَافِقُ بِوَجْهَيْنِ، قَالَ عِيسَى بنُ هِشَامٍ: فَعِلِمْتُ أَنَّهُ يَلْتَمِسُ دِينَارًا، فَقُلْتَ لَكَ ذَلِكَ نَقْدًا، وَمِثْلُهُ وَعْدًا، فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

رَأْيُــكَ مِــمَّا خَــطَبْتُ أَعْلَى لَا زِلْـتَ لِلْمَــكْرُمَاتِ أَهْلَا

صَلُبْتَ عُودًا وَدُمْتَ جُــودًا وَفُقْتَ فَرْعًا وَطِبْــتَ أَصْلَا

[1] – رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة، ص67.

لَا أَسْتَطِيعُ الْعَطَاءَ حَـمْلًا وَلَا أُطِـيـقُ السُّـؤَالَ ثِقْلَا

قَصُـرْتُ عَنْ مُنْتَـهَاكَ ظَنًّا وَطُلْتَ عَـمًّا ظَنَنْتُ فِعْلَا

يَا رُجْمَةَ الـدَّهْرِ وَالْمَـعَالِي لَا لَقِيَ الدَّهْرُ مِـنْكَ ثُكْلَا

قَالَ عِيسَى بنُ هِشَامٍ: فَنِلْتُهُ الدّينَارَ، وَقُلْتُ: أَيْنَ مَنْبِتُ هَذَا الْفَضْلِ؟ فَقَالَ: نَمَتْنِي قُرَيْشُ وَمُهِّدَ لِيَ الشَّرَفُ فِي بَطَائِحِهَا، فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ: أَلَسْتَ بِأَبِي الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيِّ؟ أَلَمْ أَرَكَ بِالْعِرَاقِ، تَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ، مُكَدِّيًا بِالأَوْرَاقِ؟ »[1].

فَأَنْشَأَ يَقُولُ[2]:

إِنَّ للهِ عَبـــيـــــدًا أَخَذُوا العُمْرَ خَلِيطًا

فَهُمُ يُمْسُونَ أَعْـرَا بًا وَيَضَحُّونَ نَبِيطَا

ب- النّصّ الثاني (المقامة الصفرية): « دَخَلَ إِلَيَّ فَتًى فَقَالَ: عِنْدِي رَجُلٌ مِنْ نِجَارِ الصُّفْرِ، يَدْعُو إِلَى الكُفْرِ، وَيَرْقُصُ عَلَى الظُّفْرِ، وَقَدْ أَدَّبَتْهُ الغُرْبَةُ، وَأَدَّتْنِي الحِسْبَةُ إِلَيْكَ، لأُمَثِّلَ حَالُهُ لَدَيْكَ، وَقَدْ خَطَبَ مِنْكَ جَارِيَةً صَفْرَاءَ تُعْجِبُ الحَاضِرِينَ، وَتَسُرُّ النَّاظِرِينَ، فَإِنْ أَجَبْتَ يَنْجُبُ مِنْهُمَا وَلَدٌ يَعُمُّ البِقَاعَ وَالأَسْمَاعَ، فَإِذَا طَوَيْتَ هَذَا الرَّيْطَ، وَثَنَيْتَ هَذَا الخَيْطَ، يَكُونُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَى بَلَدِكَ، فَرَأْيَكَ فِي نَشْرِ مَا فِي يَدِكَ، قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَعَجِبْتُ مِنْ إِيرَادِهِ، وَلُطْفِهِ فِي سُؤَالِهِ وَأَجَبْتُهُ فِي مُرَادِهِ »[3]. فَأَنْشَأَ يَقُولُ[4]:

المَجْدُ يُخْدَعُ بِاليَدِ السُّفْلَى وَيَـــدُ الكَـرِيمِ وَرَأْيُـهُ أَعْـــلَى

---

[1] – بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص18-21.

[2] – نفسه، ص21.

[3] – نفسه، ص237، 238.

[4] – نفسه، ص238.

لقد عمد "الهمذاني" إلى التلاعب بالألفاظ حقّا، وهو في ذلك كبقية نظرائه من الأدباء حيث لجأ إلى عكس الألفاظ واستخدام القريب منها ليوهم السامع بمعنى جديد يريده سخرية وإضحاكا، أو تمويها وخداعا، فأكسبته هذه الخاصية التواصلية اتساعا واضحا في استعمال اللغة من خلال التورية والكناية والتعريض ومختلف الظواهر الفنية الأخرى كالإزدواج والتوازي والمقابلة والجناس والطباق[1]، مع الاهتمام البالغ برعاية السجع والقافية لما لهما من أثر بارز في المحافظة على الجمال الفني للفظ ونسق الجمل[2].

كما كان للإيجاز بمفهوميه الفني«جمع المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل الوافي بالغرض مع الإبانة والإفصاح»[3] والعمليّ«اللّمح والاقتصاد في الكلام»[4] بعد حجاجي أسهم في إيصال الفكرة، ومن ثمة إقناع المتلقي خلال ظرف زمني قياسي، ضف إلى أنّ ما ميّز هذا الأسلوب الموجز هو السجع بوصفه خاصية مميزة في النثر العربي خلال القرن الرابع الهجري، والهمذاني معهود عنه التوسط في سجعه، سواء أكان ذلك في هذين النصين أم في نصوص أخرى، وذلك لأنه يختار الكلمة المناسبة بسبب قدرته على اللغة، وبديهته العالية، فيضعها في مكانها فتصبح طريفة في صياغتها، وموقعها الصوتي، وانسجامها مع غيرها، ثمّ في عدم الإكثار منها، إذ يستخدم السجع في مرتين أو ثلاث ثم

---

[1] – ينظر: نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012م، ص58، 59.

[2] – الميداني، البلاغة العربية، 339/1.

[3] – أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص197.

[4] – نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، ص113.

يأتي سجع جديد، وبالتالي لا يفقد النصّ رونقه الإبداعي[1]، وما يلي يشرح النسق الحجاجي، ويوضح وجه المغالطة في المقامتين:

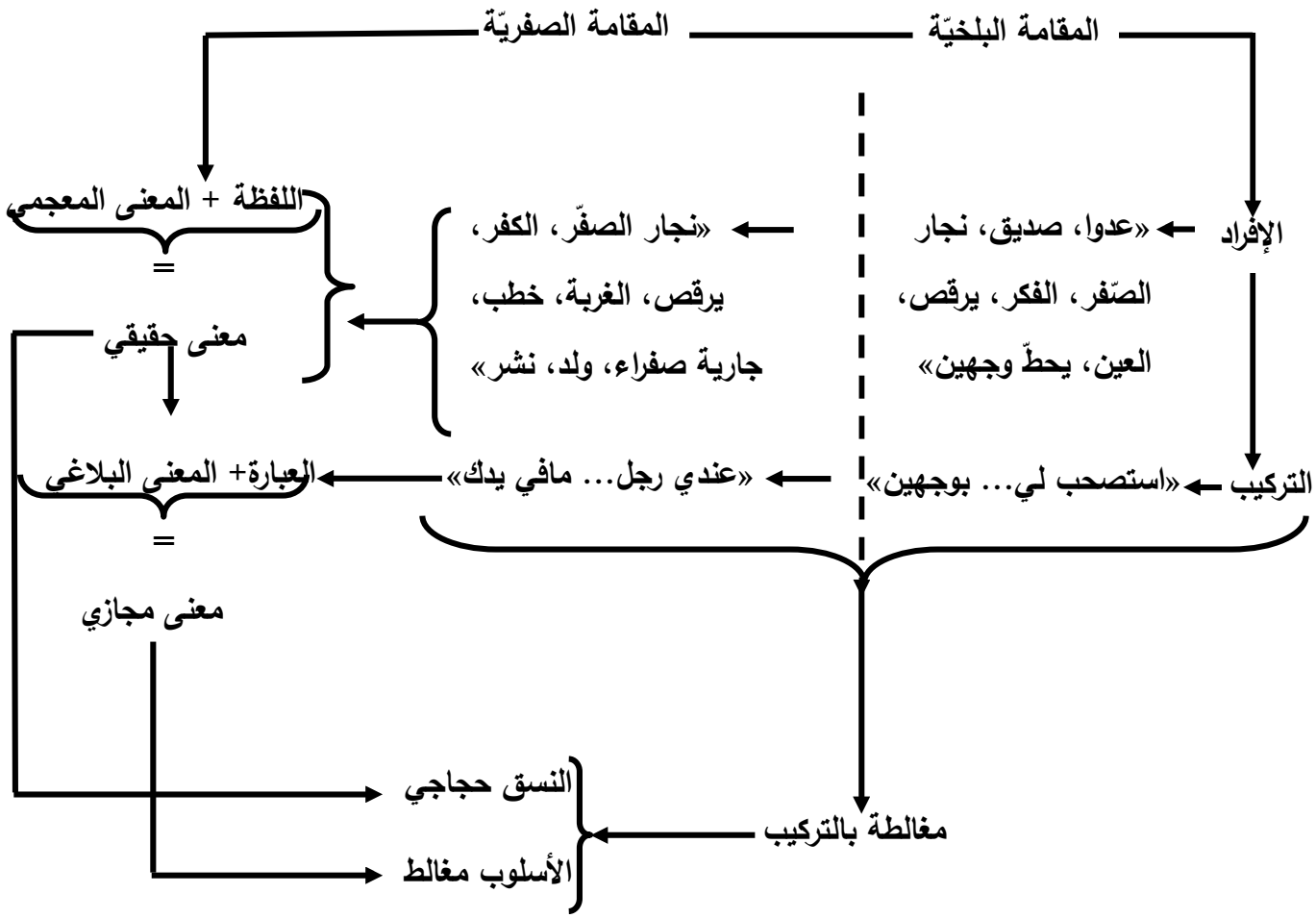

المخطط رقم -09-

[1] – السابق، ص118، 119.

2- أساليب المغالطة بالإشتراك:

في كثير من الأحيان يكون للمفردة الواحدة معنيان متمايزان أو أكثر، وعادة لا تنشأ عن هذا الأمر تعقيدات لغوية؛ إذ إن السياق الذي ترد فيه الكلمة يكفي لتمييز المعنى المقصود، ولكن حينما نستخدم الكلمة بمعان مختلفة في السياق اللفظي ذاته، فإنّ الاستخدام على هذا النحو يمثل "حجة" فإنّ القائمين على الخطاب قد يقعون في "مغالطة الاشتراك اللفظي أو ازدواج المعنى"[1]، وتجلى هذا النمط الحجاجي في خطاب "الهمذاني" من خلال "المقامة النيسابورية"، حيث ورد فيها:« **قَالَ: أَنَا رَجُلٌ أُعْرَفُ بِالإِسْكَنْدَرِيِّ، فَقُلْتُ: سَقَى اللهُ أَرضًا أَنْبَتَتْ هَذَا الفَضْلَ، وَأَبًا خَلَّفَ هَذَا النَّسْلَ، فَأَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكَعْبَةَ، فَقُلْتُ: بَخٍّ بَخٍّ بِأَكْلِهَا وَلَمَّا تُطْبَخُ، وَنَحْنُ إِذًا رِفَاقٌ، فَقَالَ: كَيْفَ ذَلِكَ وَأَنَا مُصَعِّدٌ وَأَنْتَ مُصَوِّبٌ؟ قُلْتُ: فَكَيْفَ تَصْعَدُ إِلَى الكَعْبَةِ؟ قَالَ: أَمَا إِنِّي أُرِيدُ كَعْبَةَ المُحْتَاجِ، لَا كَعْبَةَ الحُجَّاجِ، وَمَشْعَرَ الكَرَمِ لَا مَشْعَرَ الحَرَمِ، وَبَيْتَ السَّبْيِ، لَا الهَدْيِ، وَقِبْلَةَ الصَّلَاتِ، لَا قِبْلَةَ الصَّلَاةِ، وَمِنَى الضَّيْفِ، لَا مِنَى الخَيْفِ، قُلْتُ: وَأَيْنَ هَذِهِ المَكَارِمُ؟ »**[2].

وَأَنْشَأَ يَقُولُ[3]**:**

بِحَيْثُ الدَّيْنُ وَالمَلِكُ المُؤَيَّدْ وَخَدُّ المَكْرُمَاتِ بِهِ مَوَرَّدْ

بِأَرْضٍ تَنْبُتُ الآمَالَ فِيهَا لِأَنَّ سَحَابَهَا خَلَفُ بْنُ أَحْمَدْ

مما سبق عرضه، يظهر أن الإشتراك اللفظي أو الازدواج في المعنى لدى النظريات اللغوية الحديثة قد يوافق المفهوم البلاغي لمصطلح " التورية" بما أنها ذِكْرُ« المتكلّم لفظًا مفردًا له معنيان، على سبيل الحقيقة، أو على سبيل الحقيقة والمجاز، أحدهما ظاهر

---

[1] – محمد مهران رشوان، قضايا أساسية في المنطق، ص102.

[2] – بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص208، 209.

[3] – نفسه، ص210.

قريب يَتَبَادَرُ إلى الذّهن وهو غير مراد، والآَخَرُ بعيد فيه نوع خفاءٍ وهو المعنى المراد، لكن يُورَّى عنه بالمعنى القريب، لِيَسْبِقَ الذّهن إليه ويَتَوَهَّمَهُ قبل التأمّل، وَبَعْدَ التأمّل يَتَنَبَّه المتلقِّي فَيُدْرَكُ المعنى الآخر المراد»[1]، علما أن المفهوم البلاغي ليس ببعيد عن الأصل اللغوي، والذي هو «إرادة الشيء وإظهار غيره إيهاما»[2]، ودرجة الايهام هذه تتحدد بالنظر الى سياق التواصل بين المبدع والمتلقي، والبيئة والاعراف المحيطة بهذا السياق، والصياغة نفسها وما فيها من دوال توفر فضاء الايهام لدال التورية[3].

وما يلي يحدد الاشتراك اللفظي أو الازدواج في المعنى الذي حملته ألفاظ المقامة النيسابورية:

[1] – الميداني، البلاغة العربية، 373/2.

[2] – نفسه، ص نفسها.

[3] – أسامة البحيري، البنية المتحولة في البلاغة العربية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، (د.ب)، ط1، 2009، ص464، 465.

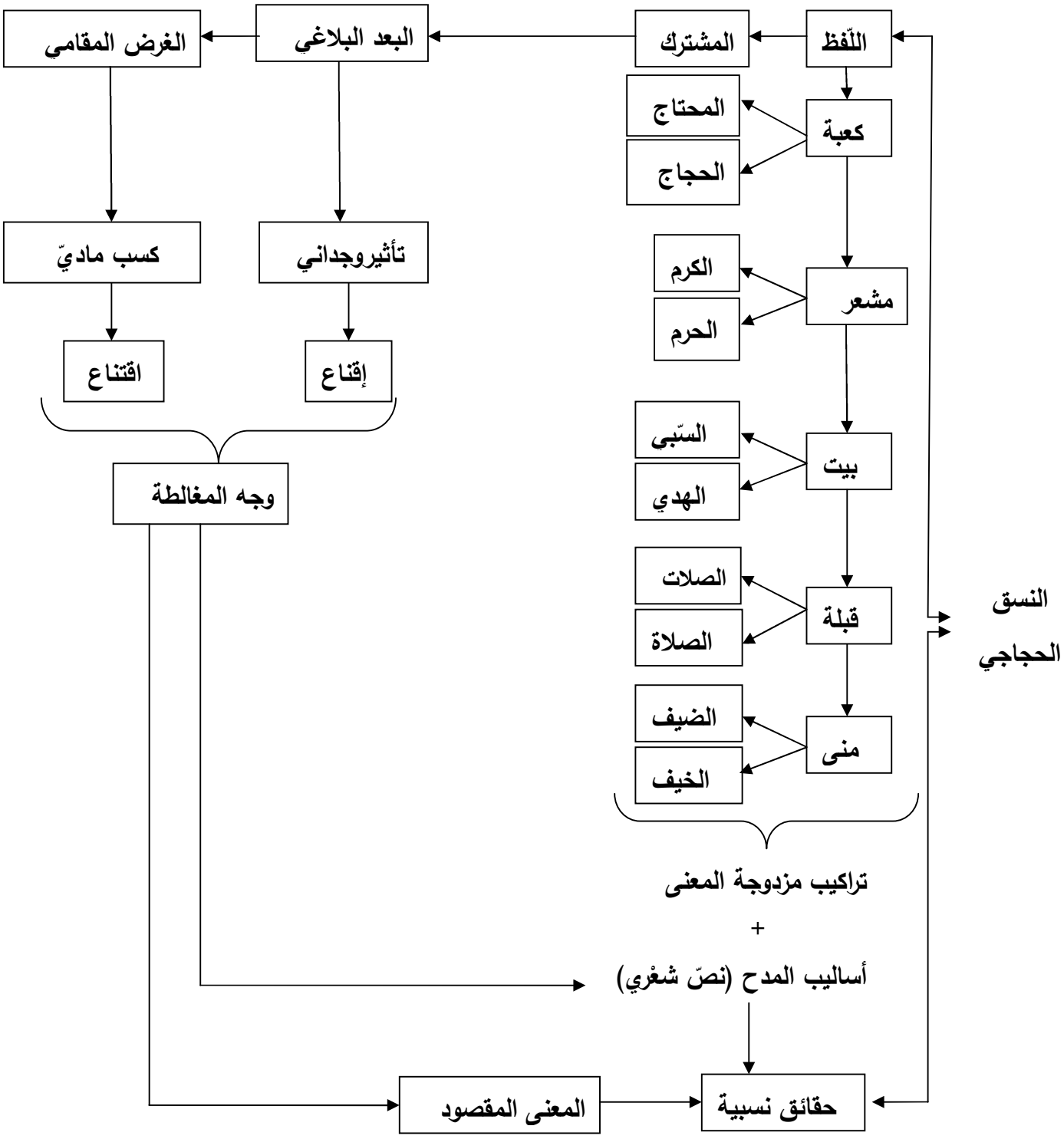

المخطط رقم -10-

3- أساليب المغالطة باللّبس:

تتحقق مغالطة اللبس في إقامة الحجة من مقدمات غامضة في صياغتها بسبب بنائها النحويّ، فيكون القول ملتبسا حين يكون معناه غير واضح؛ لأن الطريقة التي ارتبطت بها الألفاظ طريقة فضفاضة أو مركبة على صورة يمكن معها أن يكون هذا القول الملتبس صادقا في تفسير معين وكاذبا في تفسير آخر، فحينما نضع هذا القول مقدمة وفق التفسير الذي يكون فيه صادقا، ونستنتج منه نتيجة وفق التفسير الذي يكون فيه كاذبا تقع مغالطة اللّبس[1].

و "**المقامة الحمدانية**" دليل لغويّ على هذا الطرح النظريّ، حيث ورد فيها:« **فَقَالَ: أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ كَيْفَ بِهِ قَبْلَ رُكُوبِهِ وَوُثُوبِهِ، وَكَشْفِ عُيُوبِهِ وغيوبِهِ، فَقَالَ: أَرْكَبْهُ فَرَكِبَهُ وَأَجْرَاهُ ثُمَّ قَالَ: أَصْلَحَ اللهُ الأَميرَ هُوَ طَوِيلُ الأُذُنَيْنِ، قَلِيلُ الإِثْنَيْنِ، وَاسِعُ المَرَاثِ، لَيِّنُ الثَّلَاثِ، غَلِيظُ الأَكْرُعِ، غَامِضُ الأَرْبَعِ، شَدِيدُ النَّفْسِ، لَطِيفُ الخَمْسِ، ضَيِّقُ القَلْتِ، رَقِيقُ السِّتِّ، حَدِيدُ السَّمْعِ، غَلِيظُ السَّبْعِ، دَقِيقُ اللِّسَانِ، عَرِيضُ الثَّمَانِ، مَدِيدُ الضِّلْعِ، قَصِيرُ التِّسْعِ، وَاسِعُ الشَّجَرِ، بَعِيدُ الْعَشْرِ، يَأْخُذُ بالسَّابِحِ، وَيُطْلِقُ بِالرَّامِحِ، يَطْلُعُ بِلَائِحٍ وَيَضْحَكُ عَنْ قَارِحٍ، يَحُزُّ وَجْهَ الجَدِيدِ، بِمَدَاقِّ الحَدِيدِ، يُحْظِرُ كَالبَحْرِ إِذَا مَاجَ، وَالسَّيْلِ إِذَا هَاجَ، فَقَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ: لَكَ الفَرَسُ مُبَارَكًا فِيهِ** »[2]، على أنّ المغالطة باللّبس في المقامة الحمدانية لم يكن طريقها البناء النحوي فحسب، وإنما الإلتباس والغموض في الألفاظ والتراكيب أنفسها، وهذا بإقرار صحيح من طرف شخصيات فنية ذات علاقة وطيدة باللغة وبكل ما يتعلق بها، حيث قال عيسى بن هشام: «**لَكَ عَلَيَّ مَا يَلِيقُ بِهَذَا الفَرَسِ مِنْ خِلْعَةٍ إِن فَسَّرْتَ مَا وَصَفْتَ**»[3]، وبالتالي قد يؤدي ذلك الغموض وعدم وضوح المعنى

---

[1] – محمد مهران رشوان، قضايا أساسية في المنطق، ص103.

[2] – بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمداني، ص159، 160، 161.

[3] – نفسه، ص161.

إلى إمكانية حصول تفسير كاذب لكلام غريب عن أهل تلك المنطقة في ذلك الزمان، وقد أشار "حازم القرطجاني" لهذا المسلك الحجاجي أثناء حديثه عن «التمويهات»[*] بقوله: «والتّمويهات تكون بطيّ محلّ الكذب من القياس عن السامع، أو باغتراره إيّاه ببناء القياس على مقدمات توهم أنها صادقة لاشتباهها بما يكون صدقا، أو بترتيبه على وضع يوهم أنه صحيح لاشتباهه بالصّحيح، أو بوجود الأمرين معا في القياس، أعني أن يقع فيه الخلل من جهتي المادة والترتيب معا، أو بإلهاء السامع عن تفقّد موضع الكذب وإن كان إلى حيّز الوضوح أقرب منه إلى حيّز الخفاء بضروب من الإبداعات والتعجيبات، تشغل النفس عن ملاحظة محلّ الكذب والخلل الواقع في القياس من جهة مادة أو من جهة ترتيب أو من جهة المادة والترتيب معا»[1].

وعليه يكون الدّال اللفظي للمقامة المذكورة آنفا، دليلا صريحا على تمويه لغوي سبيله انتفاء الفهم والإفهام، باللجوء إلى مداهنة خطابية لم يستحسنها السامع لأنّها تجاوزت كنه البلاغة وجوهرها من أجل تحصيل مكسب مادي، حيث قام الأديب بإلهاء الأمير عن الخطاب وكيفية بنائه شاغلا إياه بغريب الألفاظ وعجيب التراكيب، إدراكا منه أن سيدّه يروم غير المألوف، لكنّ "ابن هشام" استنكر على "أبي الفتح الإسكندري" مثل

[*]– تم الاستشهاد بكلام "حازم القرطاجي" وهو يتحدث عن القياس بصفة خاصة، وإن كانت دلالة النّص تستوعب الحجاج بعامة .

[1] –حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1986م، ص64.

هذا الأسلوب النّشز، وقال له بعد أن سمع شرحه بأسلوب تحقق معه الفهم والإفهام[*]: « **أنت مع هذا الفضل، تعرّض وجهك لهذا البذل** »[1]، فردّ عليه الواصف بثقة وافتخار وهو ينشد[2]:

سَاخِفٌ زَمَانَكَ جِـدًّا إِنَّ الزَّمَـــانَ سَخِـيفْ

دَعِ الحَــمِيَّةَ نِســيًا وَعِشْ بِخَيْرٍ وَرِيـفْ

وَقُــلْ لِـعَبْدِكَ هَـذَا يَـجِـيئُنَا بِــرَغِـيـفْ

والمخطط الآتي يُجمل القول في ذلك:

[*]– شرح أبو الفتح الإسكندري وصفه للفرس في المقامة الحمدانية، من ص161 إلى 164.

[1] – بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص164.

[2] –نفسه، ص نفسها.

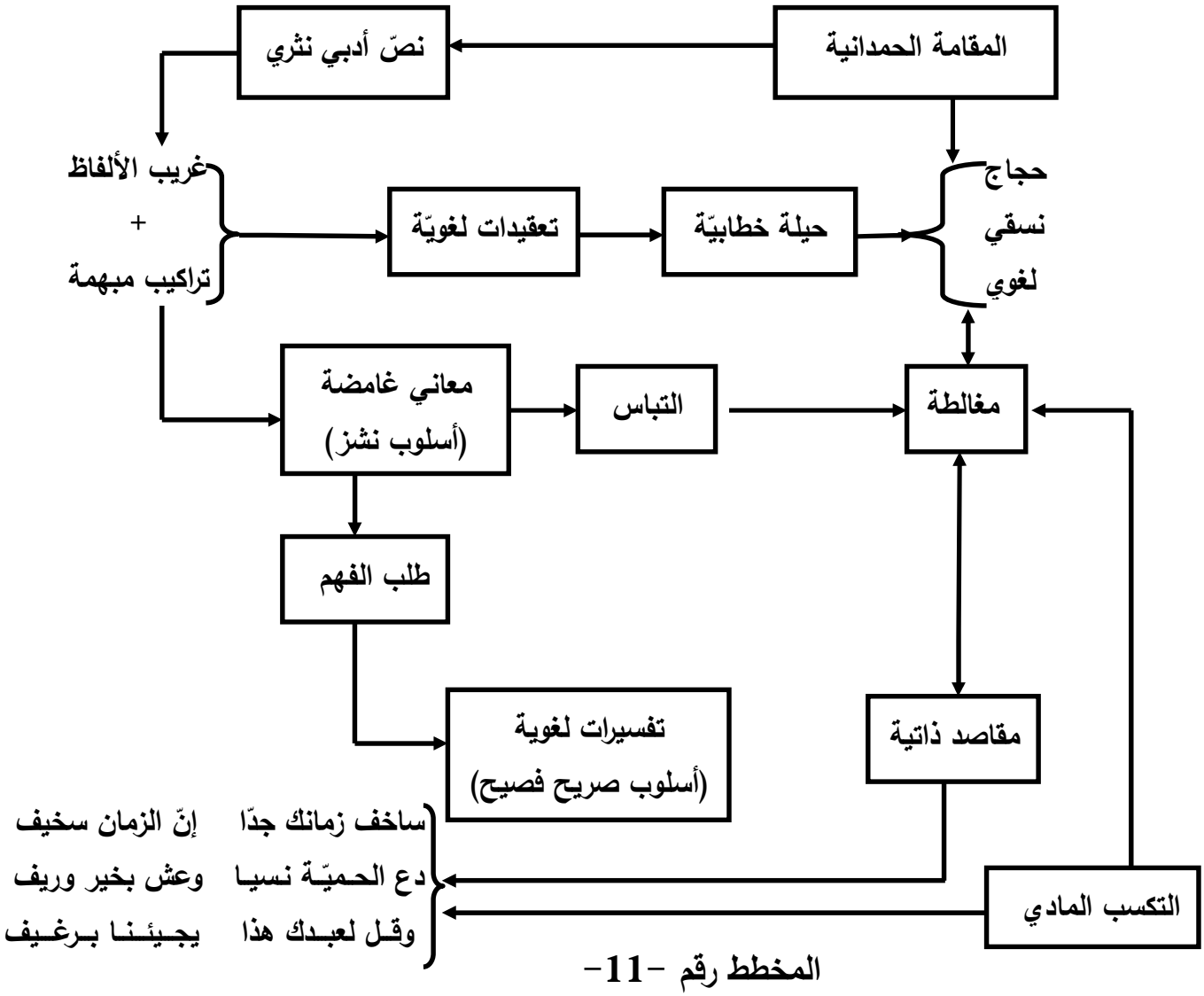

المخطط رقم -11-

4- أساليب المغالطة بالمسائل المتعددة:

في المغالطة بالمسائل المتعددة يتم إدراج مسألتين أو أكثر في مسألة واحدة أو العكس؛ وذلك أن بعض المسائل تقتضي الإجابة عليها تفصيلا ينظر في أنحائها ووجوهها المتعددة واحدة واحدة، فيعمد المتكلم إلى استدراج المخاطِب (السامع) للإجابة عليها كما لو كانت مسألة واحدة، مما قد يوقعه في المغالطة[1].

وهذا ما لجأ إليه «أبو الفتح الإسكندري» أثناء محاورته لِـ«ابن هشام» في "المقامة العراقية": « **فَقُلْتُ [ابن هشام]: بِأَيِّ الْعُلُومِ تَتَحَلَّى؟ فقال [أبو الفتح]: لِي في كُلِّ كِنَانَةٍ سَهْمٌ فَأَيُّهَا تُحْسِنُ؟ فَقُلْتُ: الشِّعْرَ، فَقَالَ: هَلْ قَالَتِ العَرَبُ بَيْتًا لا يُمْكِنُ حَلُّهُ وَهَلْ نَظَمْتَ مَدْحًا لَمْ يُعْرَفْ أَهْلُهُ، وَهَلْ لَهَا بَيْتٌ سَمُجَ وَضْعُهُ، وَحَسُنَ قَطْعُهُ، وَأَيُّ بَيْتٍ لَا يَرْقَأُ دَمْعُهُ، وَأَيُّ بَيْتٍ يَثْقُلُ وَقْعُهُ، وَأَيُّ بَيْتٍ يَشُجُّ عَرُوضُهُ وَيَأْسُو ضَرْبُهُ، وَأَيُّ بَيْتٍ يَعْظُمُ وَعِيدُهُ وَيَصْغُرُ خَطْبُهُ، وَأَيُّ بَيْتٍ هُوَ أكثرُ رَمْلًا مِنْ يَبْرِينَ، وَأَيُّ بَيْتٍ هُوَ كَأَسْنَانِ المَظْلُومِ، وَالمِنْشَارِ المَثْلُومِ، وَأَيُّ بَيْتٍ يسرُّكَ أَوَّلُهُ وَيَسُوءُكَ آخِرُهُ، وَأَيُّ بَيْتٍ يَصْفَعُكَ بَاطِنُهُ وَيَخْدَعُكَ ظَاهِرُهُ، وَأَيُّ بَيْتٍ لَا يُخْلَقُ سَامِعُهُ، حَتَّى تُذْكَرَ جَوَامِعُهُ، وَأَيُّ بَيْتٍ لَا يُمْكِنُ لَمْسُهُ، وَأَيُّ بَيْتٍ يسهُلُ عَكْسُهُ، وَأَيُّ بَيْتٍ هُوَ أَطْوَلُ مِنْ مثْلِهِ، وَكَأَنّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَيُّ بَيْتٍ هُوَ مَهِينٌ بِحَرْفٍ وَرَهِينٌ بِحَذْفٍ؟ قَالَ عِيسَى بنُ هِشَام: فَوَاللهِ مَا أَجَلْتُ قِدْحًا فِي جَوَابِهِ وَلَا اهْتَدَيْتُ لِوِجْهِ صَوَابِهِ إِلَّا: لَا أَعْلَمُ، فَقَالَ: وَمَا لَا تَعْلَمُ أَكْثَرُ، فَقُلْتُ: وَمَالَكَ مَعَ هذا الفَضْلِ، تَرْضَى بِهذَا العَيْشِ الرَّذْلِ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:**

بُؤْسًا لِهذَا الزَّمَانِ مِنْ زَمَنِ كُلُّ تَصَارِيفِ أَمْرِهِ عَجَبُ

أَصْبَحَ حَرْبًا لِكُلِّ ذِي أَدَبٍ كَأَنَّـــمَا سَاءَ أُمَّـهُ الأَدَبُ

---

[1] – رشيد الرّاضي، الحجاج والمغالطة، ص71.

فَأَجَلْتُ فِيهِ بَصَرِي، وَكَرَّرْتُ فِي وَجْهِهِ نَظَرِي فَإِذَا هُوَ أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ »[1].

عمد «أبو الفتح الإسكندري» في هذه المقامة لإثبات أنّ «عيسى بن هشام» لا دراية له بفنون الشعر، على أنّ معالم المغالطة لا تبدو جلية للوهلة الأولى، بما أنّها تتعلق بمسائل متعددة، ضف إلى أنها ذات صلة بحذف "أبي الفتح" واقتداره، حيث استند هذا الأخير على متكأ سياقي وراهن من خلاله على إنجاح حجاجه مستغلا سمات متلقيه، فما طرحه عليه كل تلك الأسئلة على اعتبار أنها مسألة واحدة يحتويها فن الشعر ما هو إلا مغالطة اهتدى إليها بما أنّه أعلم بمن هو يتحدث إليه، وبالتالي أسهم الاستفهام الطلبي بالأداتين "هل" و"أيُّ" والذي أريد منه معنى أصليّا غرضه التّعجيز[2]، في تحقيق هدف استجدائي وفق أساليب تواصلية أبانت عن مستوى رفيع في استعمال اللغة وثقافة واسعة أبهرت متلقيها، فكان سخيًّا في العطاء، حيث قال:« **فَتَعَجَّبْتُ وَاللهِ مِنْ مَقَالِهِ، وَأَعْطَيْتُهُ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى تَغْيِيرِ حَالِهِ، وَاِفْتَرَقْنَا** »[3].

وفيما يتعلق بهذه الخاصية الحجاجيّة يقول "حازم القرطاجني": « وإنّما يصير القول الكاذب مقنعا وموهما أنّه حق بتمويهات واستدراجات ترجع إلى القول أو المقول له، وتلك التمويهات والاستدراجات قد توجد في كثير من الناس بالطبع والحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات التي يحتاج فيها إلى تقوية الظنون في شيء ما أنّه على غير ما هو عليه بكثرة سماع المخاطبات في ذلك والتدرّب في احتذائها »[4]، وإن كان ما عمد إليه المنظر في هذا النصّ النّقدي بيّن وجليّ، فإن المخطط الآتي يزيده تفصيلا:

---

[1] – بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص150، 151، 152.

[2] – الميداني، البلاغة العربية، 258/1.

[3] – بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص158.

[4] – حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص63.

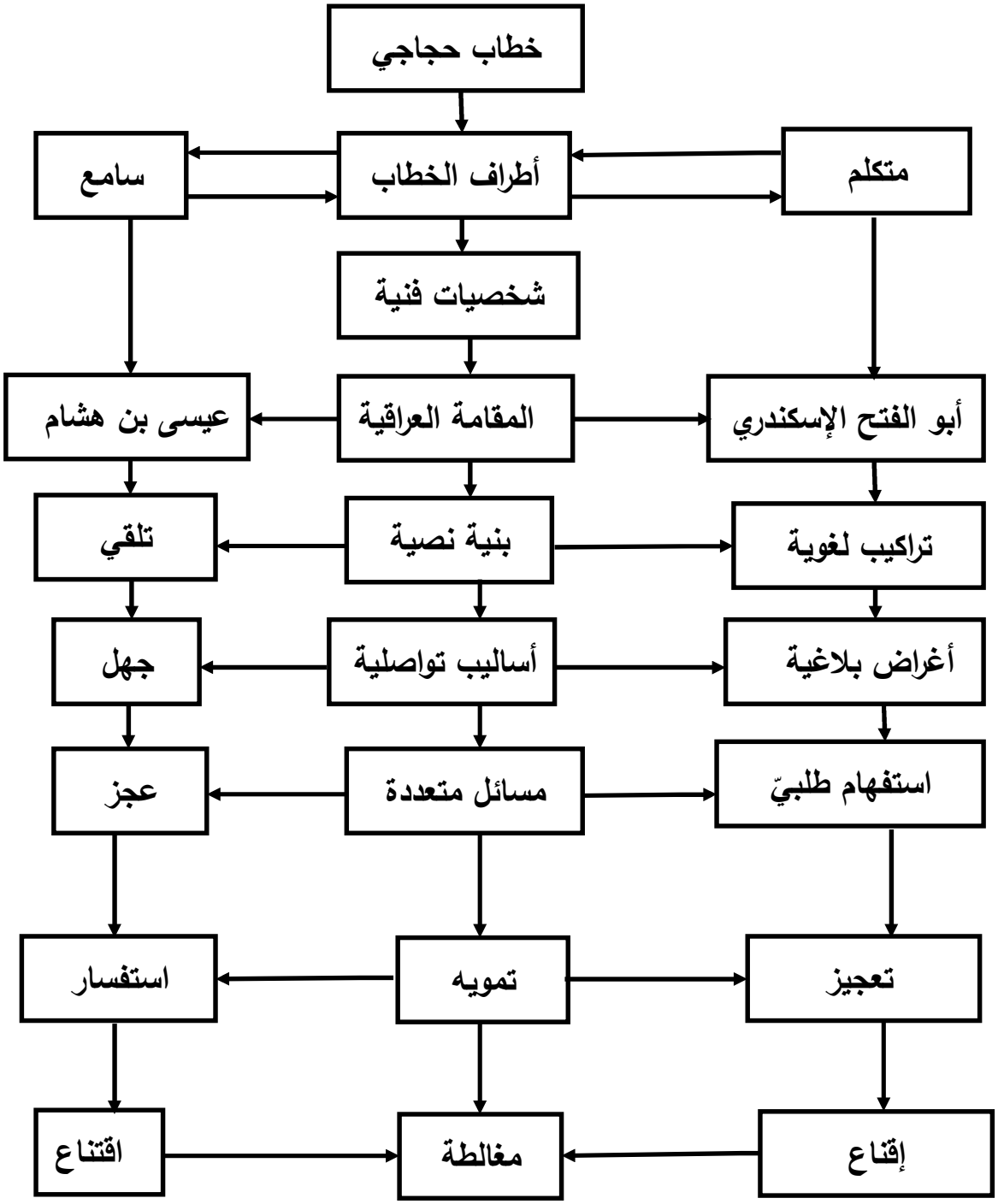

المخطط رقم – 12–

الفصل الثالث:

الحجاج بأساليب المغالطة السيّاقية في مقامات الهمذاني

أولا/ الحجاج بأساليب المغالطة السياقيّة الماديّة:

تمهيد

1- أساليب المغالطة بالسلطة
2- أساليب المغالطة بالاسترحام
3- أساليب المغالطة بالإغاظة
4- أساليب المغالطة بالتخويف
5- أساليب المغالطة بالتناقض العملي
6- أساليب المغالطة بالتناقض الأخلاقي العملي

ثانيا/ الحجاج بأساليب المغالطة السياقية اللامادية:

تمهيد

1- أساليب المغالطة بما يهوى الجمهور
2- أساليب المغالطة الشخصية:
   أ- مغالطة تجريح الشخص
   ب- مغالطة إحراج الشخص
3- أساليب المغالطة بالجهل
4- أساليب المغالطة بالتجهيل:
   أ- مغالطة إثباتية
   ب- مغالطة معرفية
   ج - مغالطة جدلية

أولا/ الحجاج بأساليب المغالطة السياقيّة الماديّة:

تمهيد:

متَلُ المغالطات بالنسبة للخطابات كمثل الأدواء بالنسبة للأجسام، فالفكر إذا كان خاليا من المغالطة صحّت نسبته إلى الفكر المستقيم، وإذا تلبّس بها صار كالجسم السقيم، وأدواء الفكر (المغالطات) بدورها كأدواء الجسم كثيرة ومتنوعة، وهي أيضا متفاوتة في خطورتها وحجم الضرر الناجم عنها، فيها الهين الذي لا ينتج عنه إلا خلل بسيط يُحتمل، غير أن منها المعضلة التي إن دخلت على الفكر جرّت عليه صنوفا من الخراب، وأفسدت بناءه إفسادا تاما ليس بعده إلا التهافت والسقوط، ومن موجبات ذلك عوامل محسوسة ذات صلة وطيدة بكل من المتكلم والسامع على حد سواء، وأيضا ما يتعلق بهما من أحوال وظروف وصفات [1]، فمن المعلوم أنّ الخطاب يعتمد على عناصر السيّاق الخارجي في إنتاجه وتشكيله اللغوي، وكذلك في تأويله مما يفترض معرفة شروط إنتاجه وظروفه، وكما انّ هناك فرقا في العلامات اللغوية المستعملة، فقد يُنتَج الخطاب بعلامات غير لغوية لا يفكّ شيفرتها إلا عوامل مادية يتولى أمرها الموقف التواصلي [2]، وعليه ما كان لهذه العوامل المادية إلا أن أسهمت في ضبط الصور الحجاجية في مستواها السياقي انطلاقا من "مقامات الهمذاني" حسب الآتي ذكره:

---

[1]– رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة، ص17.

[2]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص39.

1- أساليب المغالطة بالسلطة (المكانة):

المقصود بالسلطة ضمن هذا المسلك الحجاجي «شخصية تتمتع بكفاءة عالية في مجال تخصصها بحيث يمكن ان تتفوق من حيث سلامة تقديراتها في موضوع يتعلق بميدان خبرتها تفوقا يتجاوز ذاك المتاح لشخص عادي تجاوزا دالا، وهكذا يبدو الاستناد إلى السلطة في مفترق الطرق بين الموضوعية العلمية والانطباعية الذاتية، ذلك أن المعرفة العلمية الموضوعية تقتضي اكتناها مباشرا انطلاقا من الأدلة التي يوفرها المجال العلمي والتي ينبغي أن تكون قابلة للإدراك والتمثل والفهم، فالموضوعية... تتنافى مع الركون إلى السلطة وتقتضي الاتجاه المباشر إلى المعرفة عن طريق الاستدلالات الملائمة للمجال المعرفي المخصوص» [1].

ومنه، يستدعي هذا المفهوم كلا من سلطة المنزلة العلمية والفكرية وحتى الاجتماعية للمرجع الذي يساق الكلام منسوبا إليه [2]؛ أي كأن يكون هذا المرجع شخصا من بين أشخاص لهم تقديرهم واحترامهم في مجالات خاصة مثل: الأنبياء والرسل والعلماء والفقهاء والساسة... [3]، حيث يتم ذكر اسم هذا الشخص في معرض الدفاع عن فكرة، فيبدو وكأنه من بين المناصرين لها أيضا، مع أن هذا الشخص لا صلة له أصلا بالمجال الذي تتعلق به المحاورة، ويرى النقاد أن هذا الصنف يندرج ضمن مسلك حجاجي عام يسميه البعض بـ «استدعاء رأي الخبير»، وهو فعل حجاجي مشروع وجائز في بعض المواقف، إذا تمّ وفق الضوابط والأصول المعقولة، إلا أنَّهُ قد ينحرف عن كل ذلك ليسقط في مسالك مغالطة [4]، صورتها العامة حسب ما يلي: [5]

---

[1]- محمد النويري، الأساليب المغالطية مدخلا لنقد الحجاج، ص422.

[2]- رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة، ص23.

[3]- محمد مهران رشوان، قضايا أساسية في المنطق، ص109.

[4]- رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة، ص23.

[5]- نفسه، ص نفسها.

- الشخص (أ) خبير في الموضوع (ج).
- (أ) يدافع عن الفكرة (ف) من الموضوع (ن).
- إذن، الفكرة (ف) صادقة.

إنّ هذا الأسلوب في اِلتماس السند للفكرة مرفوض وباطل، لأن المتحاورين يعمدون إلى التوسل بمن يعدّونهم حجة في موضوع المحاورة، مع أن لا صلة لهم بالموضوع، فيتمّ اللعب على الطبيعة المتساهلة والمتسامحة للجمهور الذي لا يدقق في مسألة التخصص، بل يميل إلى التسليم بمجرد معرفته أن فلانا من أهل الخبرة في أي مجال كان [1].

من هذه الزاوية، تقوم وجهة نظر أخرى لا تعتبر "السلطة" دعامة حجاجية إطلاقا بما أنَّها لا تعتمد على أي استنتاج عقلي يؤدي إلى النتيجة، ولكن على إثبات النتيجة بموجب أن فلانا – وهو سلطة ما– قالها، كالاحتجاج لرأي استنادا إلى قول الرسول ﷺ أو الصحابة أو العلماء أو أهل الصنعة وذوي الاختصاص، وهذا ما يؤدي في أحيان كثيرة إلى إذعان وامتثال دون اقتناع حقيقي [2].

إلا أنّ الرأي الذي يرى عكس ذلك يستند في توجهه هذا إلى طبيعة هذه الدعامة القائمة على قوة المخادعة بناء على الظروف الخاصة التي تقال فيها، أو على طبيعة الأشخاص الذين تتوجه إليهم، حيث يكونون في حالة تتيح لهم الوقوع في شراكها [3]، وما ورد في " **المقامة الأصفهانية**" مثال عن ذلك يمكن شرحه حسب الآتي:

قال الهمذانِي: « **حدَّثَنا عِيسَى بنُ هشامٍ قَالَ: كُنْت بأَصْفَهَان اعْتَزَمُ المَسِيرَ إلى الرَّيِّ فَحَلَلْتُهَا حُلُولَ الْفَيِّ، أَتوقَّعُ الْقَافِلَةَ كُلَّ لَمْحَةٍ، وَأَتَرَقَّبُ الرَّاحِلَةَ كُلَّ صَبْحَةٍ، فَلَمَّا حُمَّ مَا تَوَقَّعْتُهُ، نُودِي لِلصَّلاَةِ نِدَاءً سَمِعْتُهُ، وَتَعَيَّنَ فَرْضُ الإِجَابَةِ، فَانْسَلَلْتُ منْ بَيْنِ الصَّحَابَةِ، اغْتَنِمُ الْجَمَاعَةَ أُدْرِكُهَا، وَأَخْشَى فَوْتَ الْقَافِلَةِ اَتْرُكُهَا، لَكِنِّي اسْتَعَنْتُ بِبَرَكَاتِ الْصَّلاَةِ، عَلَى**

---

[1]– السابق، ص نفسها.

[2]– سامية الدريدي الحسني، دراسات في الحجاج، ص163.

[3]– محمد مهران رشوان، قضايا أساسية في المنطق، ص109.

وَعْثَاءِ الْفَلاَةِ، فَصِرْتُ إِلَى أَوَّلِ الصُّفُوفِ، وَمَثَلْتُ لِلْوُقُوفِ، وَتَقَدَّمَ الإِمَامُ إِلَى الْمِحْرَابِ، فَقَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ بِقِرَاءَةِ حَمْزَة، مَدَّةً وَهَمْزَةً، وَبِيَ الغَمُّ المُقِيمُ المُقْعِدُ فِي فَوْتِ الْقَافِلَةِ، وَالبُعْدِ عَنِ الرَّاحِلَةِ ، واتْبَعَ الفاتِحةَ الوَاقِعَةَ وأَنَا أَتَصَلَّى نَارَ الصَّبْرِ وَأَتَصَلَّبُ، وأَتَقَلَّى عَلَى جَمْرِ الْغَيْظِ وَأَتَقَلَّبُ، وَلَيْسَ إِلاَّ السُّكُوتُ والصَّبْرُ، أَوْ الْكَلاَمُ وَالْقَبْرُ، لِمَا عَرَفْتُ مِنْ خُشُونَةِ الْقَوْمِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ، أَنْ لَوْ قُطِعَتِ الصَّلاَةُ دُونَ السَّلاَمِ، فَوَقَفْتُ بِقَدَمِ الضَّرُورَةِ، عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ، إِلَى انْتِهَاءِ السُّورَةِ، وقَدْ قَنِطْتُ مِنَ القَافِلَةِ، وَظَايَسْتُ مِن الرَّحْلِ والرَّاحِلَةِ، ثُمَّ حَنَى قَوْسَهُ لِلرُّكُوعِ، بِنَوْعٍ مِنَ الْخُشُوعِ، وَضَرْبٍ مِنَ الْخُضُوعِ، لَمْ أَعْهَدْهُ مِنْ قَبْلُ. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَيَدَهُ، وَقَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، وقَامَ حتَّى مَا شَكَكْتُ أَنَّهُ قَدْ نَامَ، ضَرَبَ بِيَمِينِهِ، وَأَكَبَّ لِجَبِينِهِ، ثُمَّ انْكَبَّ لِوَجْهِهِ، وَرَفَعْتُ رَأسِي انْتَهِزُ فُرْصَةً، فَلَمْ أَرَ بَيْنَ الصُّفُوفِ فُرْجَةً، فَعُدْتُ إِلَى السُّجُودِ حَتَّى كَبَّرَ لِلْقُعُودِ، وَقَامَ إِلَى الرَّكْعَةِ الثَّانِيَّةِ، فَقَرَأَ الفَاتِحَةَ والْقَارِعَةَ قِرَاءَةً اسْتَوْفَى بِهَا عُمْرَ السَّاعَةِ، واسْتَنْزَفَ أَرْواحَ الجَمَاعَةِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ رَكْعَتَيهِ، وأَقْبلَ علَى التَّشَهُّدِ بِلَحْيَيْهِ، ومَالَ إِلَى التَّحِيَّةِ بِأَخْدَعَيْهِ، وَقُلْتُ قَدْ سَهَّلَ اللهُ المَخْرَجَ، وَقَرَّبَ الَفَرَجَ، قَامَ رَجُلٌ وقَالَ: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُحِبُّ الصَّحَابَةَ والجَمَاعَةَ، فَلْيُعِرْنِي سَمْعَهُ سَاعَةً، قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَلَزِمْتُ أَرْضِي، صِيَانَةً لِعَرْضِي، فَقَالَ: حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لاَ أَقُولَ غَيْرَ الحَقِّ، ولاَ أَشْهَدَ إِلاَّ بِالصِّدْقِ، قَدْ جِئْتُكُمْ بِبِشَارَةٍ مِنْ نَبِيِّكُمْ لَكِنِّي لاَ أُؤَدِّيهَا حَتَّى يُطَهِّرَ اللهُ هَذَا الْمَسْجِدَ مِنْ كُلِّ نَذْلٍ يَجْحَدُ نُبُوءَتَهُ، قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَرَبَطَنِي بِالْقُيُودِ، وَشَدَّنِي بِالْحِبَالِ السُّودِ، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُهُ ﷺ فِي المَنَامِ، كَالْشَّمْسِ تَحْتَ الْغَمَامِ، وَالْبَدْرِ لَيْلَ الْتَّمَامِ، يَسِيرُ وَالنُّجُومُ تَتْبَعُهُ وَيَسْحَبُ الذَّيْلَ والمَلاَئِكَةُ تَرْفَعُهُ، ثُمَّ عَلَّمَنِي دُعَاءً أَوْصَانِي أَنْ أُعَلِّمَ ذَلِكَ أُمَّتَهُ، فَكَتَبْتُهُ عَلَى هَذِهِ الأَوْرَاقِ بِخَلُوقٍ وَمِسْكٍ، وَزَعْفَرَانٍ وَسُكٍّ، فَمَنْ اسْتَوْهَبَهُ مِنِّي وَهَبْتُهُ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ ثَمَنَ الْقِرْطَاسِ أَخَذْتُهُ، قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَلَقَدَ انْثَالَتْ عَلَيْهِ الدَّرَاهِمُ حَتَّى حَيَّرَتْهُ وَخَرَجَ فَتَبِعْتُهُ مُتَعَجِّبًا مِنْ حُذْقِهِ بِزِرْقِهِ وَتَمَحُّلِ رِزْقِهِ، وَهَمَمْتُ بِمَسْأَلَتِهِ عَنْ حَالِهِ فَأَمْسَكْتُ، وَبِمُكَالَمَتِهِ فَسَكَّتُّ، وَتَأَمَّلْتُ فَصَاحَتَهُ فِي وَقَاحَتِهِ، وَمَلاَحَتَهُ فِي اسْتِمَاحَتِهِ، وَرَبْطِهِ النَّاسَ بِحِيلَتِهِ، وَأَخْذِهِ

الْمَالَ بِوَسِيلَتِهِ، وَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ، فَقُلْتُ: كَيْفَ اهْتَدَيْتَ إِلَى هَذِهِ الْحِيلَةَ؟ » [1] **فَتَبَسَّمَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ** [2]:

النَّاسُ حُمْرٌ فَجَوِّزْ وَابْرُزْ عَلَيْهِمْ وَبَرِّزْ

حَتَّى إِذَا نِلْتَ مِنْهُمْ مَا تَشْتَهِيهِ فَفُرْوِزْ

في هذا الخطاب يسرد " عيسى بن هشام" أحداثا وقعت بأصفهان، وبالتحديد في مسجد، حيث قام محتال خطيبا في الناس بعد انتهاء الصلاة، مستغلا مكانة الرسول " محمد بن عبد الله ﷺ " في مجتمع إسلامي، لينفِّذ خطة محكمة وفق حيلة ماكرة أساسها استثارة معاني الولاء الكامنة في اللاشعور، وإثارة معاني الطاعة المتجذرة في اللاوعي عند كل مسلم بقوله:« **مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُحِبُّ الصَّحَابَةَ والجَمَاعَةَ، فَلْيُعِرْنِي سَمْعَهُ سَاعَةً، قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَلَزِمْتُ أَرْضِي، صِيَانَةً لِعَرْضِي، فَقَالَ: حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لاَ أَقُولَ غَيْرَ الحَقِّ، ولاَ أَشْهَدَ إِلاَّ بِالصِّدْقِ، قَدْ جِئْتُكُمْ بِبِشَارَةٍ مِنْ نَبِيِّكُمْ لَكِنِّي لاَ أُؤَدِّيهَا حَتَّى يُطَهِّرَ اللهُ هَذَا الْمَسْجِدَ مِنْ كُلِّ نَذْلٍ يَجْحَدُ نُبُوءَتَهُ »**[3]، وبهذه المقدمة المؤثرة نجحت الخطة في مرحلتها الأولى، حيث أثارت فضول الحاضرين وضمنت بقاءهم، ليستمر الخطاب بعد ذلك منوها بصفات حسية له- عليه الصلاة والسلام- قبل أن ينقل وصية تلقاها المدعي في منامه قائلا: « **رَأَيْتُهُ فِي المَنَامِ، كَالْشَّمْسِ تَحْتَ الْغَمَامِ، وَالْبَدْرِ لَيْلَ الْتَّمَامِ، يَسِيرُ وَالنُّجُومُ تَتْبَعُهُ وَيَسْحَبُ الذَّيْلَ والمَلاَئِكَةُ تَرْفَعُهُ، ثُمَّ عَلَّمَنِي دُعَاءً أَوْصَانِي أَنْ أُعَلِّمَ ذَلِكَ أُمَّتَهُ** » [4]، وحتى لا ينسى هذا الدّعاء إلى حين تنفيذ هذه الوصية قال: « **فَكَتَبْتُهُ عَلَى هَذِهِ الأَوْرَاقِ بِخَلُوقٍ وَمِسْكٍ، وَزَعْفَرَانٍ وَسُكٍّ** » [5]، ثم عرض اقتراحه للحصول على الدعاء دون مقابل فيما عدا ثمن

---

[1]- بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 56- 60.

[2]- نفسه، ص 60.

[3]- نفسه، ص 58، 59.

[4]- نفسه، ص59.

[5]- نفسه، ص نفسها.

الأوراق: « **فَمَنْ اسْتَوْهَبَهُ مِنِّي وَهَبْتُهُ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ ثَمَنَ الْقِرْطَاسِ أَخَذْتُهُ** » [1]، فانهالت عليه الدراهم أضعافا مضاعفة، لأنّ القوم وثقوا به وصدقوه بناء على اعتقادهم أنَّ به اختصاصا إلهيا، وما هذا بصحيح اعترافا منه في خاتمة الخطاب: « **قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَلَقَدَ انْثَالَتْ عَلَيْهِ الدَّرَاهِمُ حَتَّى حَيَّرَتْهُ وَخَرَجَ فَتَبِعْتُهُ مُتَعَجِّبًا مِنْ حُذْقِهِ بِزِرْقِهِ وَتَمَحُّلِ رِزْقِهِ، وَهَمَمْتُ بِمَسْأَلَتِهِ عَنْ حَالِهِ فَأَمْسَكْتُ، وَبِمُكَالَمَتِهِ فَسَكَّتُّ، وَتَأَمَّلْتُ فَصَاحَتَهُ فِي وَقَاحَتِهِ، وَمَلاَحَتَهُ فِي اسْتِمَاحَتِهِ، وَرَبْطِهِ النَّاسَ بِحِيلَتِهِ، وَأَخْذِهِ الْمَالَ بِوَسِيلَتِهِ، وَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ، فَقُلْتُ: كَيْفَ اهْتَدَيْتَ إِلَى هَذِهِ الْحِيلَةَ؟** » [2] **فَتَبَسَّمَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ** [3]:

النَّاسُ حُمْرٌ فَجَـوِّزْ وَابْرُزْ عَلَيْـهِـمْ وَبَرِّزْ

حَتَّى إِذَا نِلْتَ مِنْهُمْ مَا تَـشْتَهِيـهِ فَـفَرْوِزْ

إنّ المقام وثيقة تكشف حدة التناقض الطبقي في ذلك العصر، وتوسّل بعض الناس إلى مقاومته بالكدية والاحتيال [4]، حتى لو أدى ذلك إلى انتهاك حرمات مقدسة وفق حيلة أقصى ما يمكن القول عنها أنها تدليس شيطانيّ رهيب، ومن العوامل التي مهدت الطريق أمام هذا "المدلِّس" وأسهمت في نجاح حيلته "غفلة الحضور" لما هم عليه من عدم اليقظة والفطنة والوعي، نظرا لسرعة تصديقهم كل ما قيل لهم [5]، بالإضافة إلى أنّ بنية الخطاب متماسكة ومتسلسلة بشكل منطقي من أولها إلى آخرها وفق حبكة سردية نسجتها تراكيب لغوية، وإن لم تخل من ظواهر بلاغية فإن أقل ما يمكن أن يقال عنها أنَّهُا بسيطة [6]، بما أن المحتال أولى كامل عنايته بعامل لا لغوي تجلى في سياق مقامي تكفل بتوجيه قوته الحجاجية حسب الآتي:

---

[1]– السابق، ص نفسها.

[2]– نفسه، ص 59، 60.

[3]– نفسه، ص60 .

[4]– نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، ص92.

[5]– باسم ناظم سليمان ناصر المولى، سيكولوجية الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص53.

[6]– ينظر: نور مرعي الهدروسي، السرد في مقامات السرقسطي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2009م، ص52.

المخطط رقم -13-

2- أساليب المغالطة بالاسترحام (استعطاف المتلقي):

تنشأ مغالطة الاسترحام أو اللجوء إلى الشفقة أو استعطاف المتلقي حين يلجأ الشخص المتكلم إلى استدرار العطف من أجل قبول نتيجة ما [1]، وبمعنى آخر أن يتم استدعاء الرحمة والشفقة لأجل قبول صدق الفكرة، حيث يعمد صاحب الرأي إلى إبراز بعض الأحوال المتعلقة به والباعثة على الشفقة، ليبنى عليها دعوة المخاطب لقبول رأيه[2]، فتكون صورتها العامة وفق ما يلي [3]:

- (أ) يعرض القضية أو القضايا (ق) في سياق الدفاع عن الفكرة (ف)، وذلك بقصد خلق الإحساس بالشفقة.
- إذن، الفكرة (ف) صادقة.

وعليه، تضم كلّ من المقامات " الأزاذيّة والأذربيجانيّة والجرجانيّة والكوفيّة والمكفوفيّة" حجاجا مغالطا سلك طريق الاستعطاف والاسترحام أثناء إلقاء الخطاب من طرف محتال احترف التسوّل وبرع فيه إلى أن بلغ أعلى درجات المكر والخداع، مع اختلاف أساليبه باختلاف الأحداث في كل مقامة:

أ- المقامة الأزاذيّة:

تدور أحداث هذه المقامة في بغداد، فحين كان " عيسى بن هشام" يتجول في إحدى الأسواق فإذا به يرى متسولا يتضرع قائلا [4]:

وَيْلِي عَلَى كَفّيْنِ مِنْ سَوِيقِ أوْ شَحْمَةٍ تُضْرَبُ بِالدَّقِيقِ

---

[1]- محمد مهران رشوان، قضايا أساسية في المنطق، ص109.

[2]- رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة، ص 29.

[3]- نفسه، ص نفسها.

[4]- بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 15.

أوْ قَصْعَةٍ تُمْـلأُ مِنْ خِـرْدِيقِ يَفْثَـأُ عَنَّـا سَطَـوَاتِ الرِّيـقِ

يُقِيمُـنَا عَـنْ مَنْهَجِ الطَّـرِيقِ يَا رَازِقَ الثَّـرْوَةِ بَعْـدَ الضِّيقِ

سَهِّلْ عَلَى كَـفِّ فَتَى لَبِيــقِ ذِي نَسَبٍ فِي مِجْدِهِ عَـرِيقِ

يَــهْدِي إِلَيْـنَـا قَـدَمَ التَّوْفِيـقِ يُنْقِذُ عَيْشِي مِنْ يَـدِ التَّرنيـقِ

فما كان من أمر محدثنا – عيسى بن هشام– إلا أن أناله عطاء، فاستزاد المتسول قائلا [1]:

يَا مَنْ عَنَانِي بِجَمِيلِ بِرِّهِ أَفْضِ إِلَى اللهِ بِحُسْـنِ سِرِّهِ

وَاسْتَحْفِظِ اللهَ جَمِيلَ سِتْرِهِ إِنْ كَانَ لاَ طَاقَةَ لِي بِشُكْرِهِ

فَاللهُ ربِّي مِنْ وراءِ أَجْرِه

فاشترط عليه "ابن هشام" أن يكشف اللثام عن وجهه، حيث قال:

«فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ فِي الْكِيسِ فَضْلاً فَابْرُزْ عَنْ بَاطِنِكَ أَخْرُجْ إِلَيْكَ عَنْ آخِرِهِ، فَأَمَاطَ لِثَامَهُ فَإِذَا واللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ فَقُلْتُ: وَيْحَكَ أَيُّ دَاهِيَّةٍ أَنْتَ؟» [2]، فَأَنْشَأَ يقولُ مُتفَاخِرًا بَعْد أَنْ افْتُضحَ أمْره [3]:

فَقَـضِّ العُمْرِ تَشْبِيهاَ عَلَى النّـَاسِ وتَمْويهَا

أَرَى الأَيَّـامَ لاَ تَـبْـقَى عَـلَى حَـالٍ فَأَحْـكِيـهَا

فَـيَـوْمًـا شَـرُّهَـا فِـيَّ ويَـوْمًـا شِـرَّتِي فِيهَا

---

[1]– السابق، ص 16.

[2]– نفسه، ص نفسها.

[3]– نفسه، ص 16، 17.

ب – المقامة الأذربيجانيّة:

في سوق من أسواق أذربيجان، سمع "ابن هشام" رجلا يتوسّل النّاس مستهلا كلامه داعيا الله بقوله: « **اللَّهُمَّ يَا مُبْدِأَ الأَشْيَاءِ وَمُعِيدُهَا، ومُحْيِي الْعِظَامِ وَمُبِيدَهَا وخَالِقَ الْمِصْبَاحِ وَمُدِيرَهُ وفَالِقَ الإِصْبَاحِ وَمُنِيرَهُ، وَمُوصِلَ الآلاَءِ سَابِغَةً إِلَيْنَا، وَمُمْسِكَ السَّمَاءِ أَنْ تَقَعَ عَلَيْنَا، وَبَارِئَ النَّسَمِ أَزْوَاجًا وجَاعِلَ الشَّمْسِ سِرَاجًا، والسَّمَاءِ سَقْفًا والأَرْضِ فِرَاشًا، وجَاعِلَ اللَّيْلِ سَكَنًا والنَّهَارِ مَعَاشًا، ومُنْشِئَ السَّحَابِ ثِقَالاً، وَمُرْسِلَ الصَّوَاعِقِ نِكَالاً، وعَالِمَ مَا فَوْقَ النُّجُومِ، وَمَا تَحْتَ التُّخُومِ، أَسْأَلُكَ عَلَى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ، مُحَمَّدٍ وآلِهِ الطَّاهِرِينَ، وأَنْ تُعِينَنِي عَلَى الغُرْبَةِ أَثْنِى حَبْلَهَا، وعَلَى العُسْرَةِ أَعْدُوا ظِلَّهَا، وأَنْ تُسَهِّلَ لِي عَلَى يَدَيْ مَنْ فَطَرْتَهُ الفِطْرَةُ، وأَطْلَعْتَهُ الطُّهْرَةُ، وَسَعِدَ بالدِّينِ المَتِينِ، وَلَمْ يَعْمَ عَنِ الحَقِّ المُبِينِ، رَاحِلَةً تَطْوِي هَذَا الطَّرِيقَ، وزَادًا يَسَعُنِي والرَّفِيقَ** » [1]، مع هذه البلاغة والاقتدار، وبهذا الكلام الفصيح، وقع المحتال وكشفت مكيدته، لأن "ابن هشام" ألف هذا الأسلوب من شخص يعرفه، حيث قال: « **فَنَاجَيْتُ نَفْسِي بِأَنَّ هذَا الرَّجُلَ أَفْصَحُ مِن إِسْكَنْدَرِّينَا أَبِي الفَتْحِ والْتَفَتُّ لَفْتَةً فَإِذَا هُوَ واللهِ أَبُو الفَتْحِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الفَتْحِ بَلغَ هَذِه الأَرْضِ كَيْدُكَ، وانْتَهَى إلى هَذَا الشَّعْبِ صَيْدُكَ** » [2]، **فما كان من "أبي الفتح" هذا إلا أنِ أنشأ يقول متباهيا** [3]:

أَنَـــا جـَـوَّالَــةُ البِـلاَ دِ وجَوَّابَــةُ الأُفُــقِ

أَنَا خَذْرُوفَـةُ الـزَّمَــا نِ وَعَمَّارَةُ الطُّــرُقِ

لاَ تَلُمْـنِي لَكَ الرَّشَـا دُ عَلَى كُدْيَتِي وَذُقْ

---

[1]– السابق، ص 49، 50.

[2]– نفسه ، ص 50.

[3]– نفسه ، ص 51.

ج- المقامة الجرجانيَّة:

جرت وقائع هذه المقامة في جرجان، حيث تطفل متسول على مجمع لا غريب فيه، مبتدئا كلامه بديباجة تستميل القلوب، وتثير مشاعر الشفقة في كل نفس يصلها استرحام واستعطاف من لا نصير له، معتضدا في ذلك هيئة حاله وكذب كلامه: « **حَدَّثَنَا عِيسى بْن هِشام قال: بَيْنَا نحْنُ بِجُرْجَانَ فِي مَجْمَعٍ لَنَا نَتَحَدَّثُ ومَا فِينَا إلاَّ مِنَّا، إذْ وَقَفَ عَلَيْنَا رَجُلٌ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ المُتَمَدِّدِ، ولاَ القَصِيرِ المُتَرَدِّدِ، كَثَّ العَثْنُونِ يَتْلُوهُ صِغَارٌ فِي إطْمَارٍ، فَافْتَتَحَ الْكَلاَمَ بِالسَّلامِ، وتَحيَّةِ الإسْلامِ، فَولاَّنَا جَمِيلاً، وأَوْلَيْنَاهُ جَزِيلاً، فَقَالَ: يَا قَوْمُ إنِّي امْرُؤٌ منْ أهْلِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ مِن الثُّغُورِ الأَمَويَّةِ، نَمَتنَّى سَليمٌ ورَحَّبَتْ بِي عَبْسٌ، جُبْتُ الآفَاقَ، وتَقَصَّيْتُ الْعِرَاقَ، وجُلْتُ البَدْوَ والْحَضَرَ، ودَاري رَبِيعَةُ وَمُضَرَ، مَا هُنْتُ، حَيْث كُنْتُ، فَلاَ يُزْرِيَنَّ بِي عِنْدَكُمْ مَا تَرَوْنَهُ مِنْ سَمَلِي وإطْمَارِي، فَلَقَدْ كُنَّا واللهِ مِنْ أَهْلِ ثَمٍّ وَرَمٍّ نَرْعَى لَدَى الصَّبَاحِ، وَنُثْغِى عِنْدَ الرَّوَاحِ :**

وَفِينَا مَقَامَـاتٌ حِسَـانٌ وُجُـوهُهُمُ وأُنْدِيَّةٌ يَنْـتَابُهَا القَـولُ والفِـعْـلُ

عَلَى مُكْثَرِيهِمْ رِزْقُ مَنْ يَعْتَرِيهِمْ وعِنْدَ المُقِلّينَ السَّمَاحَةُ والـبَذْلُ

ثُمَّ إنَّ الدَّهْرَ يَاقَوْمُ قَلَبَ لِي مِنْ بَيْنِهِمْ ظَهْرَ المِجَنِّ، فَاعْتَضْتُ بِالنَّوْمِ السَّهَرَ، وبِالإقَامَةِ السَّفَرَ، تَتَرَامَى بِي المَرَامِي، وَتَتَهَادَى بِي المَوَامِي، وقَلْعَتْنِي حَوَادِثُ الزَّمَنِ قَلْعَ الصُّمْغَةِ، فَأُصْبِحُ وأُمْسِي أنْقَى مِنَ الرَّاحَةِ وأَعْرَى مِنْ صَفْحَةِ الوَلِيدِ، وَأَصْبَحْتُ فَارِغَ الفِنَاءِ، صَفْرَ الإنَاءِ، مَالِي إلاَّ كَآبَةَ الأَسْفَارِ، ومُعَاقَرَةُ السِّفَارِ، أُعانِي الفَقْرَ وأُمَانِي القَفْرَ، فِرَاشِي المَدَرُ، ووِسَادِي الْحَجَرُ:

بِآمِـدٍ مَـرَّةٍ وبِـرَأْسِ عَـيْنٍ وأَحْيَـانًـا بِمَـيَّـافَـارِقِـيـنَا

لَيْلَةً بالشَّامِ ثُمَّتَ بِالأَهْوَا زِ رَحْلِـي وَلَيْـلَةً بِالعِـرَاقِ

فَمَا زَالَتِ النَّوَى تَطْرَحُ بِي كُلَّ مَطْرَحٍ حَتَّى وَطِئْتُ بِلاَدَ الْحَجْرِ وَأَحَلَّتْنِي بَلَدَ هَمَذَانَ، فَقَبِلَنِي أَحْيَاؤُهَا، وَاْشرَأَبَّ إِلَيَّ أَحِبَّاؤُهَا، وَلَكِنِّي مِلْتُ لِأَعْظَمِهِمْ جَفْنَةً، وَأَزْهَدِهُمْ جَفْوَةً:

لَهُ نَارُ تَشُبُّ عَلَى يَفَاعٍ إِذَا النِّيرَانُ أُلْبِسَتِ الْقِنَاعَا

فَوطِأَ لِي مَضْجِعًا، وَمَهَّدَ لِي مَهْجَعًا، فَإِنْ وَنَّى لِي وُنْيَةٌ هَبَّ لِي ابْنٌ كأَنَّهُ سَيْفٌ يَمَانٍ، أَوْ هِلاَلٌ بَدَا فِي غَيْرِ قَتَمَانٍ، وَأَوْلاَنِي نِعَمًا ضَاقَ عَنْهَا قَدْرِي، وَاتَّسَعَ بِهَا صَدْرِي، أَوَّلُهَا فَرْشُ الدَّارِ، وآخِرُهَا أَلْفُ دِينَارٍ، فَمَا طَيَّرَتْنِي إِلاَّ النِّعَمُ حَيْثُ تَوَالَتْ، وَالدِّيَمُ لِمَّا انْثَالَتْ، فَطَلَعْتُ مِنْ هَمَذَانَ طُلُوعَ الشَّارِدِ، وَنَفَرْتُ نِفَارَ الآبِدِ، أَفْرِي الْمَسَالِكَ، وأَقْتَفِرُ الْمَهَالِكَ، وَأُعَانِي الْمَمَالِكَ، عَلَى أَنِّي خَلَّفْتُ أُمَّ مَثْوايَ وَزَغْلُولاً لِي:

كَأَنَّهُ دُمْلَجٌ مِنْ فِضَّةٍ نَبَهٌ فِي مَلْعَبٍ مِنْ عَذَارَى الْحَيِّ مَفْصُومُ

وقَدْ هَبَّتْ بِي إِلَيْكُمْ رِيحَ الاِحْتِيَاجِ، ونَسِيمُ الأَلْفَاجِ، فَانْظُرُوا رَحِمَكُمُ اللهُ لِنَقْضٍ مِنَ الأَنْقَاضِ مَهْزُولٍ، هَدَتْهُ الْحَاجَةُ وَكَدَّتْهُ الْفَاقَةُ:

أَخَا سَفَرٍ جَوَّابَ أَرضٍ تَقَاذَفَتْ بِه فَلَوَاتٌ فَهُو أَشْعَثُ أَغْبَرُ

جَعَلَ اللهُ لِلْخَيْرِ عَلَيْكُمْ دَلِيلاَ، ولاَ جَعَلَ لِلشَّرِّ إِلَيْكُمْ سَبِيلاَ، قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَرَقَّتْ واللهِ لَهُ القُلُوبُ، واغْرُورَقَتْ لِلُطْفِ كَلاَمِهِ العُيُونُ، وَنِلْنَاهُ مَا تَاحَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وأَعْرَضَ عَنَّا حَامِدًا لَنَا » [1]، وبمجرد أن تبع "ابن هشام" خطى الرجل الغريب، حتَّى اتضحت معالم المغالطة في هذا السياق، إذ قال: « **فَتَبِعْتُهُ فَإِذَا هُوَّ واللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيِّ** » [2].

---

[1]– السابق، ص 51– 56.

[2]– نفسه، ص 56.

د- المَقَامة الكوفِيَّة:

يبدأ سياق المغالطة بوقوف متسوّل أمام باب أحد المنازل الكوفية قائلا: « **وَفْدُ اللَّيْلِ وبَرِيدُهُ، وَفَلُّ الْجُوعِ وطَرِيدُهُ، وحُرُّ قَادَهُ الضُّرُّ، والزَّمَنُ المُرُّ، وَضَيْفٌ وَطْؤُهُ خَفِيفٌ، وضَالَّتُهُ رَغِيفٌ، وَجَارٌ يَسْتَعْدِي عَلَى الْجُوعِ، والَجَيْبُ المَرْقُوعُ، وغَرِيبٌ أُوقِدَتِ النَّارُ عَلَى سَفَرِهِ، ونَبَحَ العَوَّاءُ عَلَى أَثَرِهِ، وَنُبِذَتْ خَلْفَهُ الْحُصَيَّاتُ، وَكُنِسَتْ بَعْدَهُ الْعَرَصَاتُ، فَنِضْوُهُ طَلِيحٌ، وَعَيْشُهُ تَبْرِيحٌ، ومِنْ دُونِ فَرْخَيْهِ مَهَامُهُ فِيحٌ، قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقَبَضْتُ مِنْ كِيسِي قَبْضَةَ اللَّيْثِ وبَعَثْتُهَا إِلَيْهِ وقُلْتُ: زِدْنَا سُؤَالاً، نَزِدْكَ نَوَالاً، فَقَالَ: مَا عُرِضَ عُرْفُ العُودِ، عَلَى أَحَرِّ مِنْ نَارِ الْجُودِ، ولاَ لُقِيَ وفْدُ البِرِّ، بِأَحْسَنِ مِنْ بَرِيدِ الشُّكْرِ، وَمَنْ مَلَكَ الْفَضْلَ فَلْيُؤَاسِ، فَلَنْ يَذْهَبَ العُرْفُ بَيْنَ الله والنَّاسِ، وأَمَّا أَنْتَ فَحَقَّقَ الله آمَالَكَ، وجَعَلَ الْيَدَ العُلْيَا لَكَ** » [1]، وتَنْجَلِي المغالطة باعتراف السائل في خاتمة الخطاب بعد أن تعرّف عليه "ابن هشام" ، حيث قال: « **فَفَتَحْنَا لَهُ الْبَابَ وقُلْنَا ادْخُلْ فَإِذَا هُو واللهِ شَيْخُنَا أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الْفَتْحِ شَدَّ مَا بَلَغَتْ مِنْكَ الخَصَاصةُ، وهذَا الزِّيُّ خَاصَّةَ** » [2]، **فَتَبَسَّمَ وأَنْشَأَ يَقُول** [3]:

لاَ يَغُــرَّنَّــكَ الــذِّي أَنَا فِيــهِ مِنَ الطَّـلَبْ

أَنَا فِي ثَــرْوَةٍ تُشَـقَّ ــقُ لَهَا بُرْدَةُ الطَّرَبْ

أَنَا لَوْ شِئْتُ لاتَّخَـذْ تُ سُقُوفًا مِنَ الذَّهَبْ

---

[1]- السابق، ص 30، 31، 32.

[2]- نفسه، ص 32.

[3]- نفسه، ص 32، 33.

هـ- المقامة المكفوفيَّة:

في إحدى بلاد الأهواز، التف حول رجل يدَّعي العمى جمع غفير من الناس، وهو يرثي حاله مستدرا عطفهم وإشفاقهم عليه قائلا [1]:

يَا قَــوْمُ قد أَثْـقَــلَ دَيْـنِي ظَهْرِي وطَـالَبَتْـنِي طَـلَّتِـي بالْـمَـهْـرِ

أَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِ غِـــنًى وَوَفْــرِ سَـاكِنٌ قَــفْرٍ وَحَــلِيفُ فَقْــرِ

يَا قَــوْمُ هَـلْ بَيْنَــكُــمُ منْ حُرٍّ يُعِينُنِي عَلَى صُــرُوفِ الـدَّهْرِ

يَاقَوْمُ قَدْ عِيلَ لِفَقْرِي صَبــْرِي وَانْكَشَفَتْ عَنِّي ذُيُـولَ الـسّـتْـرِ

وَفَـضَّ ذَا الدَّهْرُ بِأَيْــدِي البَتْــرِ مَا كَانَ لِـي مِـنْ فِـضَّــةٍ وَتِبْرِ

آوِي إِلَـــى بَيْـتٍ كَـــقَيْـدِ شِبْــرِ خَامِـلَ قَـــدْرٍ وصَغِـيـرَ قِـدْرِ

لَــوْ خَـــتَمَ اللهُ بِخَــيْرٍ أَمْــرِي أَعْـقَـبَنِي عَـنْ عُـسْرٍ بِـيُسْـرِ

هَلْ مِنْ فَتًى فِيكُمْ كَـرِيمَ النَّجــْرِ مُــحْـــتَسِبٍ فِيَّ عَـظِيمِ الأَجْـرِ

إِنْ لَمْ يَكُنْ مُغْتَنِمًا لِلشُّكْرِ

وبمجرد أن بدأ وصفه لدينار أعطاه إيَّاه "ابن هشام" حتى ساور الشّك هذا الأخير في أمر هذا المتعامي، وإن انطلت خدعته على باقي الحاضرين: « **قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَرَقَّ لَهُ واللهِ قَلْبِي واغْرَوْرَقَتْ لَهُ عَيْنَيَّ، فَنُلْتُهُ دِينَارًا كَانَ مَعِي، فَمَا لَبِثَ أَنْ قَال:**

يَا حُسْنَـهَا فَاقِعَــةٌ صَـفْرَاءَ مَمْشُوقَةٌ مَنْقُـوشَــةٌ قَـوْرَاءَ

يَكَادُ أَنْ يَقْطُرَ مِنْهَا المَـاءُ قَدْ أَثْـمَـرَتْهَا هِـمَّةٌ عَـلْيَاءُ

[1]- السابق، ص 84، 85.

نَفْسُ فَتًى يَمْلِكُــهُ السَّــخَاءُ يَصْــرِفُــهُ فِــيهِ كَـمَا يَشَاءُ

يَا ذَا الذِّي يَعْنِيهِ ذَا الثَّنَاءِ مَا يَتَقَصّـَى قَـدْرَكَ الإِطْـرَاءُ

امْضِ إِلَى اللهِ لَكَ الْجَزَاءُ

وَرَحِمَ اللهُ مَنْ شَدَّهَا فِي قَرْنِ مِثْلِهَا، وآنَسَتْهَا بِأُخْتِهَا، فَنَالَهُ النَّاسُ مَا نَالُوهُ ثُمَّ فَارَقَهُمْ وَتَبِعْتُهُ وعَلِمْتُ أَنَّهُ مُتُعَامٍ لِسُرْعَةِ مَا عَرَفَ الدِّينَارَ» [1]، فقرّر"ابن هشام" أن يقطع الشَّك باليقين، حيث قال:« فَلَمَّا نَظَمَتْنَا خَلْوَةٌ مَدَدْتُ يُمْنَايَ إِلَى يُسْرَى عَضُدَيْهِ وَقُلْتُ: واللهِ لَتُرِينِي سِرَّكَ، أَوْ لأَكْشِفَنَّ سِتْرَكَ، فَفَتَحَ عَنْ تَوَامَتِي لَوْزٍ وَحَدَرْتُ لِثَامَهُ عَنْ وَجْهِه فَإِذَا واللهِ شَيْخُنَا أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدرِيُّ، فَقُلْتُ: أَنْتَ أَبُو الْفَتْحِ؟ » [2]، فَأجابَ مُتَهَكِّمًا سَاخِرًا بِأَنْ قال: لا [3]

أَنَــا أَبــُو قَــلْمُــونٍ فِي كُـلِّ لَــوْنٍ أَكُـونُ

اِخْتَــرْ مِنَ الْكَسْــبِ دُونًا فَــإِنَّ دَهْــرَكَ دُونُ

زَجِّ الــزَّمَــانَ بِحُــمْــقٍ إِنَّ الــزَّمَـانَ زَبُــونُ

لاَ تُكْــذَبَــنَّ بِعَــقْــلٍ مَا الْعَقْلُ إِلاَّ الجُــنُــونُ

لعلّ أول ما يلفت النظر في شخصية "عيسى بن هشام" هو مساحة التشابه مع شخصية " أبي الفتح الإسكندري" في المقامات الخمس، "فابن هشام" جوابٌ آفاق لا يعرف منبته، مما يشير إلى اشتراكه مع " الإسكندري" في لا انتمائه، وهو أيضا منشغل بمذاكرة الشعر والبحث عن شرود الألفاظ والمعاني، غير أنّ درايته بالشعر واللغة وغريبها تتراجع أمام دراية " الإسكندري" وقدرته، وعادة ما يعترف له بالتفوُّق، سواء أكان ذلك بمعان ضمنية

[1]– السابق، ص 85، 86.

[2]– نفسه، ص 86.

[3]– نفسه، ص نفسها.

أو بعبارات صريحة، ضف إلى اطلاعه الواسع بميل المُكدين وأساليبهم الملتوية في تحصيل ما يرمون إليه [1]، وبالتالي كان لهذا العامل المشترك بينهما دور فعال في الإطاحة بالمحتال وكشف مكائده، بما أنَّهُ شخصية ارتبطت بالعلم الواسع في اللغة والأدب وفنونه وتاريخه، مع قدرته النفسية على مجاراة الأيام التي ضاع فيها كل صاحب عقل وعلم، وفاز فيها كل متحامق محتال، وهذا بالذات ما يبرر التناقض الظاهر في سلوكاته الاجتماعية الناجمة عن سخط عميق، ولطالما أعلن موقفه هذا إما متهكما ساخرا، وإما متفاخرا متباهيا في نهاية أغلب المقامات على شكل أبيات شعرية [2].

وفي هذا يقول أحد النقاد: « لقد تحولت شخصيّة المُكدي إلى صورة ادبية ذائعة الصيت على يد البديع، عندما تخيرها لتكون بطلا لمقاماته...، فالمطلع على المقامات يجد البطل مثقفا ثقافة واسعة شاملة، مالكا لناحية اللغة، مستوعبا لحركة تاريخ العرب، وطباع الحكام والمحكومين، ملمًّا بالتراث الشعري والقرآن والحديث وأيّام العرب، وهي شخصية تعكس صورة صاحب المقامات » [3] و« تمثل نموذجا رائعا للثائر، والناقد، والمعلم، بل والمصلح الاجتماعي، بأسلوبه الذكي المحبّب للنفوس، فيصل إليها ... بما يحمله من تشويق وطرافة وظرف » [4].

وفي الأخير يمكن إجمال السياق الحجاجي لكل مقامة حسب الآتي:

---

[1]– أيمن بكر، السرد في مقامات الهمذاني، ص 85.

[2]– نفسه، ص 83، 84.

[3]– نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، ص92.

[4]– نفسه، ص نفسها.

المخطط رقم -14-

3- أساليب المغالطة بالإغاظة (إثارة الغضب والغيظ):

تقع هذه المغالطة حين يلجأ المتكلم إلى التوسل بإغاظة المخاطب قصد التأثير في موقفه من الدعوى؛ أي أنّ المعول عليه في هذا الأسلوب هو تحريض المخاطب ضد الدّعوى من خلال استثارة مشاعر الغضب والغيظ بالوجه الذي يجعله يتنكر لكل المعطيات التي قد تكون في صالح الدعوى، ويرفضها بناء على ما يعتمل في نفسه من مشاعر الحنق والحرَد [1]، وصورتها العامة تكون وفق ما يلي [2]:

- الدّعوى (س) قائمة.
- يتمّ عرض القضية (ق) بغرض تحريك الغيظ والحنق لدى المخاطب.
- إذن، الدعوى (س) كاذبة (أو صادقة).

وسياق " **المقامة الأرمينية**" فيما يروي " عيسى بن هشام" مثال على ذلك: « **وانْضَمَّ إلَيَّ شَابٌ يَعْلُوهُ صَغَارٌ، وَتَغْلُوهُ أَطْمَارٌ، يُكَنَى أَبَا الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِي وَسِرْنَا فِي طَلَبِ أَبِي جَابِرَ فَوجَدْنَاهُ يَطْلُعُ مِنْ ذَاتِ لَظَى تُسْجَرُ بِالغَضَا، فَعَمِدَ الإِسْكَنْدَري إلَى رَجُلٍ فَاسْتَمَاحَهُ كَفَّ مِلْحٍ وقَالَ لِلْخَبَّازِ: أَعِرْنِي رَأْسَ التَّنُّورِ، فَإِنِّي مَقْرُورٌ، ولَمَّا فَرَغَ سَنَامَهُ جَعَلَ يَحْدُثُ القَوْمَ بِحَالِهِ، ويُخْبِرُهُمْ بِاخْتِلاَلِهِ، وَينْشُرُ الْمِلْحَ فِي التَّنُّورِ مِن تَحْتِ أَذْيَالِهِ، يُوهِمُهُمْ أنَّ أَذَى بِثِيَابِهِ، فَقَالَ الخَبَّازُ: مَا لَكَ لاَ أَبَا لَكَ، اجْمَعْ أَذْيَالَكَ فَقَدْ أَفْسَدْتَ الخُبْزَ عَلَيْنَا، وقَامَ إلَى الرَّغْفَانِ فَرَمَاهَا وَجَعَلَ الإِسْكَنْدَرِي يَلْقَطُهَا وَيَتَأَبَّطُهَا، فَأَعْجَبَتْنِي حِيلَتُهُ فِيمَا فَعَلَ، وقَالَ: اِصْبِرْ عَلَيَّ حَتَّى اِحْتَالَ عَلَى الأُدْمِ فَلاَ حِيلَةَ مَعَ الْعُدْمِ، وصَارَ إلَى رَجُلٍ قَدْ صَفَّفَ أَوَانِي نَظِيفَةٍ فِيهَا أَلْوانُ الأَلْبَانِ، فَسَأَلَهُ عَنِ الأَثْمَانِ، وَاسْتَأْذَنُ فِي الذَّوْقِ، فَقَال: افْعَلْ فَأَدَارَ فِي الآنِيَّةِ أُصْبَعَهُ، كَأَنَّهُ يَطْلُبُ شَيْئًا ضَيَّعَهُ، ثُمَّ قَالَ: مَعِي ثَمَنُهُ، وَهَلْ لَكَ رَغْبَةٌ فِي الحِجَامَةِ؟ فَقَالَ: قَبَّحَكَ اللهُ أَنْتَ**

---

[1]- رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة، ص30، 31.

[2]- نفسه، ص 31.

حَجَّامٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَعَمَدَ لِأَعْرَاضِهِ يَسُبُّها، وإِلَى الآنِيَةِ يَصُبُّهَا، فَقَالَ الإِسْكَنْدَرِي: آثِرْنِي عَلَى الشَّيْطَانِ، فَقَالَ: خُذْهَا لاَ بُورِكَ لَكَ فِيهَا، فَأَخَذَهَا و أَوَيْنَا إِلَى خَلْوَةٍ وأَكَلْنَاهَا بِدفْعَةٍ » [1].

لقد عمد " أبو الفتح الإسكندري" إلى إقناع كل من الخباز واللبان بفساد الخبز واللبن على الترتيب، مغالطا إياهما بشدة دهائه وقوة حَبْكه لمكيدته، فما كان من أمرهما إلا أنْ استثارا غيظا وغضبا، وتخلّصا مما كان بحوزتهما من طعام، فنال المحتال ما سعى إليه منتصرا دون أنْ يثير من حوله شكا أو ريبة هذا من جهة، ومن جهة أخرى يرجع الفضل لأسلوبه الفريد في طرح أبعاد السخرية؛ إذ لجأ إلى براعة التصوير، ودقّة الملاحظة، فأبدع صورة فكاهية تكاد تكون مجسمة أمامنا، تثير السخرية والتندُّر والضحك، فالصورة أكثر تأثيرا في النفوس، وأبلغ أثرا في إثارة المشاعر، وهناك من رأى بأن أغلب مقامات الهمذاني صالحة للتحويل إلى أعمال مسرحية ضاحكة تصوِّر نماذج بشرية متعددة ومختلفة من خلال مجموعة من الأفعال المعبرة والأقوال والمشاهد التمثيلية المضحكة دون الاعتماد كثيرا على بلاغة الصور البيانية [2]، وهذا ما حققته أحداث "المقامة الأرمينيّة"، والمخطط الآتي يلخص هذه الأحداث:

[1]– بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 196، 197.

[2]– نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، ص126.

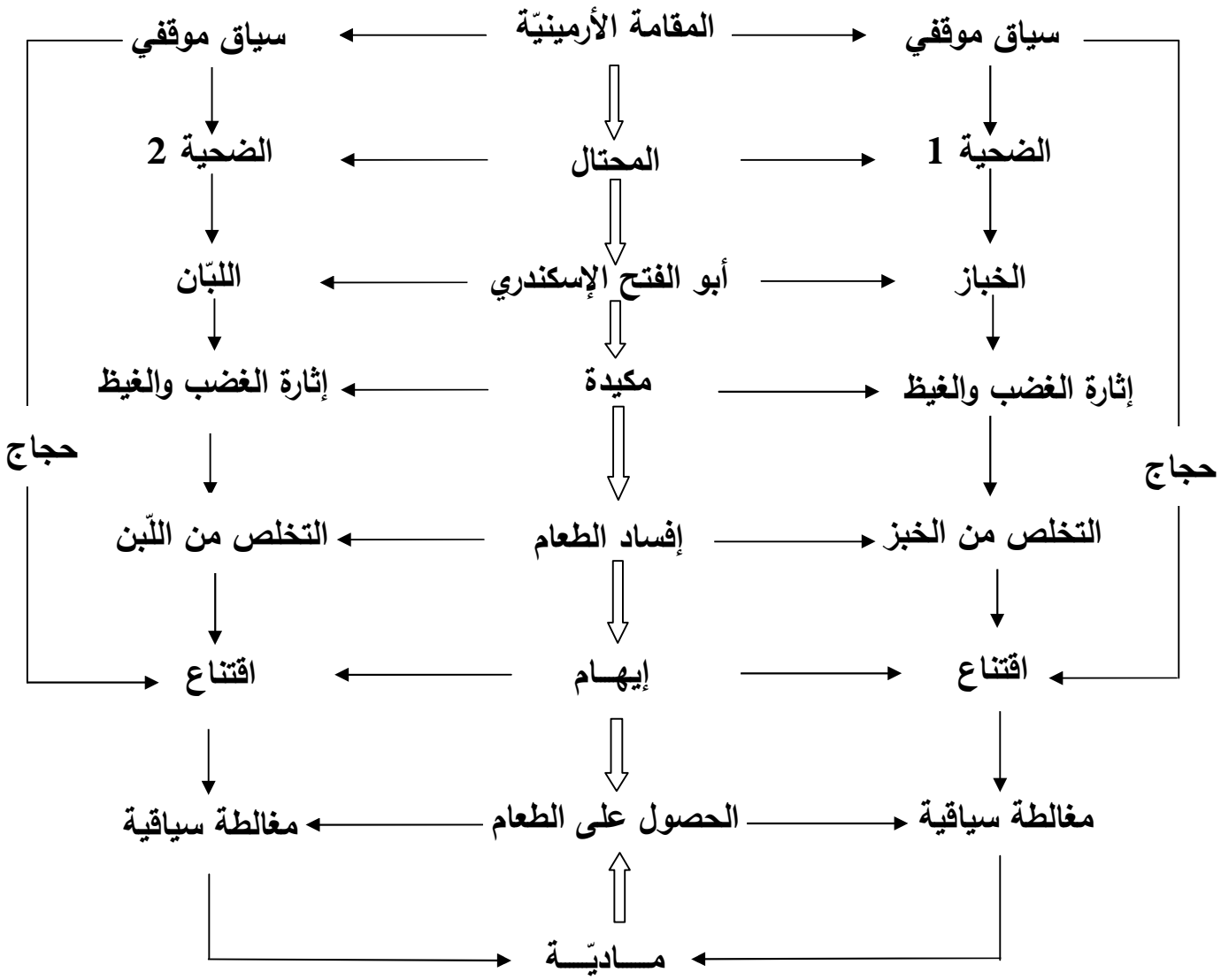

المخطط رقم -15-

4- أساليب المغالطة بالتّخويف:

أ- التّرهيب:

المدّعي في هذه المغالطة يسلك أسلوب التخويف لفرض رأيه بدل سوق الحجج والأدلة المناسبة، وهذا المفهوم يصطلح عليه في الاستعمال الدارج بـ: «الإرهاب الفكري» [1]، وصورته العامة تكون كما يلي [2]:

- عرض القضية (ق) باعتبارها قضية تثير الخوف والرهبة.
- إذن، القضية (ج) صادقة (أو كاذبة)، باعتبارها متصلة على نحو ما بـ (ق).

ب- التهديد:

في هذه المغالطة أيضا يسلك المدعي أسلوب التخويف ولكن بطريقة أخرى، هي: « اللجوء إلى القوة » [3]، حيث يسعى إلى حمل المخاطب على سلوك معين أو على عمل معين سعيا يستند إلى التهديد، فمنه يستمد الحجة، وعلى أساسه يسأل الاقتناع الذي يتخذ في نهاية الأمر شكل الاستسلام [4]، ويكون لهذه الصورة العامة من المحاجة في العادة أحد الشكلين[5]:

- افعل كذا وإلا....
- لا تفعل كذا وإلاّ...

ووجه البطلان في هذا الأسلوب الاستدلالي أن مجرد استثارة الخوف إما ترهيبا أو تهديدا، لا نبغي أن يكون وسيلة لإثبات صدق قضية ومشروعيتها العقلية أو تفنيدها لأن

---

[1]- رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة، ص32.

[2]- نفسه، ص نفسها.

[3]- ينظر: محمد مهران رشوان، قضايا أساسية في المنطق، ص109.

[4]- محمد النويري، الأساليب المغالطية مدخلا لنقد الحجاج، ص426.

[5]- نفسه، ص نفسها.

مشاعر الخوف التي تنتاب الفرد ما هي إلا أمر ذاتي لا يغير من حقائق العقل الراسخة أو شواهد الواقع الثابتة [1].

بما أنّ المغالطة بالتهديد غير واردة في مقامات الهمذاني، فإن مفهوم المغالطة بالترهيب يقتضي " **المقامة البخاريّة**"، حيث ورد فيها: « **حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: أَحَلَّنِي جَامِعُ بُخَارَى يَوْمٌ وَفَدِ انْتَظَمْتُ مَعَ رُفْقَةٍ فِي سِلْكِ الثُّرَيَّا، وَحِينَ احْتَفَلَ الجَامِعُ بِأَهْلِهِ طَلَعَ إِلَيْنَا ذُو طِمْرَيْنِ قَدْ أَرْسَلَ صِوَانًا وَاسْتَتْلَى طِفْلاً عُرْيَانًا يَضِيقُ بِالضُّرِّ وُسْعَهُ، ويَأْخُذُهُ القُرُّ ويَدَعُهُ، لاَ يَمْلِكُ غيْرِ القِشْرَةِ بُرْدَةٍ، ولاَ يَكْتَفِي لِحِمَايَةِ رِعْدَةٍ، فَوقَفَ الرَّجُلُ وقَالَ: لاَ يَنْظُرْ لِهَذَا الطِّفْلِ إلاَّ منْ اللهُ طَفَّلَهُ، ولاَ يَرِقُّ لِهَذَا الضُّرِّ إلاَّ مَنْ لاَ يَأْمَنُ مِثْلَهُ، يَا أَصْحَابَ الجُدُودِ المَفْرُوزَةِ، والأَرْدِيَّةِ المَطْرُوزَةِ، والدُّورِ المُنَجَّدَةِ، والقُصُورِ المُشَيَّدَةِ، إِنَّكُمْ لَنْ تَأْمَنُوا حَادِثًا، ولَنْ تَعْدَمُوا وارِثًا، فَبَادِرُوا الخَيْرَ مَا أَمْكَنَ، وأَحْسِنُوا مَعَ الدَّهْرِ مَا أَحْسَنَ، فَقَدْ واللهِ طَعِمْنَا السِّكْبَاجَ، وَرَكِبْنَا الهِمْلاَجَ، ولَبِسْنَا الدِّيبَاجَ، وَافْتَرَشْنَا الْحَشَايَا بِالعَشَايَا، فَما رَاعَنَا إلاَّ هُبُوبُ الدَّهْرِ بِغَدْرِهِ وَانْقِلاَبُ الْمِجَنِّ لِظَهْرِهِ، فَعَادَ الهِمْلاجُ قَطُوفًا وانْقَلَب الديبَاجُ صُوفًا، وَهَلُمَّ جَرًّا إِلَى ما تُشاهِدونَ من حَالِي وزِيِّي، فَهَا نَحْنُ نَرْتَضِعُ مِن الدَّهْرِ ثَدْيَ عَقِيمٍ، ونَرْكَبُ مِنَ الفَقْرِ ظَهْرَ بَهِيمٍ، فَلاَ نَرْنُو إلاَّ بِعَيْنَي اليَتِيمَ، ولاَ نَمُدُّ إلاَّ يَدَ الغَرِيمَ، فَهَلْ مِنْ كَرِيمٍ يَجْلُو غَيَاهِبَ هَذِه البُؤُوسِ، ويَفُلُّ شَبَا هَذِهَ النُّحُوسِ! ثُمَّ قَعَدَ مُرتَفِعًا وقالَ للطِّفْلِ: أَنْتَ وشَأْنُكَ، فَقَالَ: مَا عَسَى أَنْ أَقُولَ وهَذَا الْكَلاَمُ لَوْ لَقِي الشَّعْرَ لَحَلَقَهُ، أَوْ الصَّخْرَ لَفَلَقَهُ، وإِنَّ قَلْبًا لَمْ يُنْضِجْهُ مَا قُلْتُ لَنَيءٌ وَقَدْ سَمِعْتُمْ يَا قَوْمَ ، مَا لَمْ تَسْمَعُوا قَبْلَ الْيَوْمِ، فَلْيُشْغِلْ كُلُّ مِنْكُمْ بِالجُودِ يَدَهُ، وَلْيَذْكُرْ غَدَهُ، وَاقِيًا بِي وَلَدَهُ، وَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ، وأَعْطُونِي أَشْكُرْكُم، قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَمَا آنَسَنِي فِي وَحْدَتِي إلاَّ خَاتَمَ خَتَمْتُ بِه خِنْصَرَهُ، فَلَمَّا تَنَاوَلَهُ أَنْشَأَ يَصِفُ الخَاتَمَ علَى الإِصْبَعِ وَجَعَلَ يَقُولُ:**

وَمُـمَنْطَـقٍ مـنْ نَفْسِهِ بقِـــلاَدَةِ الجَـــوْزَاءِ حُسْـــنًا

[1]– رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة، ص32.

كَمُـــتَيّـــمٍ لَـقِـــيَ الحَبِيـــبَ فَضمَّـهُ شَغَـفًا وحُـزْنَـا

مُتَأَلِّفٍ مِنْ غَـيْـر أُسْـــرَتِهِ عَلَى الأَيَّـــامِ خِـدْنَـا

عَـلْـــقٌ سَـــنِيٌّ قَـــدْرُهُ لَـكِـنَّ مَـــنْ أَهْـدَاهُ أَسْـنَـى

أَقْسَمْـتُ لَوْ كَانَ الـوَرَى فِي الْمَـجْدِ لَفْـظًا كُنْتُ مَعْنَى

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَنِلْنَاهُ مَا تَاحَ مِنَ الْفَوْرِ، فَأَعْرَضَ عَنَّا حَامِدًا لَنَا، فَتَبِعْتُهُ حَتَّى سَفَرَتِ الخَلْوةُ عَنْ وَجْهِهِ، فَإِذَا هُو واللهِ شَيْخُنَا أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ، وإِذَا الطَّلاَ زُغْلُولُهُ، فَقُلْتُ:

أَبَا الفَتْحِ شِبْتَ وَشَبَّ الغُلاَمُ فَأَيْنَ السَّلاَمُ وأَيْنَ الكَلاَمُ

فَقَالَ:

غَرِيبًا إِذَا جَمَعَتْنَا الطَّرِيقُ أَلِيـفًا إِذَا نَظَمَتْنَا الخِيَامُ

فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ مُخَاطَبَتِي فَتَرَكْتُهُ وانْصَرَفْتُ » [1].

لقد عمد هذا المتسول المدعي إلى أسلوب الترهيب وعيا منه أنَّها الوسيلة المضمونة للخروج به من هذا الموقف غير مدان، بما أنَّهُ على قدر بالغ من الذكاء والدهاء، فهو على دراية تامة بالنظرة الاجتماعية التي تهاجم المتسول الذي يعيش على أكتاف غيره عاطلا عن العمل مع قدرته على ذلك، كما تهاجم ظاهرة التسول في حد ذاتها، إذ لا يجوز الانقطاع لها والاعتماد عليها، فهي ظاهرة معيبة في حق هذا المتسول أولا، كما أنَّها تعيب المجتمع بصفة عامة، بما أنَّها عمل لا أخلاقي يشجع على انتشار سلوكات سلبية [2].

[1]– بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 87– 90.

[2]– ينظر: باسم ناظم سليمان ناصر المولى، سيكولوجية الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص33.

وما يلي مخطط يبسُط سياق المغالطة في هذه المقامة:

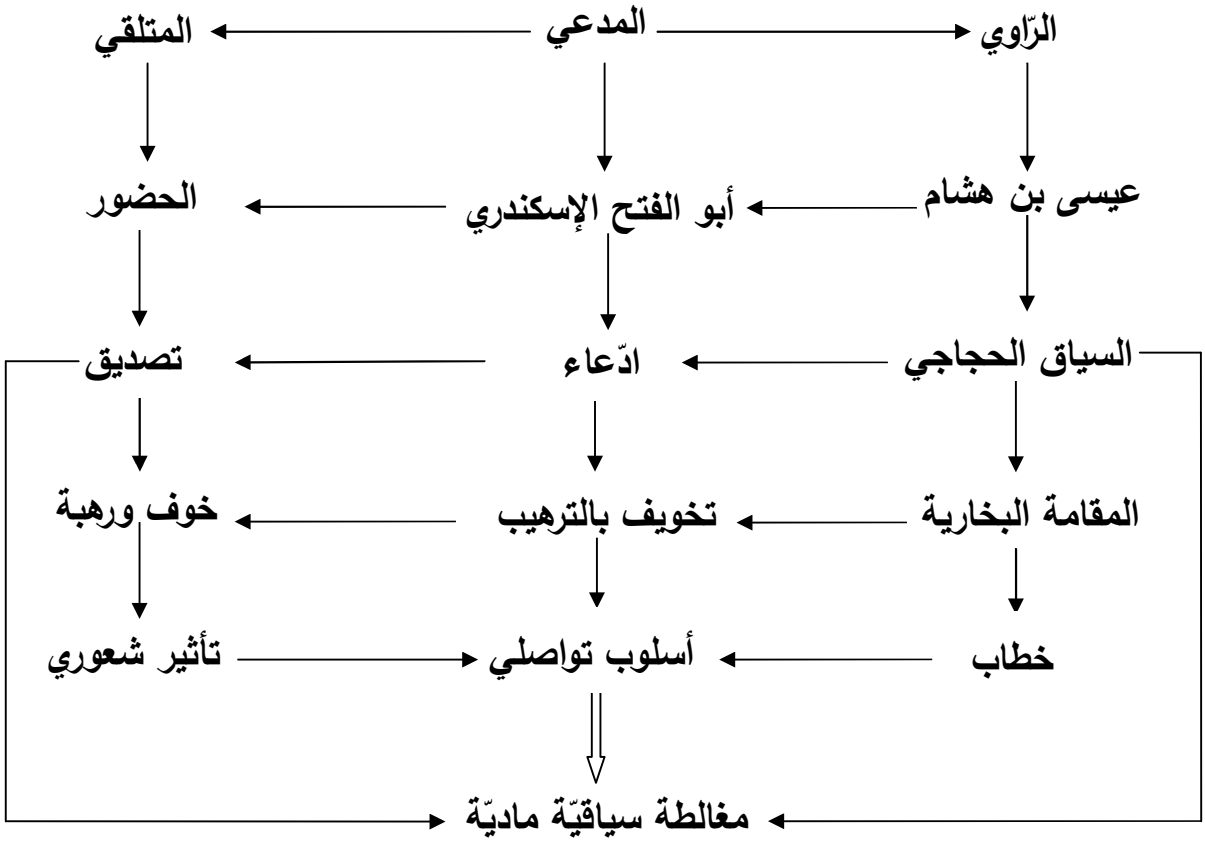

المخطط رقم -16-

5- أساليب المغالطة بالتناقض العملي:

تحدث هذه المغالطة عندما تناقض أقوال المتكلم أفعاله[1]، والآتي يبيِّن صورتها العامة [2]:

- القضية (ق) جائزة منطقيا بالنسبة للشخص (أ).
- تكون (ق) متناقضة عمليا عندما يقرر (أ) العمل بها (أي القضية ق)، ولكنه يعمل بشكل سالب للقضية ذاتها.

وقد حدث هذا التناقض في كل من المقامتين "الأسديّة والناجميّة"، حينما عمد المدعي- على اختلاف حاله وأحواله في كل مقامة- إلى نقض أقواله بأفعاله عمليا، والأحداث في كل واحدة تكون وفق العرض الآتي:

أ- المقامة الأسديّة:

وممّا جاء فيها: « **حدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ:... عَنَّ لَنَا فَارِسٌ فَصَمَدْنَا صَمْدَهُ، وَقَصَدْنَا قَصْدَهُ، ولَمَّا بَلَغْنَا نَزَلَ عَنْ حُرِّ فَرَسِهِ، يَنْقُشُ الأَرْضَ بِشَفَتَيْهِ، وَيَلْقِى التُّرَابَ بِيَدَيْهِ، وَعَمَدَنِي مِنْ بَيْنِ الجَمَاعَةِ، فَقَبَّلَ رِكَابِي، وَتَحَرَّمَ بِجَنَابِي، وَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ وَجْهٌ يَبْرُقُ بَرْقَ الْعَارِضِ المُتَهَلِّلِ، وَقَوَامٌ مَتَى مَا تَرْقَ العَيْنُ فِيهِ تُسْهِلُ وعَارِضٌ قَدِ اخْضَرَّ، وشَارِبٌ قَدْ طَرَّ، وسَاعِدٌ مَلْآنُ، وَقَضِيبٌ رَيَّانُ، وَنِجَارٌ تُرْكِيٌّ، وَزِيٌّ مَلَكِيٌّ، فَقُلْنَا مَا لَكَ لاَ أَبَا لَكَ؟ فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ بَعْضِ المُلُوكِ هَمَّ مِنْ قَتْلِي بِهَمٍّ، فَهِمْتُ عَلَى وَجْهِي إِلَى حَيْثُ تَرَانِي، وَشَهِدَتُ شَوَاهِدَ حَالِهِ، عَلَى صِدْقِ مَقَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا اليَوْمَ عَبْدَكَ، ومَالِي مَالُكَ، فَقُلْتُ: بُشْرَى لَكَ وَبِكَ، أَدَّاكَ سَيْرُكَ إِلَى فِنَاءٍ رَحْبٍ، وَعَيْشٍ رَطْبٍ، وَهَنَّأَتْنِي الجَمَاعَةُ وَجَعَلَ يَنْظُرُ فَتَقْتُلُنَا أَلْحَاظُهُ، وَيَنْطِقُ فَتَفْتِنُنَا أَلَفَاظُهُ، فَقَالَ: يَا سَادَةُ إِنَّ فِي سَفْحِ الجَبَلِ عَيْنًا وَقَدْ رَكِبْتُمْ فَلاَةٌ عَوْرَاءَ،**

---

[1]- محمد النويري، الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج، ص418.

[2]- نفسه، ص نفسها.

فَخُذُوا مِنْ هُنَالِكَ المَاءَ، فَلَوَيْنَا الأَعِنَّةَ إِلَى حيْثُ أَشَارَ وَبَلَغْنَاهُ وَقَدْ صَهَرَتِ الهَاجِرَةُ الأَبْدَانَ، ورَكِبَ الجَنَادِبُ العِيدَانَ، فَقَالَ: أَلاَ تَقِيلُونَ فِي هَذَا الظِّلِّ الرَّحْبِ، عَلى هذَا المَاءِ العَذْبِ؟ فَقُلْنَا: أَنْتَ وذَاكَ، فَنَزل عَنْ فَرَسِهِ وحَلَّ مَنْطِقَتَهُ، ونَحَّى قُرْطُقَتَهُ، فَمَا اسْتَتَرَ عَنَّا إِلاَّ بِغَلاَلَةٍ تَنِمُّ عَلَى بَدَنِهِ، فَمَا شَكَكْنَا أَنَّهُ خَاصَمَ الوِلْدَانَ، فَفَارَقَ الجِنَانَ وَهَرَبَ مِنَ رِضَوَانٍ، وعَمَدَ إِلَى السَّرُوجِ فَحَطَّهَا وإِلَى الأَفْرَاسِ فَحَشَّهَا، وإِلَى الأَمْكِنَةِ فَرَشَّهَا، وقَدْ حَارَتِ البَصَائِرُ فِيهِ، وَوَقَفَتِ الأَبْصَارُ عَلَيْهِ. فَقُلْتُ: يَا فَتَى مَا أَلْطَفَكَ فِي الْخِدْمَةِ، وأَحْسَنَكَ فِي الجُمْلَةِ، فَالْوَيْلُ لِمَنْ فَارَقْتَهُ، وَطُوبَى لِمَنْ رَافَقْتَهُ، فَكَيْفَ شُكْرُ اللهِ عَلَى النِّعْمَةِ بِكَ؟ فَقَالَ: مَا سَتَرَوْنَهُ مِنِّي أَكْثَرُ أَتُعْجِبُكُمْ خِفَّتِي فِي الْخِدْمَةِ، وَحُسْنِي فِي الجُمْلَةِ، فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتُمُونِي فِي الرِّفْقَةِ، أُرِيكُمْ مِنْ حِذْقِي طُرُقًا، لِتَزْدَادُوا بِي شَغَفًا، فَقُلْنَا: هَاتِ، فَعَمَدَ إِلَى قَوْسِ أَحَدِنَا فَأَوْتَرَهُ وَفَوَّقَ سَهْمًا فَرَمَاهُ فِي السَّمَاءِ، وَ أَتْبَعَهُ بِآخَرَ فَشَقَّهُ فِي الْهَوَاءِ، وقَالَ: سَأُرِيكُمْ نَوْعًا آخَرَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى كِنَانَتِي فَأَخَذَهَا وإِلَى فَرَسِي فَعَلاَهُ وَرَمَى أَحَدَنَا بِسَهْمٍ أَثْبَتَهُ فِي صَدْرِهِ، وَآخَرَ طَيَّرَهُ مِنْ ظَهْرِهِ، فَقُلْتُ: وَيْحَكَ مَا تَصْنَعْ؟ قَالَ: اسْكُتْ يَا لُكَعُ، وَاللهِ لَيَشُدَّنَّ كُلُّ مِنْكُمْ يَدَ رَفِيقِهِ، أَوْ لَأُعْصَّنَّهُ بِرِيقِهِ، فَلَمْ نَدْرِ مَا نَصْنَعُ وأَفْرَاسُنَا مَرْبُوطَةٌ وَسُرُوجُنَا مَحطُوطَةٌ، وأَسْلِحَتُنَا بَعِيدَةٌ وهُو رَاكِبٌ ونَحْنُ رَجَّالَةٌ، والْقَوْسُ فِي يَدِهِ يَرْشُقُ بِهَا الظُّهُورَ، ويَمْشُقُ بِهَا البُطُونَ والصُّدُورَ، وحِينَ رَأَيْنَا الجِدَّ، أَخَذْنَا القِدَّ، فَشَدَّ بَعْضُنَا بَعْضًا وَبَقِيتُ وحْدِي، لاَ أَجِدُ مَنْ يَشُدُّ يَدِي، فَقَالَ: اخْرُجْ بِإِهَابِكَ عَنْ ثِيَابِكَ، فَخَرَجْتُ ثُمَّ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وجَعَلَ يَصْفَعُ الْوَاحِدَ مِنَّا بَعْدَ الآخَرِ، وَيَنْزِعُ ثِيَابَهُ وصَارَ إِلَيَّ وعَلَيَّ خُفَّانِ جَدِيدَانِ فَقَالَ: اخْلَعْهُمَا لاَ أُمَّ لَكَ، فَقُلْتُ: هَذَا خُفٌّ لَبِسْتُهُ رَطْبًا فَلَيْسَ يُمْكِنُنِي نَزْعُهُ، فَقَالَ: عَلَيَّ خَلْعُهُ، ثُمَّ دَنَا إِلَيَّ لِيَنْزِعَ الخُفَّ وَمَدَدْتُ يَدَيَّ إِلَى سِكِّينٍ كَانَ مَعِي فِي الخُفِّ وهُوَ فِي شُغْلِهِ فَأَثْبَتُّهُ فِي بَطْنِهِ، و أَبَنْتُهُ مِنْ مَتْنِهِ، فَمَا زَادَ عَلَى فَمٍ فَغَرَهُ، وأَلْقَمَهُ حَجَرَهُ، وَقُمْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَحَلَلْتُ أَيْدِيَهُمْ وَتَوَزَّعْنَا سَلَبَ القَتِيلَيْنِ وَأَدْرَكْنَا الرَّفِيقَ وقَدْ جَادَ بِنَفْسِهِ، وصَارَ لِرِمْسِهِ، وَصِرْنَا إِلَى الطَّرِيقِ وَوَرِدْنَا حِمْصَ بَعْدَ لَيَالٍ خَمْسٍ » [1].

[1]– بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 33، 37، 38، 39.

وعليه، يفضي سياق الأحداث بأنّ كلّ أقوال "الفارس المغوار" قد خالفت أفعاله، وبالتالي نجح في مغالطة ضحاياه معتقدا أنَّهُ سينال العطاء الوفير لولا حيلة "ابن هشام" وسرعة بديهته، وبالتالي يصدق الحكم النقديُّ الذي يرى بأن هذه الشخصية صورت محتالا من الدرجة الأولى، فهو يتمتع بالفصاحة والوقاحة وحسن صنع الحيلة، والقدرة الفائقة على التمثيل وتلبُّس الأدوار، وإتقان أدائها إلى درجة الإبداع حتى التماهي، كما أنَّه لا يعرف الرحمة، ولا تشفع له مذلة، ولا يثنيه عن هدفه عقل أو ضمير [1].

ب- المقامة النّاجميّة:

في هذه المقامة يستقيم سياق المغالطة عندما يصرّح "ناجم" في بداية استدلاله طارقا إحدى الأبواب وهو يقول: « **وَفْدُ اللَّيْلِ وَبَرِيدُهُ، وَفَلُّ الجُوعِ وَطَرِيدُهُ، وَغَرِيبٌ نِضْوُهُ طَلِيحٌ، وَعَيْشُهُ تَبْرِيحٌ، وَمنْ دُونِ فَرْخَيْهِ مَهَامِهُ فِيحٌ، وَضَيْفٌ ظِلُّهُ خَفِيفٌ، وَضَالَّتُهُ رَغِيفٌ، فَهلْ مِنْكُمْ مُضِيفُ؟ فَتَبَادَرْنَا إِلَى فَتْحِ الْبَابِ وَأَنَخْنَا رَاحِلَتُهُ، وَجَمَعْنَا رُحْلَتُهُ، وَقُلْنَا: دَارَكَ أَتَيْتَ، وَأَهْلَكَ وَافَيْتَ، وَهَلُمَّ الْبَيْتَ، وَضَحِكْنَا إِلَيْهِ وَرَحَّبْنَا بِهِ وَأَرَيْنَاهُ ضَالَّتَهُ وَسَاعَدْنَاهُ حَتَّى شَبِعَ، وَحَادَثْنَاهُ حتَّى أَنِسَ، وقُلْنَا: مَنِ الطَّالِعُ بِمَشْرِقِهِ، الفَاتِنُ بِمَنْطِقِهِ؟ فَقَالَ: لاَ يَعْرِفُ العُودَ كَالْعَاجِمِ، وَأَنَا الْمَعْرُوفُ بِالنَّاجِمِ** » [2]، ثم ينقض ما صرّح به عندما قرّر الرحيل محققا مآربه وهو يقول: « **مَا اخْتَارُ عَلَيْكُمْ صَحْبًا، ولَقَدْ وَجَدْتُ فِنَاءَكُمْ رَحْبًا، ولَكِنْ أَمْطَارُكُمْ مَاءٌ والْمَاءُ لاَ يَرْوِي العِطَاشَ، قُلْنَا: فَأَيُّ الأَمْطَارِ يَرْوِيكَ؟ قَالَ: مَطَرٌ خَلَفِيٌّ** » [3]، إنّ في كلامه هذا مفارقة جلية، ولكن لا يمكن للمتلقي أن يرفضها رغم تناقضها لأنها مثال دقيق، وشاهد متكامل للحدّ الآتي:« المفارقة حجة غير قابلة للأبطال لكونها تحتوي على نتيجة تتناقض

---

[1]- علي محمد السيد خليفة، الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص86.

[2]- بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 199، 200.

[3]- نفسه، ص 201.

مع نفسها » [1]، على أن هناك فرقا بين مصطلحين؛ فإذا كان التناقض خلل يقع فيه العقل عند خوضه في ظواهر تتجاوز العالم الظاهر، فإن المفارقة تعبير ظاهر الصحة لكن بدليلين متناقضين، كما يكمن الاختلاف بينهما في ارتباط المفارقة اجمال بالمجال الدلالي- على الرغم من وجود مفارقات منطقية، أي ذات بعد تركيبي-، بينما ترتبط النقائض بالمجال المنطقي والرياضي بصفة خاصة [2].

وبعيدا من مجال المنطق الرياضي، تأخذ المفارقة في مجال النقد الأدبي أيضا مفهوم التنافر أو انعدام التجانس بين الأشياء التي يجمعها كاتب في موضع واحد، او الجمع بين عناصر متباعدة في الواقع، او المزج بين حقائق متباينة بطبيعتها، او التوفيق بين ظواهر متنافرة في العالم الخارجي [3]، وهذا بالضبط ما تجلى في عبارة « **وَلَكِنْ أَمْطَارُكُمْ مَاءٌ وَالْمَاءُ لاَ يَرْوِي العِطَاشَ** »، ورغم هذا التناقض المحيّر، فإن المتلقي تمكن من فك شيفرة هذه المفارقة، بما ان العبارة ذاتها مستندة الى تركيب أكبر اسهم في توجيه الدلالة، علما أن التركيب ذاته يمكن تقسيمه الى نسقين متناقضين، حيث ورد في الاول: « **ضَيْفٌ ظِلُّهُ خَفِيفٌ، وَضَالَّتُهُ رَغِيفٌ** »، ثم ورد في الثاني: « **وَلَكِنْ أَمْطَارُكُمْ مَاءٌ وَالْمَاءُ لاَ يَرْوِي العِطَاشَ، قُلْنَا: فَأَيُّ الأَمْطَارِ يَرْوِيكَ؟ قَالَ: مَطَرٌ خَلَفِيٌّ** »، وما هذا "المطر الخلفي" إلا هبات وهدايا الأمير" خلف بن أحمد".

من هنا، يكون للكناية في النسقين الأول (كناية على أنَّهُ لا يريد العطاء الوفير)، والثاني (كناية على أنَّهُ يريد العطاء الوفير)، أثر بليغ في نظم حدود هذا التناقض، حيث عمد المعنى القريب غير المقصود للدوال اللفظية إلى صرف الذهن للمدلول البعيد المقصود

---

[1]- حسان الباهي، اللغة والمنطق-بحث في المفارقات-، منشورات ضفاف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2015م، ص131.

[2]- نفسه، ص نفسها.

[3]- علي محمد السيد خليفة، الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص29.

ولو إلى حين، ودليل ذلك قرينة مقالية بعدية [1]، أثبتها مدح " الناجم" للأمير " خلف بن أحمد" قائلا [2]:

سَجِسْتَانُ أَيَّتُهَا الرَّاحِلَهْ وَبَحْرًا يَؤُمُّ المُنَى سَاحِلَهْ

سَتَقْصِدُ أَرْجَانَ إِنْ زُرْتَهَا بِوَاحِدَةٍ مَائَةٍ كَامِلَهْ

وفَضْلُ الأَمِيرِ عَلَى ابْنِ العَمِيدِ كَفَضْلِ قُرَيْشٍ عَلَى بَاهِلَهْ

زيادة على ذلك، أدّت خاتمة الخطاب الى نقض ما تمّ إثباته في المقدمة نقضا عمليا، بما أنّ الناجم لجا إلى إحداث هذا الخلل من حيث أنَّهُ طعم ابتلعه المضيفون، موهما إياهم أنَّهُ مجرد عابر سبيل يروم قطعة رغيف، وما إن تحقق له ذلك، حتى نفاه جملة وتفصيلا، وأعلن في ثقة أن عطاءهم هذا لا يكفيه، وأن ما يريده يعرف السبيل إليه، مما كان منه إلا أن ركب راحلته متجها إلى أرض "خلف بن أحمد"، ليعود بعد ذلك محملا بأنواع الهدايا والهبات، حيث:« **قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَخَرَجَ وَوَدَّعْنَاهُ، وأَقَمْنَا بَعْدَهُ بُرْهَةً نَشْتَاقُهُ، ويُؤْلِمُنَا فِرَاقُهُ، فَبَيْنَ نَحْنُ بِيَوْمِ غَيْمٍ فِي سِمْطِ الثُّرَيَّا جُلُوسٌ إِذْ المَرَاكِبُ تُسَاقُ والْجَنَائبُ تَقَادُ وإِذَا رَجُلٌ قَدْ هَجَمَ عَلَيْنَا، فَقُلْنَا: مَنِ الهَاجِمُ؟ فَإِذَا شَيْخُنَا النَّاجِمُ، يَرْفُلُ فِي نَيْلِ المُنَى، وذَيْلِ الْغِنَى، فَقُمْنَا إِلَيْهِ مُعَانِقِينَ وقُلْنَا: مَا وَرَاءَكَ يَا عِصَامُ؟ فَقَالَ: جِمَالٌ مُوقَرَةٌ وبِغَالٌ مُثْقَلَةٌ، وحَقَائِبُ مُقْفَلَةٌ، وأَنْشَأَ يَقُولُ:**

مَوْلاَيَ أَيُّ رَذِيلَةٍ لَمْ يَأْبَهَا خَلَفٌ وأَيُّ فَضِيلَةٍ لَمْ يَأْتِهَا

مَا يُسْمِعُ العَافِينَ إِلاَّ هَاكَهَا لَفْظًا ولَيْسَ يُجَابُ إِلاَّ هَاتِهَا

إِنَّ المَكَارِمَ أَسْفَرَتْ عَنْ أَوْجُهٍ بِيضٍ وكَانَ الخَالَ فِي وَجَنَاتِهَا

---

[1]– ينظر: الميداني، البلاغة العربية، 135/2، 136.

[2]– بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 202.

بِأَبِي شَمَائِلَهُ التِّي تَجْلُو الْعُلاَ ويَدًا تَرَى البَرَكَـاتِ فِي حَرَكَـاتِهَا

مَنْ عَدَّهَا حَسنَاتِ دَهْرِ إِنَّنِي مِمَّنْ يَعُدُّ الدَّهْـرَ مِنْ حَسنَاتِهَا

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَسَأَلْنَا اللهَ بَقَاءَهُ، وأَنْ يَرْزُقَنَا لِقَاءَهُ، وأَقَامَ النَّاجِمُ أيَّامًا مُقْتَصِرًا مِنْ لِسَانِهِ، عَلَى شُكْرِ إِحْسَانِهِ، ولاَ يَتَصَرَّفُ مِنْ كَلاَمِهِ إلاَّ فِي مَدْحِ أيَّامِهِ، والتَّحَدُّثِ بِإِنْعَامِهِ » [1].

والمخطط الآتي يوضح كيف تمّ حبك الحيلة المركَّبة ضمن سياقها التواصلي في المقامتين:

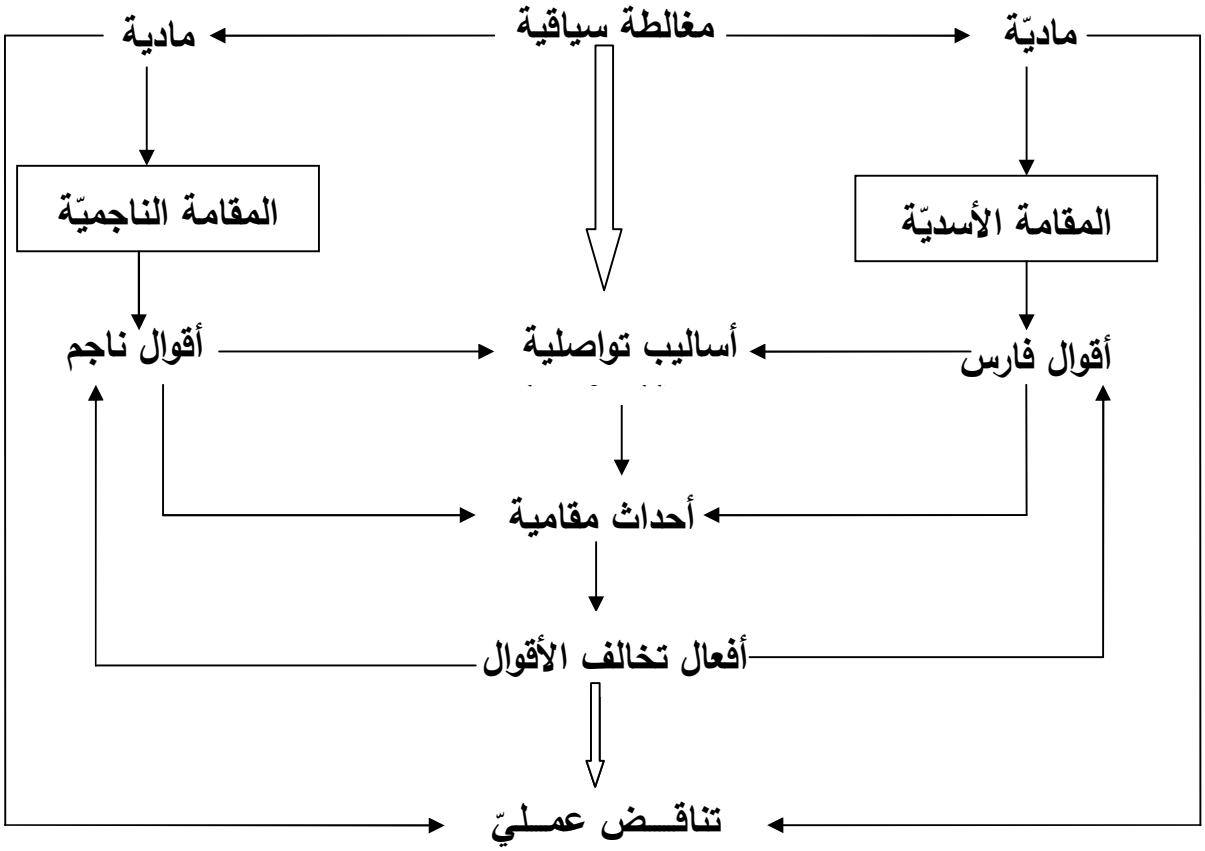

المخطط رقم -17-

[1]- السابق، ص 203،204.

6- أساليب المغالطة بالتناقض الأخلاقي العملي:

الإطار العام لهذه المغالطة هو أن يستنكر المتكلم شيئا يقع فيه هو نفسه [1]، ومثال ذلك الأحداث الآتية: « **حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: اتَّفَقَ لِي فِي عُنْفُوانِ الشَّبِيبَةِ خُلْقٌ سَجِيحٌ ورَأْيٌ صَحَيحٌ، فَعَدَّلْتُ مِيزَانَ عَقْلِي، وَعَدَلْتُ بَيْنَ جَدِّي وَهَزْلِي، واتَّخَذْتُ إِخْوَانًا لِلْمِقَةِ، وآخَرِينَ لِلنَّفَقَةِ، وجَعَلْتُ النَّهَارَ للنَّاسِ، واللَّيْلَ للْكَأْسِ، (قَال) واجْتمَعَ إليَّ فِي بَعضِ لَيَالِيَّ إِخْوَانُ الخَلْوَةِ، ذَوُو المعَانِي الحُلْوَةِ، فَمَا زِلْنَا نَتَعَاطَى نُجُومَ الأَقْدَاحِ ، حتَّى نَفِذَ مَا معَنَا مِن الرَّاحِ، (قَالَ) واجْتَمَعَ رَأْيُ النُّدْمَانِ، علَى فَصْدِ الدِّنَانِ، فَأَسَلْنَا نَفْسَهَا وبَقِيتُ كَالصَّدَفِ بِلاَ دُرٍّ، أَو المِصْرِ بِلَا حُرٍّ، (قَالَ) ولَمَّا مَسَّتْنَا حَالُنَا تِلْكَ دَعَتْنَا دَوَاعِي الشَّطَارَةِ إِلَى حَانِ الخَمَّارَةِ، واللَّيْلُ أَخْضَرُ الدِّيبَاجِ، مُغْتَلِمُ الأَمْوَاجِ، فَلَمَّا أَخَذْنَا فِي السَّبْحِ، ثَوَّبَ مُنَادِي الصُّبْحِ، فَخَنَسَ شَيْطَانُ الصَّبْوَةِ، وَتَبَادَرْنَا إِلَى الدَّعْوَةِ، وقُمْنَا وَرَاءَ الإِمَامِ، قِيَامَ البَرَرَةِ الكِرَامِ، بِوَقَارٍ وسَكِينَةٍ، وَحَرَكَاتٍ مَوْزُونَةٍ، فَلِكُلِّ بِضَاعَةٍ وَقْتٌ وَلِكُلِّ صِنَاعَةٌ سَمْتٌ، وإِمَامُنَا يَجِدُّ فِي خَفْضِهِ وَرَفْعِهِ، وَيَدْعُونَا بِإِطَالَتِهِ إِلَى صَفْعِهِ، حَتَّى إِذَا رَاجَعَ بَصِيرَتَهُ، وَرَفَعِ بِالسَّلاَمِ عَقِيرَتَهُ، تَرَبَّعَ فِي رُكْنِ مِحْرَابِهِ، وأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ علَى أَصْحَابِه، وجَعَلَ يُطِيلُ إِطْرَاقَهُ، ويُدِيمُ اسْتِنْشَاقَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ خَلَطَ في سِيرَتِهِ وابْتُلِى بِقَاذُورَتِهِ، فَلْيَسَعْهُ دِيمَاسُهُ، دُونَ أَنْ تُنْجِّسَنَا أَنْفَاسُهُ، إِنِّي لَأَجِدُ مُنْذُ اليَوْمِ رِيحَ أُمِّ الْكَبَائِرِ مِنْ بَعْضِ الْقَوْمِ، فَمَا جَزَاءُ مَنْ بَاتَ صَرِيعَ الطَّاغُوتِ، ثُمَّ ابْتَكَرَ إِلَى هَذِهِ البُيُوتِ التِّي أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ، وبِدَابِرِ هَؤُلاَءِ أَنْ يُقْطَعَ ، وأَشَارَ إِلَيْنَا، فَتَأَلَّبَتِ الْجَمَاعَةُ عَلَيْنَا، حَتَّى مُزِّقَتِ الأَرْدِيَّةُ، ودَمِيتِ الأُقْفِيَّةُ، وحَتَّى أَقْسَمْنَا لَهُمْ لاَ عُدْنَا، وأَفْلَتْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ ومَا كِدْنَا، وكُلُّنَا مُغْتَفِرٌ لِلسَّلاَمَةِ، مِثْلَ هَذِهِ الآفَةِ، وسَأَلْنَا مَنْ مَرَّ بِنَا مِن الصِّبْيَةِ، عَنْ إِمَامِ تِلْكَ القَرْيَةِ، فَقَالُوا: الرَّجُلُ التَّقِيُّ، أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ، فَقُلْنَا: سُبْحَانَ اللهِ، رُبَّمَا أَبْصَرَ عِمْيُتٌ، وآمَنَ عِفْرِيتٌ، والْحَمْدُ للهِ لَقَدْ أَسْرَعَ فِي أَوْبَتِهِ، ولاَ حَرَمَنَا اللهُ مِثْلَ تَوْبَتِهِ، وَجَعَلْنَا بَقِيَّةَ يَوْمِنَا نَعْجَبُ مِنْ نُسْكِهِ، مَعَ مَا كُنَّا نَعْلَمُ مِنْ فِسْقِهِ، (قَالَ)**

[1]- محمد النويري، الأساليب المغالطية مدخلا لنقد الحجاج، ص 419.

ولَمَّا حَشْرَجَ النَّهَارُ أوْ كَادَ نَظَرْنَا فَإذَا بِرَايَاتِ الْحَانَاتِ أَمْثَالُ النُّجُومِ فِي اللَّيْلِ البَهِيمِ، فَتَهَادَيْنَا بِهَا السَّرَّاءَ، وتَنَاشَرْنَا بِلَيْلَةٍ غَرَّاءَ، وَوَصَلْنَا إِلَى أَفْخَمِهَا بَابًا، وأَضْخَمِهَا كِلاَبًا، وَقَدْ جَعَلْنَا الدِّينَارِ أَمَامًا، والإسْتِهْتَارَ لِزَامًا، فَدُفِعْنَا إِلَى ذَاتِ شَكْلٍ وَدَلٍّ، وَوِشَاحٍ مُنْحَلٍّ، إِذَا قَتَلَتْ أَلْحَاظُهَا، أَحْيَتْ أَلْفَاظُهَا، فَأَحْسَنَتْ تَلَقِّينَا، وأَسْرَعَتْ تُقَبِّلُ رُؤُوسَنَا وَأَيْدِينَا، وأَسْرَعَ مَنْ مَعَهَا مِنَ العُلُوجِ، إِلَى حَطِّ الرِّحَالِ والسُّرُوجِ، وسَأَلْنَاهَا... فَمَنِ المُطْرِبُ في نَادِيكِ، ولَعَلَّهَا تُشَعْشِعُ لِلشُّرْبِ، بِرِيقِكِ الْعَذْبِ، قَالَتْ: إنَّ لِي شَيْخًا ظَرِيفَ الطَّبْعِ، طَرِيفَ المُجُونِ، مَرَّ بِي يَوْمَ الأَحَدِ، فِي دَيْرِ المِرْبَدِ، فَسَارَّنِي حَتَّى سَرَّنِي، فَوَقَعَتِ الخُلْطَةُ، وتَكَرَّرَتِ الغِبْطَةُ، وذَكَرَ لِي مِنْ وُفُورِ عِرْضِهِ، وشَرَفِ قَوْمِهِ فِي أَرْضِهِ، مَا عَطَفَ بِهِ وُدِّي، وَحَظِيَ بِهِ عِنْدِي، وَسَيَكُونُ لَكُمْ بِهِ أُنْسٌ وعَلَيْهِ حِرْصٌ، (قَالَ) ودَعَتْ بِشَيْخِهَا فَإذَا هُوَ إِسْكَنْدَرِيُّنَا أَبُو الْفَتْحِ » [1]**، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الفَتْحِ واللهِ كَأَنَّمَا نَظَرَ إِلَيْكَ ونَطَقَ عنْ لِسَانَكَ الذِّي يَقُولُ** [2]**:**

كَانَ لِي فِيـمَا مَـــضَى عَقْـ لٌ وَدِيُـنٌ واسْتِـقَـامَــهْ

ثُـمَّ قَـــدْ بِـــعْنَـــا بِحَـمْدِ اللهِ فِـــقْـهًا بِحِـجَـامَـهْ

وَلَئِـــنْ عِـشْنَـــا قَـلِـيـلاً نَـسْـأَلُ اللهَ السَّـــلاَمَـهْ

وعليه، تكون " المقامة الخمريّة" خطابا حجاجيا دعائمه الاستدلالية قائمة وفق الإطار العام لهذه المغالطة، حيث لجأ " أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ " إلى حيلة جديدة، هي امتهان الإمامة نهارا، ومنادمة مجالس الأُنس ليلا، وما كان من أمر " ابن هشام" إلا أن فضحه بعد تعاقب الأحداث وتسلسلها زمنيا في أماكن مختلفة، يرى العرف الاجتماعي حقيقة التواجد فيها تعديا عَقَدِيًّا يحكمه تناقض أخلاقي سوَّغته تفسيرات من بنات أفكار "أبي الفتح"، إذ أفصح عنها

---

[1]– بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 244– 249.

[2]– نفسه، ص 249، 250.

وصرح بها متهكما ساخرا في خاتمة الخطاب، حيث:« **نَخَرَ نِخْرَةَ المُعْجَبِ، وَصَاحَ وَزَمْهَرَ، وَضَحِكَ حَتَّى قَهْقَهَ، ثُمَّ قَالَ: أَلِمِثْلِ يُقَالُ، أَوْ بِمِثْلِي تُضْرَبُ الأَمْثَالُ:**

دَعْ مِنَ اللَّوْمِ وَلَكِنْ أَيُّ دَكَّاكٍ تَرَانِي

أَنَا مَنْ يَعْرِفْهُ كُلْ لُ تَهَامٍ وَيَمَانِي

أَنَا مِنْ كُلِّ غُبَارٍ أَنَا مِنْ كُلِّ مَكَانِ

سَاعَةً أَلْزَمُ مِحْرَا بًا وَأُخْرَى بَيْتَ حَانِ

وكَذَا يَفْعَلُ مَنْ يَعْـ قِلُ فِي هَذَا الزَّمَانِ

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَاسْتَعَذْتُ بِاللهِ مِنْ مِثْلِ حَالِهِ، وَعَجِبْتُ لُقُعُودِ الرِّزْقِ عَنْ أَمْثَالِهِ، وَطِبْنَا مَعَهُ أُسْبُوعَنَا ذَلِكَ وَرَحَلْنَا عَنْهُ » [1].

من المعلوم أن أسلوب "التهكم والسخرية" أسلوب تواصلي يحدث فيه إخراج الكلام على ضد مقتضى الحال استهزاء بالمخاطب وغيره [2]، وقد شاع هذا الأسلوب في الدراسات الحديثة بوصفه دالا على المفارقة التي تنطوي على الجمع المفاجئ بين النقائض أو النظائر المتزامنة وحتى المتعاقبة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى بوصفه تقنية تهدف إلى تدمير التصورات الثابتة أو المتعارف عليها والعبث بها، وقد اهتمت الدراسات التداولية والنصية الحديثة بصور التهكم والسخرية من خلال تحليل ما يعرف بـ " أشكال التباعد" في الخطاب، وذلك عندما يعمد المرسل إلى اتخاذ موقف لا يدل على التبني الكامل لما يقوله، وهذا يؤدي إلى خلق مفارقة واضحة تنجم عنها صور بلاغية لا حصر لها [3].

---

[1]– السابق، ص 250.

[2]– أسامة البحيري، البنية المتحولة في البلاغة العربية، ص 505.

[3]– نفسه، ص 517.

بالتالي، ما يمكن التأكيد عليه أنّ "الهمذاني" عمد إلى هذا النوع من التأليف الأدبي أو الخطاب الثقافي انتقادا للرذائل والحماقات والنقائص الإنسانية، الفردية منها والجمعية، فالساخر (الهمذاني/ أبو الفتح) يرصد ويراقب ما يجري من أخطاء، ويستخدم وسائل وأساليب خاصة، في التهكم عليها، أو التقليل من قدرها، أو جعلها مثيرة للضحك أو غير ذلك من الأساليب التي يقصد من ورائها محاولة التخلص من بعض الخصال والخصائص السلبية في المجتمع، فالأدب الساخر أو الفن الساخر عموما أحد علامات التحذير من أخطار الممارسات الخاطئة، أو هو شكل من أشكال المقاومة، حيث يرى بعض الباحثين أن السخرية طريق من طرق التعبير، يستعمل فيها الشخص ألفاظا تقلب المعنى إلى عكس ما يقصده المتكلم حقيقة، وهي صورة من صور الفكاهة إذا استخدمها فنان موهوب بذكاء وأحسن عرضها، تكون في يده سلاحا مميتا، وبمعنى آخر هي تهكم مرير وتندُّر أو هجاء يظهر فيه المعنى بعكس ما يظنه الإنسان، وربما كانت أعظم صور البلاغة عنفا وإخافة وفتكا [1].

أيضا، يصدق رأي الباحثة " سامية الدريدي" حينما أقرت بأن أسلوب التهكم والسخرية –ضمن مقام خاص– حجاج يؤدي إلى جملة من النتائج المناقضة تماما للنتائج الظاهرة، على أن الخطورة في مثل هذا الحجاج أنَّهُ يُخلّص قائله من كل مسؤولية، بل يورط المتلقي حين يجبره على استنتاج النتائج المقصودة من النصوص بقرائن دالة في السياق فيفهم عنه ما يريد قوله دون أن يقوله فعلا، علما أن ما نستنتجه وما نتوصل إليه بأنفسنا من خطاب ما يصعب رده كما يصعب في الآن ذاته تحميل صاحبه مسؤولية قوله، إنّ هذا الحجاج ذكي ماكر لأنه ببساطة شديدة يرتكز على قاعدة تقول " قل دون أن تقول" [2].

---

[1]– نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، ص 16.

[2]– سامية الدريدي الحسني، دراسات في الحجاج، ص 183.

والمخطط الآتي يحدد أبعاد المغالطة الساخرة في المقامة الخمريّة:

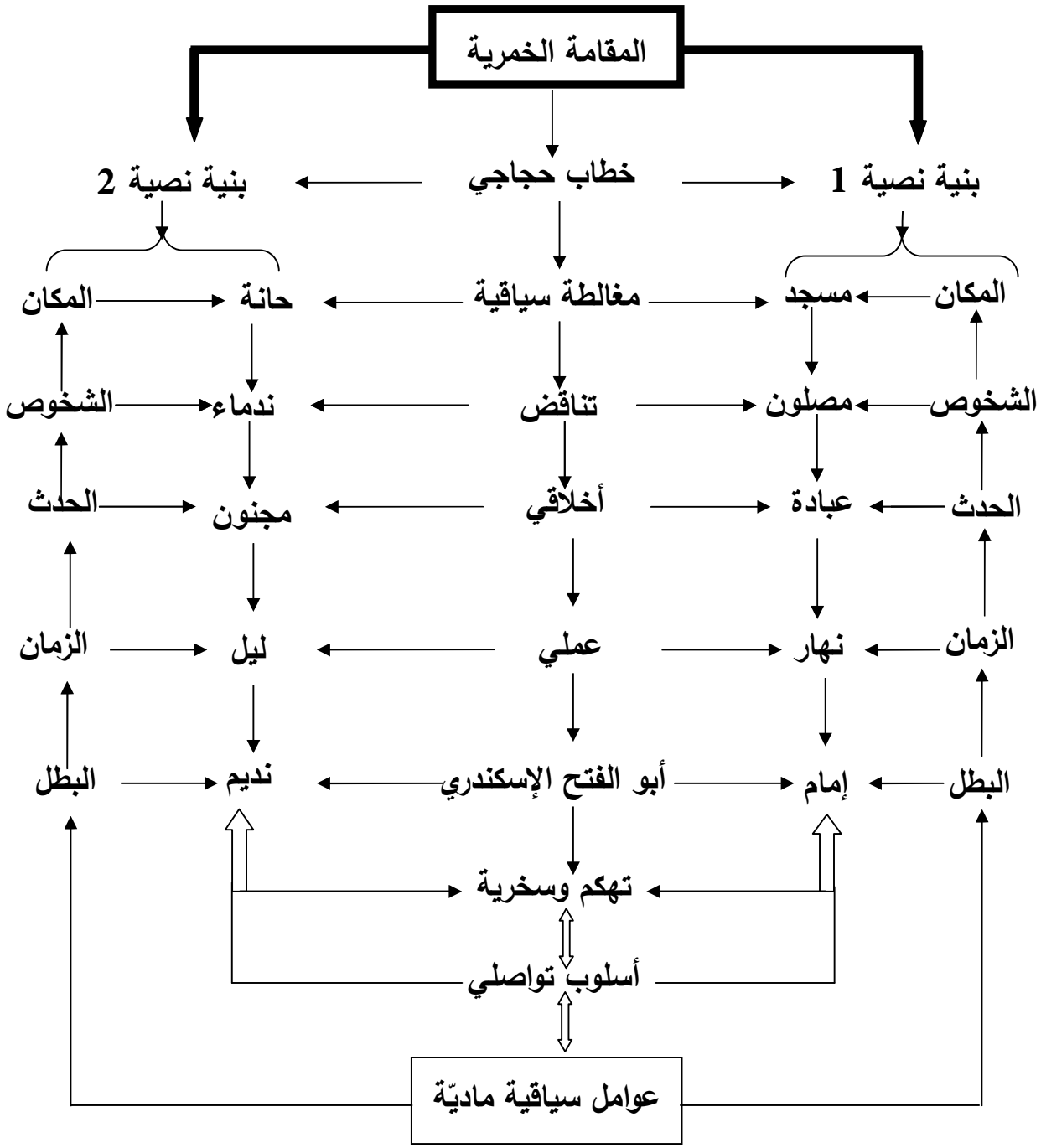

المخطط رقم -18-

ثانيا/ الحجاج بأساليب المغالطة السياقيّة اللّاماديّة:

تمهيد:

الحجاج علاقة دلالية تربط بين أقوال في خطاب نتج عن محاجّةٍ مقيدة بقيود لغويّة [1]، وهذا البناء الفكري قد تعتريه المغالطة الواحدة، وقد يتجتمع عليه أكثر من ذلك، فيصير حينذاك لا صلة له بالفكر إلاّ الشبه في الاسم، وحضور المغالطة في الخطاب لا يتحقق على نحو واحد يمكن تحديد سماته الصورية المضبوطة، وإنّما يأخذ أشكالا مختلفة تتلون بحسب السياق والمقام وطبيعة اللغة ومعطيات الثقافة، ومعنى ذلك أن دراسة الحجاج المغالط ضمن فاعلية فكرية ينبغي أن يتصف بقدر من المرونة، ويتسلح بمنهجية تحليلية تمكن من تعيين مواطن الخلل، وتحديد طبيعة الغلط، لا بغرض تقويمه وتصحيحه [2]، وإنما بغرض الوقوف على صوره التي غدت نماذج حجاجية يستدل بها في مواقف قد تتشاكل، وقد تتباين معطيات السياق وحيثيات المقام فيها، ومن صور ذلك الحجاج بناء على معطيات سياقية وحيثيات مقامية مادية، ما تم تحديده انطلاقا من "مقامات الهمذاني" وفق الآتي ذكره:

---

[1]– شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ص 360.

[2]– رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة، ص18.

1- أساليب المغالطة بما يهوى الجمهور:

في هذه المغالطة يتم اللجوء إلى الأغلبية التي تستحسن وتفضل القضية التي تتعلق بها المنازعة، فاستدعاء هذه الأغلبية المستحسنة والمفضلة يرِد كمقدمة في هذا الاستدلال، بحيث لا يكلّف المستدل نفسه عناء البحث عن الحجج المقبولة بمقتضى الحس القويم، ويكتفي بهذا المسلك الحجاجي المعيب طالبا من المخاطب التسليم له بالنتيجة رغم أنَّها بُنيت على أساس واه [1].

إن هذا الأسلوب الاستدلالي "مغالطة" بالنظر إلى أن مشاعر الجمهور من ميل واستحسان أو نفور واستقباح، لا تقوم بالمرة دليلا على قيمة شيء ما، لأن ميل عموم الناس غالبا ما يكون محكوما بالأهواء المتضاربة والمصالح الآنية التي لا يحكمها قانون مطرد وقع تمحيصه على ضوء قواعد العقل التي عليها المعوّل في أحوال الناس وشؤونهم النظرية والعملية على حد سواء [2]، ومضانّ المقامات الآتية على اختلاف أحداثها مثال على ذلك:

أ- المقامة المجاعيّة:

إن أوصاف المدّعي (أبو الفتح الإسكندري) في هذه المقامة لصنوف طعام لا حصر لها أثبتت لسائل جوعان (عيسى بن هشام) أنّ له خيرا كثيرا، وما حقيقة هذا الإثبات إلا مغالطة استثمرها المدعي المحتال، وبغيُته من ذلك سخرية وتهكم بمغترب سؤاله طعام في زمن مجاعة، لذلك اعتبر أحد النقاد هذه السخرية الأدبية أسلوبا نقديا له أهداف اجتماعية، فالساخر ناقد حقيقي مدرك وملمّ بكل الذي يجري من حوله، ولكنه متوارٍ خلف نموذج بشري يضمن له السلامة وحرية التعبير [3]، حيث قال:« **حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ بِبَغْدَادَ عَامَ مَجَاعَةٍ، فَمِلْتُ إِلَى جَمَاعَةٍ، قَدْ ضَمَّهُمْ سِمْطُ الثُّرَيَّا، أَطْلُبُ مِنْهُمُ شَيًّا، وَفِيهِمْ فَتًى ذُو**

---

[1]- السابق، ص 60.

[2]- نفسه، ص 61.

[3]- نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، ص23.

لُثْغَةٍ بِلِسَانِهِ، وفَلَجٍ بِأَسْنَانِهِ، فَقَالَ: مَا خَطْبُكَ: قُلْتُ: حَالاَنِ لاَ يُفْلِحُ صَاحِبُهُمَا، فَقِيرٌ كَدَّهُ الْجُوعُ، وغَرِيبٌ لاَ يُمْكِنُهُ الرُّجُوعُ، فَقَالَ الغُلاَمُ: أيُّ الثُّلْمَتَيْنِ تُقَدِّمُ سَدَّهَا؟ قُلْتُ: الْجُوعُ فَقَدْ بَلَغَ مِنِّي مَبْلَغًا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِي رَغِيفٍ، عَلَى خُوَانٍ نَظِيفٍ، وبَقْلٍ قَطِيفٍ، إلَى خَلٍّ ثَقِيفٍ، ولَوْنٍ لَطِيفٍ، إلَى خَرْدَلٍ حرِّيفٍ، وشِوَاءٍ صَفِيفٍ، إلَى مِلْحٍ خَفِيفٍ، يُقَدِّمُهُ إلَيْكَ الآنَ مَنْ لاَ يَمْطُلُكَ بِوَعْدٍ ولاَ يَعَذِّبُكَ بِصَبْرٍ ثُم يَعُلُّكَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَقْدَاحٍ ذَهَبِيَّةٍ، مِنْ رَاحٍ عِنَبِيَّةٍ، أَذَاكَ أَحَبُّ إلَيْكَ أَمْ أَوْسَاطٌ مَحْشُوَّةٌ، وأَكْوَابٌ مَمْلُوَّةٌ، وأَنْقَالٌ مُعَدَّدَةٌ، وفُرُشٌ مُنَضَّدَةٌ وأَنْوَارٌ مُجَوَّدَةٌ، وَمُطْرِبٌ مَجِيدٌ لَهُ مِنَ الغَزَالِ عَيْنٌ وَجِيدٌ؟ فَإِنْ لَمْ تُرِدْ هَذَا ولاَ ذَاكَ فَمَا قَوْلُكَ فِي لَحْمٍ طَرِيٍّ، وَسَمَكٍ نَهْرِيٍّ، وبَاذِنْجَانٍ مَقْلِيٍّ، وَرَاحٍ قُطْرُبُلِيٍّ، وَتُفَّاحٍ جَنِيٍّ، وَمَضْجَعٍ وَطِيٍّ، عَلَى مَكَانٍ عَلِيٍّ، حِذَاءَ نَهْرٍ جَرَّارٍ، وحَوْضٍ ثَرْثَارٍ، وجَنَّةٍ ذَاتِ أَنْهَارٍ؟ قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقُلْتُ: أنَا عَبْدُ الثَّلاثَةِ، فَقَالَ الغُلاَمُ: وأَنَا خَادِمُهَا لَوْ كَانَتْ، فَقُلْتُ: لا حَيَّاكَ اللهُ أَحْيَيْتَ شَهَوَاتٍ قَدْ كَانَ الْيَأْسُ أَمَاتَهَا، ثُمَّ قَبَضْتَ لَهَاتَهَا، فَمِنْ أَيِّ الخَرَابَاتِ أَنْتَ » [1]**، فَقَالَ:** [2]

أَنَا مِنْ ذَوِي الإِسْكَنْدَرِيَّــهْ مِنْ نَبْـعَــةٍ فِيــهِمْ زَكِـيَّــهْ

سَخَـفَ الــزَّمَـانَ وَأَهْـلُـهُ فَرَكِبْـتُ مِنْ سَخْفِـي مَطِـيَّهْ

ب – المقامة النهديّة:

في هذه المقامة يلجأ المدعي (رجل حزُقّة) إلى مغالطة جماعة من الحاضرين نزلوا عنده ضيوفا، وما كان من أمره إلا أن سألهم ما يريدون، لكن سؤاله هذا ما كان على وجه الحقيقة وإنما على وجه السخرية مغالطا إياهم بما يشتهون، فأرداهم متوهمين أنَّهُ صاحب فضل وفير، وبتطور سياق الأحداث أدركوا أبعاد السخرية ومدلولاتها الضمنية، فنجم عن ذلك تهديد له بالسيف، ولما جاءهم الطعام لم يجدوا من أمر ذلك الوصف شيئا، فما كان من

[1]– بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 133، 134، 135.

[2]– نفسه، ص 135، 136.

أحد النقاد إلاّ أن وصف ما حدث بـ "الانتظار الخائب" [1]، حيث قال الهمذاني:« **حدَّثَنا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: مِلْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِي إِلَى فِنَاءِ خَيْمَةٍ أَلْتَمِسُ القِرَى مِنْ أَهْلِهَا فَخَرَجَ إِلَيْنَا رَجُلٌ حُزُقَّةٌ فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَقُلْنَا: أَضْيَافٌ لَمْ يَذُوقُوا مُنْذُ ثَلَاثٍ عَدُوفًا (قَالَ) فَتَنَحْنَحَ ثُمَّ قَالَ: فَمَا رَأْيُكُمْ يَا فِتْيَانُ فِي نَهِيدَةِ فِرْقٍ كَهَامَةِ الأَصْلَعِ فِي جَفْنَةٍ رَوْحَاءَ مُكَلَّلَةٍ بِعَجْوَةِ خَيْبَرَ مِنْ أَكْتَارِ جَبَّارٍ رَبُوضٍ الوَاحِدَةُ مِنْهَا تَمْلَأُ الْفَمَ مِنْ جَمَاعَةٍ خُمْصٍ عُطْشٍ خِمْسٍ يَغِيبُ فِيهَا الضِّرْسُ كَأَنَ نَوَاهَا أَلْسُنُ الطَّيْرِ يَجْحَفُونَ فِيهِ النَّهِيدَةَ مَعَ أَقْعُبٍ قَدِ اُحْتُلِبْنَ مِنْ الجِلَادِ الْهَرْمِيَّةِ الرَّبْلِيَّةِ. أَتَشْتَهُونَهَا يَا فِتْيَانُ؟ فَقُلْنَا: إِيِ واللهِ نَشْتَهِيهَا، فَقَهْقَهَ الشَّيْخُ وقَالَ: وَعَمَّكُمْ أَيْضًا يَشْتَهِيهَا، ثُمَّ قَالَ: فَمَا رَأْيُكُمْ يَا فِتْيَانُ فِي دَرْمَكٍ كَأَنَّهَا قِطَعُ السَّبَائِكِ تُجَرْثِمُ عَلَى سُفْرَةٍ حَرْتِيَّةٍ بِهَا رِيحُ القَرَظِ فَيَثِبُ إِلَيْهَا مِنْكُمْ فَتًى رَفِيفٌ لَبِقٌ خَفِيفٌ فَيَعْجُنُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرْجُفَهُ أَوْ يَخْشِفَهُ فَيَزِيلُهُ دُونَ مَلْكٍ نَاعِمٍ ثُمَّ يلُتُّهُ بِالسَّمَارِ أَوِ الْمَذْقِ لَتًّا غَزِيرًا ثُمَّ يَعْمَدُ إِلَيْهِ فَيَلْوِيهِ وَيَدَعُهُ فِي نَاحِيَةِ الْصَّيْدَاءِ حَتَّى إِذَا تَخَّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتْرُزَ عَمَدَ إِلَى قَصَدِ الْغَضَا فَأَشْعَلَ فِيهِ النَّارَ فَلَمَّا خَبَتْ نَارُهُ مَهَّدَ لَقُرْمُوصِهِ ثُمَّ عَمَدَ إِلَى عَجِينِهِ فَفَرْطَحَهُ بَعْدَ مَا أَنْعَمَ تَلْوِيتَهُ ثُمَّ دَحَا بِه عَلَيْهَا ثُمَّ خَمَّرَهُ فَلَمَّا قَفَّ وَقَبَّ أَحَالَ عَلَيْهِ مِنَ الرَّضْفِ مَا يَلْتَقَّى بِه الْأُوَارَانِ حَتَّى إِذَا غَطَاهُمَا عَلَى المَلَّةِ المُشَاكِهَةِ بِطَبَقٍ وَتَفَلَّجَ شِقَاقًا، وحَكَى قِشْرُهَا رِقَاقًا، واحْمِرَارُهَا احْمِرَارَ بُسْرِ الحِجَازِ المَشْهُورِ بِأُمِّ الجُرْذَانِ أَوْ عِذْقِ ابْنِ طَابٍ شُنَّ عَلَيْهَا ضَرَبٌّ بَيْضَاءُ كَالثَّلْجِ إِلَى أَوَانِ رُسُوخِهَا فِي خِلَالِ الدِّهَانِ وَيَشْرَبُ لُبُّ الدَّرْمَكِ مَا عَلَيْهِ مِنَ الضَّرْبِ قُدِّمَتْ إِلَيْكُمْ فَتَلْقَمُونَهَا لَقْمَ جُوَيْنٍ أَوْ زَنْكَلَ أَفَتَشْتَهُونَهَا يَا فِتْيَانُ؟ (قَالَ) فَاشْرَأَبَّ كُلٌّ مِنَّا إِلَى وَصْفِهِ وَتَحَلَّبَ رِيقُهُ وتَلَمَّظَ وتَمَطَّقَ. قُلْنَا: إِيِ واللهِ نَشْتَهِيهَا، قَالَ: فَقَهْقَهَ الشَّيْخُ وقَالَ: وَعَمَّكُمْ واللهِ لاَ يُبْغِضُهَا ثُمَّ قَالَ: مَا رَأْيُكُمْ يَا فِتْيَانُ فِي عَنَاقٍ نَجْدِيَّةٍ، عُلْوِيَّةٍ بَرِّيَّةٍ قَدْ أَكَلَتِ البَرَمَ والشَّيحَ النَّجْدِيِّ والْقَيْصُومَ والْهَشِيمَ، وَتَبَرَّضَتِ الحَمِيمَ، وتَمَلَّأَتِ مِنَ القَصِيصِ فَوَرَى مُخُّهَا وَزَهِمَتْ كُشْيَتُهَا تُشْحَطُ مُعْتَبِطَةً ثُمَّ تُنْكَسُ فِي وَطِيسٍ حَتَّى تَنْضَجَ مِنْ غَيْرِ امْتِحَاشٍ**

[1]– باسم ناظم سليمان ناصر المولى، سيكولوجية الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص109.

أَوْ أَنْهَاءٍ ثُمَّ تُقَدَّمُ إِلَيْكُم وقَدْ عُطَّ إِهَابُهَا عَنْ شَحْمَةٍ بَيْضَاءَ عَلَى خَوَانٍ مُنَضَّدٍ بِصَلاَئِقَ كَأَنَّهَا القَبَاطِيُّ المُنْشَّرُ، أوِ القُوهِيُّ المُمَصَّرُ، قَدْ احْتَفَّتْهَا نُقْرَاتٌ فِيهَا صِنَابٌ وأَصْبَاغٌ شَتَّى فَتُوضَعُ بَيْنَكُمْ تَهَادَرُ عَرَقًا، وَتَسَايَلُ مَرَقًا، أَفَتَشْتَهُونَهَا يَا فِتْيَانُ؟ قُلْنَا: إِيِ واللهِ نَشْتَهِيهَا، قَالَ: وَعَمُّكُمْ واللهِ يَرْقُصُ لَهَا، فَوَثَبَ بَعْضُنَا إِلَيْهِ بِالسَّيْفِ وقَالَ: مَا يَكْفِي مَا بِنَا مِنَ الدَّقَعِ حَتَّى تَسْخَرَ بِنَا، فَأَتَتْنَا ابْنَتُهُ بِطَبَقٍ عَلَيْهِ جِلْفَةٌ، وحُثَالَةٌ ولَوِيَّةٌ، وأَكْرَمَتْ مَثْوَانَا، فَانْصَرَفْنَا لَهَا حَامِدِينَ، وَلَهُ ذَامِّينَ » [1].

ج- المقامة الصّيمريّة:

لقد تمكَّن الداعي (أبو العنبس الصيمري) في هذه المقامة أيضا من استدراج المدعوين إلى الاقتناع بحقيقة الصّفح عنهم مغالطا إيّاهم، و محتالا عليهم انتقاما منهم، بناء على إدراكه أهواءهم وما يشتهون، زيادة على ما يعتريهم من غفلة، بما أنها ضرب من الغباء والبلادة ونقص الذكاء والجهل بصواب الأحكام وسلامة التفكير[2]، ومن أحداث ذلك الآتي: **« حدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ المَعْرُوفُ بِأَبِي العَنْبَسِ الصَّيْمَرِيِّ: إِنَّ مِمَّا نَزَلَ بِي مِنْ إِخْوَانِي الذِّينَ اصْطَفَيْتُهُمَ وانْتَخَبْتُهُمْ وادَّخَرْتُهُمْ للشَّدَائِدِ مَا فِيهِ عِظَةٌ وعِبْرَةٌ وأَدَبٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ واتَّعَظَ وَتَأَدَّبَ، وذَلِكَ أَنِّي قَدِمْتُ مِنَ الصَّيْمَرَةِ إِلَى مَدِينَةِ السَّلاَمِ، ومَعِي جِرَابُ دَنَانِيرَ وَمِنَ الخُرْثِي والآلَةِ وغَيْرُ ذَلِكَ مَا لاَ احْتَاجُ مَعَهُ إِلَى أَحَدٍ، فَصَحِبْتُ مِنْ أَهْلِ البُيوتَاتِ والكُتَّابِ والتُّجَّارِ، ووُجُوهِ الثَّنَاءِ مِنْ أَهْلِ الثَّرْوَةِ واليَسَارِ، والجِدَةِ والعَقَارِ، جَمَاعَةً اخْتَرْتُهُمْ لِلصُّحْبَةِ، وأَدَّخَرْتهُمْ للنَّكْبَةِ، فَلَمْ نَزَلْ فِي صَبُوحٍ وغَبُوقٍ نَتَغَذَّى بِالجَدَايَا الرُّضَّعِ والطَّبَاهِجَاتِ الفَارِسِيَّةِ والمُدَقَّقَاتِ الإِبْرَاهِيمِيَّةِ والْقَلاَيَا المُحْرِقَةِ والكَبَابِ الرَّشِيدِيِّ والْحُمْلاَنِ وَشَرَابُنَا نَبِيذُ العَسَلِ وسَمَاعُنَا مِنَ المُحْسِنَاتِ الحُذَّاقِ، المَوْصُوفَاتِ فِي الآفَاقِ، ونَقْلُنَا اللَّوْزُ المُقَشَّرُ والسُّكَّرُ الطَّبَرْزَدُ، وَرِيحَانُنَا الْوَرْدُ، وبَخُورُنَا النَّدُّ، وكُنْتُ عِنْدَهُمُ أَعْقَلُ مِنْ عَبْدِ اللهِ**

---

[1]- بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 185- 189.

[2]- باسم ناظم سليمان ناصر المولى، سيكولوجية الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص53.

بْنُ عَبَّاسٍ، وأَظْرَفُ مِنْ أَبِي نُوَّاس، وأَسْخَى مِنْ حَاتِمٍ، وأَشْجَعُ مِنْ عَمْرُو، وأَبْلَغُ مِنْ سَحْبَانِ وائِلٍ، وأَدْهَى مِنْ قَصِيرٍ، وأَشْعَرَ مِنْ جَرِيرٍ، وأَعْذَبُ مِنْ مَاءِ الفُرَاتِ، وأَطْيَبُ مِنَ العَافِيَّةِ لِبَذْلِي ومُرُوءَتِي، وإتْلافِ ذَخِيرَتِي، فَلَمَّا خَفَّ المَتَاعُ، وانْحَطَّ الشِّرَاعُ، وفَرَغَ الجِرَابُ، تَبَادَرَ القَوْمُ البَابَ، لَمَّا أَحَسُّوا بِالقِصَّةِ، وصَارَتْ فِي قُلُوبِهِمْ غُصَّةٌ، ودَعَوْنِي بُرْصَةً، وانْبَعَثُوا لِلْفِرَارِ، كَرَمْيَةِ الشَّرَارِ، وأَخَذَتْهُمُ الضُّجْرَةُ، فَانْسَلُّوا قَطْرَةً قَطْرَةً، وتَفَرَّقُوا يُمْنَةً ويَسْرَةً، وبَقِيتُ عَلَى الأُجُرَّةِ، ....، فَلَمَّا رَأَيْتُ الأَمْرَ قَدْ صَعُبَ، والزَّمَانُ قَدْ كَلِبَ، الْتَمَسْتُ الدِّرْهَمَ فَإِذَا هُوَ مَعَ النَّسْرَيْنِ، وعِنْدَ مُنْقَطَعِ البَحْرَيْنِ، وأَبْعَدُ مِنَ الفَرقَدَيْنِ، فَخَرَجْتُ أَسِيحُ كَأَنِّي المَسِيحُ، فَجُلْتُ خُرَسَانَ، الخَرَابَ مِنْهَا والعُمْرَانَ، إِلَى كَرْمَانَ وسِجِسْتَانَ وَجِيلاَنَ إِلَى طَبَرِسْتَانَ وإِلَى عُمَانَ، إِلَى السِّنْدِ والْهِنْدِ والنَّوْبَةِ والقِبْطِ واليَمَنِ والحِجَازِ ومَكَّةَ والطَّائِفَ أَجُولُ البَرَارِيَ والْقِفَارَ، واصْطَلِي بِالنَّارِ، وآوِي مَع الحِمَارِ... فَاسْتَرْدَفْتُ واجْتَدَيْتُ، وتَوَسَّلْتُ وتَكَدَّيْتُ، ومَدَحْتُ وهَاجَيْتُ، حَتَّى كَسَبْتُ ثَرْوَةً مِنَ الْمَالِ واتَّخَذْتُ مِنْ الصَّفَائِحِ الهِنْدِيَّةِ، والقُضُبِ اليَمَانِيَّةِ، والْدُّرُوعِ السَّابِرِيَّةِ، والدَّرَقِ التِّبْتِيَّةِ، والرِّمَاحِ الخَطِّيَّةِ، والْحِرَابِ البَرْبَرِيَّةِ ، والْخَيْلِ الْعِتَاقِ الجُرْدِيَّةِ، والْبِغَالِ الأَرْمِينِيَّةِ، والْحُمُرِ الْمَرِيسِيَّةِ، والدَّيَابِيجِ الرُّومِيَّةِ، والْخُزُوزِ السُّوسِيَّةِ، وأَنْوَاعِ الطُّرَفِ واللُّطَفِ، والْهَدَايَا والتُّحَفِ، مَعَ حُسْنِ الْحَالِ، وكَثْرَةِ الْمَالِ، فَلَمَّا قَدِمْتُ بَغْدَادَ وَوَجَدَ الْقَوْمُ خَبَرِي، ومَا رُزِقْتُهُ فِي سَفَرِي، سُرُّوا بِمَقْدَمِي، وصَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَيَّ يَشْكُونَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْوَحْشَةِ لِفَقْدِي، ومَا نَالَهُمْ لِبُعْدِي، وَشَكَوْا شِدَّةَ الشَّوْقِ، ورُزْءَ التَّوْقِ، وجَعَلَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمُ يَعْتَذِرُ مِمَّا فَعَلَ ويُظْهِرُ النَّدَمَ عَلَى مَا صَنَعَ، فَأَوْهَمْتُهُمْ أَنِّي قَدْ صَفَحْتُ عَنْهُمْ ولَمْ أُظْهِرْ لَهُمْ أَثَرَ المَوْجِدَةِ عَلَيْهِمْ، بِمَا تَقَدَّمَ، فَطَابَتْ نُفُوسُهُمْ وَسَكَنَتْ جَوَارِحُهُمْ وانْصَرَفُوا عَلَى ذَلِكَ، وعَادُوا إِلَيَّ فِي الْيَومِ الثَّانِي فَحَبَسْتُهُمْ عِنْدِي ووَجَّهْتُ وكِيلِي إِلَى السُّوقِ فَلَمْ يَدَعْ شَيْئًا تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ بِشِرَائِهِ إلاَّ أَتَى بِه وكَانَتْ لَنَا طَبَّاخَةٌ حَاذِقَةٌ فَاتَّخَذْتُ عِشْرِينَ لَوْنًا مِنْ قَلايَا مُحْرِقَاتٍ، وأَلْوَانًا مِنْ طَبَاهِجَاتٍ ونَوَادِرَ مُعَدَّاتٍ، وأَكَلْنَا وانْتَقَلْنَا إِلَى مَجْلِسِ الشَّرَابِ فَأُحْضِرْتُ لَهُمْ زَهْرَاءُ خَنْدَرِيسِيَّةُ ومُغَنِّيَاتٌ حِسَانٌ مُحْسِنَاتٌ، فَأَخَذُوا فِي شَأْنِهِمْ وشَرِبْنَا، فَمَضَى لَنَا

أَحْسَنُ يَوْمٍ يَكُونُ، وقَدْ كُنْتُ اسْتَعْدَدْتُ لَهُمْ بِعَدَدِهِمْ خَمْسَةَ عَشَرَ صَنًّا مِنْ صِنَانِ البَاذِنْجَانِ، كُلُّ صِنٍّ بِأَرْبَعَةِ آذَانٍ، واسْتَأْجَرَ غُلَامِي لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَمَّالاً كُلُّ حَمَّالٍ بِدِرْهَمَيْنِ وعَرَّفَ الْحَمَّالِينَ مَنَازِلَ الْقَوْمِ، وتَقَدَّمَ إِلَيْهُمْ بِالمُوافَاةِ بِعَشَاءِ الآخِرَةِ، وتَقَدَّمْتُ إِلَى غُلَامِي وكَانَ دَاهِيَةً، أَنْ يَدْفَعَ إِلَى قَوْمِي بِالمَنِّ والرَّطْلِ ويَصْرِفَ لَهُمْ وأَنَا أُبَخِّرُ بَيْنَ أَيْدِيهِمُ النَّدَّ والعُودَ والعَنْبَرَ فَمَا مَضَتْ سَاعَةٌ إلاَّ وهُمْ مِنَ السُّكْرِ أَمْوَاتٌ لاَ يَعْقِلُونَ، ووَافَانَا غِلْمَانُهُمْ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ كُلَّ واحِدٍ مِنْهُمْ بِدَابَّةٍ أَوْ حِمَارٍ أَوْ بَغْلَةٍ، فَعَرَّفْتُهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدِي اللَّيْلَةَ بَائِتُونَ فَانْصَرَفُوا وَوَجَّهْتُ إِلَى بِلاَلِ المُزَيِّنِ فَأَحْضَرْتُهُ وَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ طَعَامًا فَأَكَلَ وسَقَيْتُهُ مِنَ الشَّرَابِ القُطْرُبُلِي فَشَرِبَ حَتَّى ثَمِلَ، وجَعَلْتُ فِي فِيهِ دِينَارَيْنِ أَحْمَرَيْنِ وقُلْتُ شَأْنَكَ والْقَوْمَ، فَحَلَقَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ خَمْسَ عَشْرَةَ لِحْيَةً فَصَارَ الْقَوْمُ جُرْدًا مُرْدًا كَأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَجَعَلْتُ لِحْيَةَ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ مَصْرُورَةً فِي ثَوْبِهِ ومَعَهَا رُقْعَةٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا: مَنْ أَضْمَرَ بِصَدِيقِهِ الْغَدْرَ وتَرَكَ الْوَفَاءَ كَانَ هَذَا مُكَافَأَتَهضُ والْجَزَاءَ، وجَعَلْتُهَا فِي جَيْبِهِ وشَدَدْنَاهُمْ فِي الصِّنَانِ وَوَافَى الحَمَّالُونَ عِشَاءَ الآخِرَةِ، فَحَمَلُوهُمْ بِكَرَّةٍ خَاسِرَةٍ فَحَصَلُوا فِي مَنَازِلِهِمْ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا رَأَوْا فِي نُفُوسِهِمْ هَمًّا عَظِيمًا، لاَ يَخْرُجُ مِنْهُمْ تَاجِرٌ إِلَى دُكَّانِهِ، ولاَ كَاتِبٌ إِلَى دِيوَانِهِ، ولاَ يَظْهَرُ لِإِخْوَانِهِ » [1].

د- المقامة القرديّة:

في هذه المقامة يعمد المدعي (أبو الفتح الإسكندري) إلى تقديم عرض مضحك لجمهور الحاضرين وهو في حالة من التحّامق والتباله، وليس ذلك غفلة منه وإنما تغافلا لأنه يدعي الغفلة بقصد، ودواعي ذلك كثيرة منها إضحاك الآخرين من أجل الحصول على العطاء، ويصطلح على هذا المفهوم أحيانا بـ "تجاهل العارف" أو "سوق المعلوم مساق المجهول"، وبالتالي المتغافل بصفة عامة مدّع عاقل ذكي، إنّما يُخادع الآخرين لأسباب نفسية، أو اجتماعية أو سياسية أو مادية [2]، والسبب الأخير هو ما يوافق حالة المدعي في

[1]- بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 215- 223.

[2]- نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، ص55.

الخطاب الآتي:« **حدَّثَنا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا بِمَدِينَةِ السَّلاَمِ، قَافِلاً مِنَ البَلَدِ الْحرَامِ، أَمِيسُ مَيْسَ الرِّجْلَةِ، عَلَى شَاطِئِ الدِّجْلَةِ، أَتَأَمَّلُ تِلْكَ الطَّرَائِفَ، وأَتَقَصَّى تِلْكَ الزَّخَارِفَ، إِذْ اِنْتَهَيْتُ إِلَى حَلْقَةِ رِجَالٍ مُزْدَحِمِينَ يَلْوِي الطَّرَبُ أَعْنَاقَهُمْ، وَيَشُقُّ الضَّحِكُ أَشْدَاقَهُمْ، فَسَاقَنِي الْحِرْصُ إِلَى مَا سَاقَهُمْ، حَتَّى وَقَفْتُ بِمَسْمَعِ صَوْتِ رَجُلٍ دُونَ مَرْأَى وَجْهِهِ لِشِدَّةِ الْهَجْمَةِ، وفَرْطِ الزَّحْمَةِ، فَإِذَا هُوَ قَرَّادٌ يُرْقِصُ قِرْدَهُ، وَيُضْحِكُ مَنْ عِنْدَهُ، فَرَقَصْتُ رَقْصَ المُحَرَّجِ، وَسِرْتُ سَيْرَ الأَعْرَجِ، فَوْقَ رِقَابِ النَّاسِ يَلْفَظُنِي عَاتِقُ هَذَا لِسُرَّةِ ذَاكَ، حَتَّى افْتَرَشْتُ لِحْيَةَ رَجُلَيْنِ، وَقَعَدْتُ بَعْدَ الأَيْنِ، وَقَدْ أَشْرَقَنِي الخَجَلُ بِرِيقِهِ، وأَرْهَقَنِي الْمَكَانُ بِضِيقِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ القَرَّادُ مِنْ شُغْلِهِ، وَانْتَفَضَ الْمَجْلِسُ عَنْ أَهْلِهِ، قُمْتُ وقَدْ كَسَانِي الدَّهْشُ حُلَّتَهُ، وَوقَفْتُ لِأَرَى صُورَتَهُ، فَإِذَا هُوَ واللهِ أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيِّ، فَقُلْتُ مَا هَذِهِ الدَّنَاءَةُ وَيْحَكَ! »** [1]، **فَأَنْشَأَ يَقُولُ** [2] :

الذَّنْبُ لِـلْأَيَّـامِ لاَ لِـي فَاعْتَبْ عَلَى صَرْفِ اللَّيَالِي

بِالْحُـمْقِ أَدْرَكْـتُ المُـنَى وَرَفَلْـتُ فِي حُـلَلِ الْجَـمَالِ

إنّ ما تجدر الإشارة إليه هو اشتراك المقامات الأربع في شخصية المدعي التي وسمها " الطابع الكاريكاتوري" وميزها عن باقي الشخصيات في كل مقامة، ويرى النقاد أن " فن الكاريكاتير" يقوم أساسا على تشويه النماذج الإنسانية [3]، وفي ذلك يقول أحدهم: «إن في كل كاريكاتور نوعا من الهجاء، ولكن ليس في كل هجاء نوع من الكاريكاتور... إنك بالهجاء تريد أن تنال ممن تهجو، بالحق وبالباطل، بالحقيقة أو بالافتراء، دون أن تقصد في كل الأحوال أن تثير فينا الضحك منه، أو تظهرنا على مواضع فيه باعثة على العبث به والتندر عليه! ... كل همك في الهجاء أن تزري بخصمك، وأن تطعنه في عزته وكرامته ومواطن

[1]– بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص101، 102.

[2]– نفسه، ص 102.

[3]– علي محمد السيد خليفة، الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 83.

رفعته وقوته، أما في الكاريكاتور فإن غرضك الأول، هو أن تبحث عن الغلطة المحسوسة في تكوينه الجسماني، وأن تنقب عن السقطة الملحوظة في تركيبه النفسي، وأن تفتش عن الخلة الممقوتة في طبعه الخُلقي، حتى إذا عثرت على شيء من ذلك، وأنت لا شك واجد في أغلب الأحيان، بادرت إلى قلمك أو ريشتك فقمت تمعن في تجسيم هذا العيب وتضخيمه، وإبرازه نحو يجعله في نظر الرائي أو القارئ طاغيا على ما عداه من صفات! » [1]، من خلال هذه السمات الكاريكاتورية حقق المدّعي في كل مقامة أهدافه الخاصة، رغم اختلاف أبعادها، ففي كل من المقامة " المجاعيّة والنهديّة و الصيّمريّة" كانت الأبعاد نفسية، وتجلى ذلك من خلال أساليب تهكمية ساخرة، إما "المقامة القرديّة" فكانت أبعادها مادية، وتجلى ذلك من خلال أساليب استجدائيّة.

كذلك، تشترك الخطابات الأربعة في طبيعة السياق الحجاجي للأحداث المقامية، والمخطط الآتي يوضح ذلك:

[1]– السابق، ص نفسها.

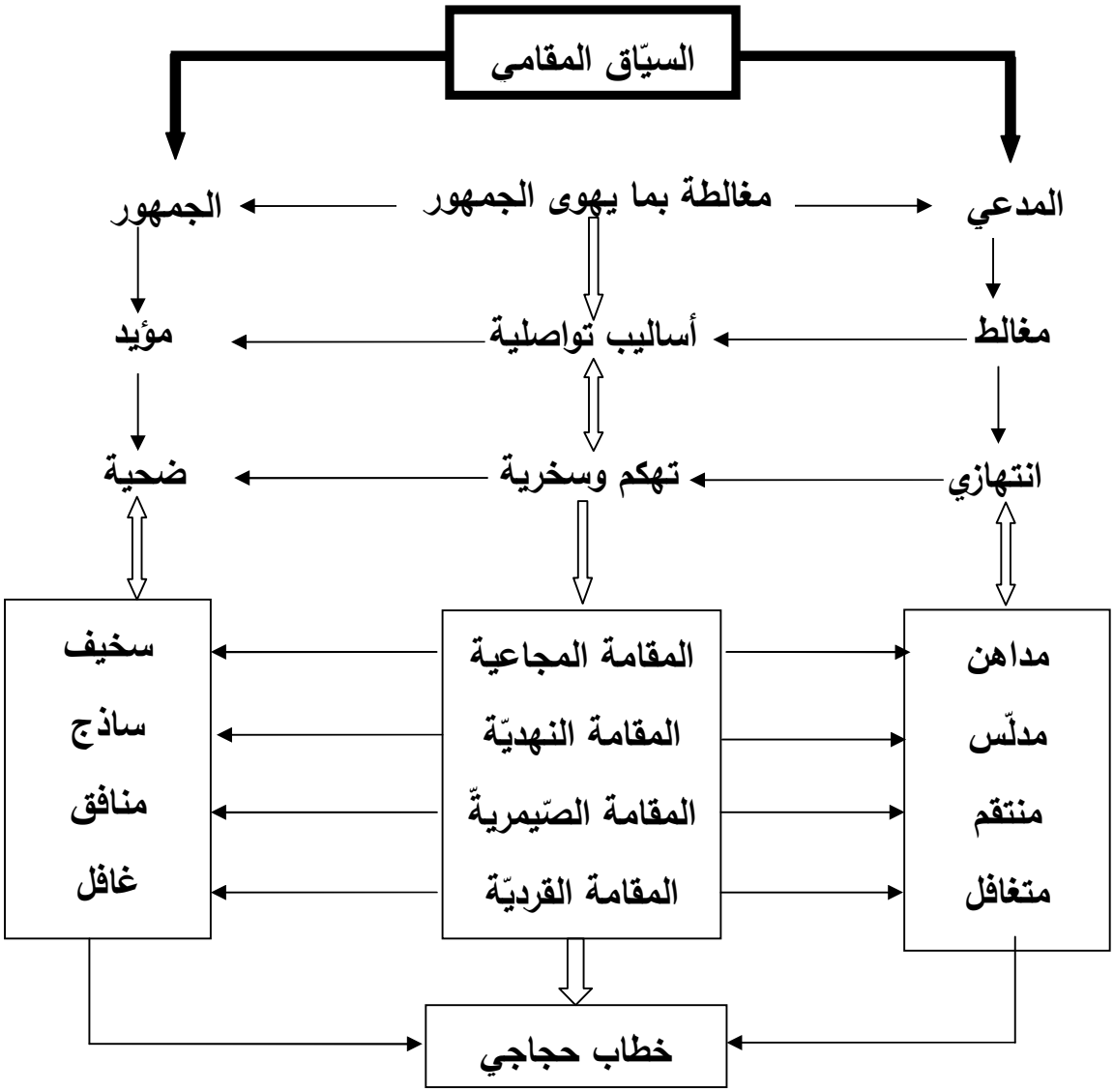

المخطط رقم -19-

2- أساليب المغالطة الشخصية:

تنشأ هذه المغالطة حين يحاول شخص أن يفنّد رأي شخص آخر، لا بإقامة البرهان على عدم صحة هذا الرأي، بل باللجوء إلى صفات شخصية لصاحب الري، أو إلى مواقفه التي لا تتسق مع رأيه الذي يقول به [1]، وعلى ذلك يكون لهذه المغالطة وجهان:

أ- مغالطة تجريح الشخص:

وتتحقق هذه المغالطة حين يلجأ شخص في التدليل على عدم صحّة رأي خصمه إلى تجريح هذا الخصم بذكر صفات شخصية فيه، وهي غير حميدة [2]، وإبراز عيب من عيوبه أو ظرف من ظروفه الخاصة، وينتقل بعد ذلك ليدّعي ادّعاء صريحا، أو يومئ إيماء خفيّا، إلى أن هذا العيب ينسحب على فكرته أيضا، أو أن ذاك الظرف يطعن في صدقيّة دعواه [3]، ويظهر ذلك حسب الصورة العامة الآتية [4]:

- الشخص (أ) يطرح الفكرة (ف).
- الشخص (ب) يقدح في شخصية (أ)، أو يومئ إلى ظرف من ظروفه.
- إذن، (ف) التي يدافع عنها (أ) باطلة.

ووجه المغالطة في هذه الحيلة أنَّها لا تراعي كون الصفات والظّروف الخاصة والممارسات المتعلقة بالشخص لا دخل لها في صدق أو بطلان الفكرة التي يناصرها أو الأدلة التي يسوقها (خصوصا إذا وقع التهويل والمبالغة في إبراز هذه الأمور)، فالحوار ينبغي أن ينصرف من حيث المبدأ إلى الفكرة ذاتها قصد تمحيص مصداقيتها، ويبتعد ما أمكن عن الخوض في أمور أخرى تصرف الأنظار عنها، هذا فضلا على أنَّهُ لا يمتنع من

---

[1]- محمد مهران رشوان، قضايا أساسية في المنطق، ص106، 107.

[2]- السابق، ص 107.

[3]- رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة، ص19.

[4]- نفسه، ص 19، 20.

أن يقوم فرد من الأفراد في مقام من المقامات بمناصرة رأي عاقل سديد، مع أنَّهُ من ذوي الآفات الخُلقية، أو من المحسوبين على المذاهب الباطلة والعكس بالعكس، فلو صرف المحاور حجاجه إلى هذه الأمور عُدّ ذلك منه مسلكا حجاجيا فاسدا؛ أي مغالطة لا تعمل إلاّ على التقليل من فرص النجاح في المحاورة [1].

ويندرج ضمن هذا الوجه ما ورد في كلّ من المقامة "المارستانيّة والحلوانيّة والدّيناريّة" حيث يقوم المدعي في كل واحدة منها بالتجريح في خصمه/خصومه من أجل تحصيل الغلبة عليه/عليهم، وقد يكون ذلك على خلاف الحقيقة، وبالتالي يقع الجمهور في فخّ المغالطة وشراكها، وهذا ما حدث لجمهور المتلقين في المقامات الآنفة، وبيانها يتم وفق العرض الآتي:

- **المقامة المارستانيّة:**

« حدَّثَنا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: دَخَلْتُ مَارِسْتَانَ البَصْرَةِ ومَعِي أبُو دَاوُودَ المُتَكَلِّمُ فَنَظَرْتُ إلَى مَجْنُونٍ تَأْخُذُنِي عَيْنُهُ وتَدَعُنِي، فَقَالَ: إنْ تَصْدُقِ الطَّيْرُ فَأَنْتُمْ غُرَبَاءُ، فَقُلْنَا كَذَلِكَ، فَقَالَ: مَنِ الْقَوْمُ للهِ أَبوهُمْ؟ فَقُلْتُ: أَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ وهَذَا أبُو دَاوُدَ المُتَكَلِّمُ، فَقَالَ: العَسْكَرِيُّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: شَاهَتِ الوُجُوهُ وأَهْلُهَا أَنَّ الْخِيرَةَ للهِ لاَ لِعَبْدِهِ، وَالأُمُورُ بِيدِ اللهِ لاَ بِيَدِهِ، وأَنْتُمْ يَا مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ تَعِيشُونَ جَبْرًا، وتَمُوتُونَ صَبْرًا، وَتُسَاقُونَ إلَى المَقْدُورِ قَهْرًا، ولَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الذِّينَ كُتِبَ عَلَيْهُمُ الْقَتْلُ إلَى مَضَاجِعِهِمْ، أَفَلاَ تُنْصِفُونَ، إنْ كَانَ الأَمْرُ كَمَا تَصِفُونَ وتَقُولُونَ خَالِقُ الظَّلْمِ ظَالِمٌ، أَفَلاَ تَقُولُونَ خَالِقُ الْهَلْكِ هَالِكٌ، أَتَعْلَمُونَ يَقِينًا، أَنَّكُمْ أَخْبَثُ مِنْ إبْلِيسَ دِينًا، قَالَ: رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي فَأَقَرَّ وأَنْكَرْتُمْ، وآمَنَ وكَفَرْتُمْ، وتَقُولُونَ: خُيِّرَ فَاخْتَارَ، وَكَلاَّ فَإنَّ المُخْتَارَ لاَ يَبْعَجُ بَطْنَهُ، ولاَ يَفْقَأُ عَيْنَهُ، ولاَ يَرْمِي مِنْ حَالِقٍ ابْنَهُ، فَهَلِ الإكْرَاهُ ، إلاَّ مَا تَرَاهُ؟ والإكْرَاهُ مَرَّةً بِالمِرَّةِ، وَمَرَّةً بِالدِّرَّةِ، فَلْيَخْزِكُمْ أَنَّ

[1]– السابق، ص 20.

القُرْآنَ بَغِيضُكُمْ، وأنَّ الْحَدِيثَ يَغِيظُكُمْ، إذَا سَمِعْتُمْ مَنْ يُضْلِلْ اللهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ أَلْحَدْتُمْ، وإذَا سَمِعْتُمْ زُوِيَتْ لِي الأَرْضُ فَأُرِيتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا جَحَدْتُمْ، وإذَا سَمِعْتُمْ عُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ حَتَّى هَمَمْتُ أَنْ أَقْطِفَ ثِمَارَهَا، وَعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ حَتَّى اتَّقَيْتُ حَرَّهَا بِيدِي أَنْغَضْتُمْ رُؤوسَكمْ وَلَوَيْتُمْ أَعْنَاقَكُمْ، وإنْ قِيلَ عَذَابُ القَبْرِ تَطَيَّرْتُمْ، وإنْ قِيَلَ الصِّرَاطُ تَغَامَزْتُمْ، وإنْ ذُكِرَ المِيزَانُ قُلْتُمْ: مِنَ الفِرْغِ كِفَّتَاهُ، وإنْ ذُكِرَ الكِتَابُ قُلْتُمْ: مِنَ القِدِّ دَفَّتَاهُ، يَا أَعْدَاءَ الكِتَابِ والحَدِيثِ بِمَا تَطَيَّرُونَ، أبِالله وآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ تَسْتَهْزِئُونَ، إنَّمَا مَرَقَتْ مَارِقَةٌ فَكَانُوا خَبَثَ الحَدِيثِ، ثُمَ مَرَقْتُمْ مِنْهَا فَأَنْتُم خَبَثُ الخَبِيثِ، يا مَخَانِيثَ الخَوَارِجِ، تَرَوْنَ رَأْيَّهُمْ إلاّ القِتَالَ »[1]، وتتحقق المغالطة بالاعتراف الآتي: [2]

أَنَـــا يَنْبُـوعَ العَـجَائِـبْ في احْتِيَالي ذُو مَـــرَاتِـبْ

أَنَـــا فِي الحَـــقِّ سَـــنَـــامٌ أنَا فِي البَـــاطِلِ غَـــارِبْ

أَنَـــا إسْـكَـــــنْـــدَرُ دَارِي فِـــي بِـــلاَدِ الله سَـارِبْ

أغْتَدِي فِي الدَّيْرِ قِسِّـــيسًا وفِـــي المَســـْجِـدِ رَاهِـــبْ

- المقامة الحلوانيّة:

« حدّثَنا عِيسَى بنُ هِشَام قالَ: لَمَّا قَفَلْتُ مِنَ الحَجِّ فِيمَنْ قَفَلَ، وَنَزَلْتُ حُلْوَانَ مَعَ مَنْ نَزَلَ، قُلْتُ لِغُلاَمِي: أَجِدُ شَعْرِي طَوِيلاَ، وَقَد اتَّسَخَ بَدَنِي قَلِيلاَ، فاخْتَرْ لَنَا حَمَّامًا نَدْخُلُهُ، وحَجَّامًا نستعمِلُهُ، وَلْيَكُنِ الحَمَّامُ وَاسِعَ الرُّقْعَةِ، نَظِيفَ البُقْعَةِ، طَيِّبَ الهَوَاءِ، مُعْتَدِلَ المَاءِ، وَلْيَكُنِ الحَجَّامُ خَفِيفَ اليَدِ حَدِيدَ المُوسَى نَظِيفَ الثِّيابِ قَلِيلَ الفُضُولِ، فَخَرَجَ مَليًّا، وَعَادَ بَطِيًّا، وقالَ: قَدِ اخْتَرْتُهُ كَمَا رَسَمْتَ، فَأَخَذْنَا إلَى الحَمَّامِ السَّمْتُ، وأَتَيْنَاهُ فَلَمْ نَرَ قِوامُهُ، لَكِنِّي دَخَلْتُهُ ودَخَلَ عَلَى أثَرِي رَجُلٌ وَعَمَدَ إلَى قِطْعَةِ طِينٍ فَلَطَّخَ بِهَا جَبِينِي وَوَضَعَهَا على رَأْسِي،

---

[1]- بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزّمان الهمذاني، ص 127- 131.

[2]- نفسه ، ص 132،133.

ثُمَّ خَرَجَ وَدَخَلَ آخَرُ فَجَعَلَ يَدْلِكُنِي دَلْكًا يَكُدُّ العِظَامَ، ويَغْمِزُنِي غَمْزًا يَهُدُّ الأَوْصَالَ، ويُصَفِّرُ صَفِيرًا يَرُشُّ البُزَاقَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى رَأْسِي يَغْسِلُهُ وإِلَى المَاءِ يُرْسِلُهُ، وَمَا لَبِثَ أَنْ دَخَلَ الأَوَّلُ فَحَيَّا أَخْدَعَ الثَّانِي بِمَضْمُومَةٍ قَعْقَعَتْ أَنْيَابَهُ، وَقَالَ: يَالُكَعُ مَالَكَ وَلِهَذَا الرَّأْسِ وَهُوَ لِي، ثُمَّ عَطَفَ الثَانِي عَلى الأَوَّلِ بِمَجْمُوعةٍ هَتَكَتْ حِجَابهُ، وقَالَ: بَلْ هَذَا الرَّأْسُ حَقِّي وَمِلْكِي وَفِي يَدِي، ثُمَّ تَلاَكَمَا حَتّى عَيِيَا، وَتَحاكَمَا لِمَا بَقِيَا، فَأَتَيَا صَاحِبَ الحَمَّامِ، فَقَالَ الأَوَّلُ: أَنَا صَاحِبُ هَذَا الرَّأْسِ، لأَنِّي لَطَّخْتُ جَبِينَهُ، وَوَضَعْتُ عَلَيْهِ طِينَهُ، وَقَالَ الثَّانِي: بَلْ أَنَا مالِكُهُ لأَنِّي دَلَكْتُ حَامِلُهُ، وغَمَزْتُ مَفَاصِلَهُ، فَقَالَ الحَمَّامِيُّ: اِئْتُونِي بِصَاحِبِ الرَّأْسِ أَسْأَلُهُ، أَلَكَ هَذَا الرَّأسُ أَمْ لَهُ، فأَتَيانِي وَقَالاَ: لَنَا عِنْدَكَ شَهَادةٌ فَتَجَشَّمْ، فَقُمْتُ وَاَتَيْتُ، شِئْتُ أَمْ أَبَيْتُ، فَقالَ الحَمَّامِيُّ: يَارَجُلُ لاَ تَقُلْ غَيْرَ الصِّدْقِ، وَلاَ تَشْهَدْ بِغَيْرِ الحَّقِ، وَقُلْ لِي هَذَا الرَّأْسُ لِأَيِّهِمَا؟ فَقُلْتُ: يَا عَافَاكَ الله هذَا رَأْسِي قَدْ صَحِبَنِي فِي الطَّرِيقِ، وَطَافَ مَعِي بِالبَيْتِ العَتِيقِ، وَمَا شَكَكْتُ أَنَّهُ لِي، فَقَالَ لِي: أَسْكُتْ يَا فُضَولِيُّ، ثُمَّ مَالَ إلى أَحَدِ الخَصْمَيْنِ فَقالَ: يَا هذَا إلى كَمْ هذِه المُنَافَسَةُ مَعَ النَّاسِ، بِهَذَا الرَّأْسِ، تَسَلَّ عَنْ قَلِيلِ خَطَرِهِ، إلَى لَعْنَةِ اللهِ وحَرِّ سَقَرِهِ، وَهَبْ أَنَّ هذَا الرَّأْسَ لَيْسَ، وأَنَّا لَمْ نَرَ هَذَا التَّيْسَ، قالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقُمْتُ مِنْ ذَلِكَ المَكَانِ خَجِلاً، وَلَبِسْتُ الثِّيَابَ وَجِلاً، وانْسَلَلْتُ مِنَ الحَمَّامِ عَجِلاً »[1].

– المقامة الدّينارّية:

« حَدَّثَنا عِسَيىَ بْنُ هِشَامٍ قَال: اتَّفَقَ لِي نَذْرٌ نَذَرتُهُ في دينَارٍ أَتَصدَّقُ بِه علَى أَشْحَذِ رَجُلٍ بِبَغْدَادَ، وَسَأَلتُ عَنْهُ فَدُلِلْتُ عَلَى أَبِي الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ، فَمَضَيْتُ إِلِيهِ، لِأَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، فَوَجَدْتُهُ فِي رُفْقَةٍ قَدِ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ فِي حَلْقَةٍ فَقُلْتُ: يَا بَنِي سَاسَانَ أَيَّكُم أَعْرَفُ بِسِلْعَتِهِ، وأَشْحَذُ فِي صَنْعَتِهِ، فَأُعْطِيَهُ هَذَا الدِّينَارَ؟ فَقالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ: أَنَا، قَالَ آخَرُ مِنَ الجَمَاعَةِ:لاَ بَلْ أَنَا، ثُمَّ تَنَاقَشَا وتَهَارَشَا حَتَّى قُلْتُ: لِيَشْتُمْ كُلُّ مِنْكُما صَاحِبَهُ، فَمَنْ غَلَبَ سَلَبَ، ومَنْ عَزَّ بَزَّ، فَقَالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ: يَابَرْدَ العَجُوزِ، يَا كُرْبَةَ تَمُّوزِ، يَا وَسَخَ الكُوزِ، يَا دِرْهَمًّا لاَ يَجُوزُ، يَا حَدِيثَ

[1]– السابق، ص 180، 181، 182.

المُغَنِّينَ، يَا سَنَةَ البُوسِ، يَا كَوْكبَ النُّحُوسِ، يَا وَطْءَ الكَابُوسِ، يَا تُخْمَةَ الرُّؤُوسِ، يَا أُمَّ حُبَيْنٍ، يَا رَمدَ العَيْنِ، يَا غَدَاةَ الْبَيْنِ، يَا فِرَاقَ المُحِبّينِ، يَا سَاعَةَ الحَيْنِ، يَا مَقْتَلَ الحُسَينِ، يَا ثِقَلَ الدَّيْنِ، يا سِمَةَ الشَّيْنِ يَا بَرِيدَ الشُّومِ، يَا طَرِيدَ اللُّومِ، يا ثَرِيدَ الثُّومِ، يَا بَادِيةَ الزَّقُّومِ، يَا مَنْعَ المَاعُونِ، يَا سَنَةَ الطَّاعُونِ، يا بَغْيَ العَبِيدِ، يا آيَةَ الوَعِيدِ، يَا كَلامَ المُعيدِ، يا أَقْبَحَ مِنْ حَتَّى في مَواضِعَ شَتَّى، يَا دُودَةَ الكَنِيفِ، يا فَرْوَةً فِي المَصِيفِ، يا تَنحْنُحَ المُضِيفِ إذَا كُسِرَ الرَّغِيف يَا جُشَاءَ المَخْمُورِ، يَا نَكْهَةَ الصُّقُورِ، يَا وتِدَ الدُّورِ يا خُذْرُوفَةَ القُدُورِ، يَا أَرْبُعَاءَ لاَ تَدُورُ، يَا طَمَعَ المَقْمُورِ، يَا ضَجَرَ اللِّسَانِ، يَا بَوْلَ الخِصْيَانِ، يا مُؤَاكَلَةَ العِمْيَانِ، يَا شَفَاعَةَ العُرْيَانِ، يَا سَبْتَ الصِّبْيَانِ، يَا كِتَابَ التَّعَازِي، يَا قَرَارَةَ المَخَازِي، يا بُخْلَ الأَهْوَازِيِّ، يَا فُضُولَ الرَّازِي، وَاللهِ لَوْ وَضَعْتَ إحْدَى رِجْلَيْكَ عَلَى أَرْوَنْدَ، والأُخْرَى علَى دُمَاوَنْدَ، وأَخذْتَ بِيَدَيْكَ قَوْسَ قُزَحَ ونَدَفْتَ الغَيْمَ فِي جِبَابِ المَلائِكَةِ مَاكُنْتَ إلاَّ حَلاَّجاً، وَقالَ الآخَرُ: يَا قَرَّادَ القُرُودِ، يَا لَبُودَ اليَهُودِ، يا نَكْهَةَ الأُسُودِ، يَا عَدَمًا فِي وُجُودِ، يَا كَلْبًا فِي الهِرَاشِ، يَا قِرْدًا في الفِراشِ، يَا قَرعيَّةً بِماشِ، يا أَقَلَّ مِن لاشِ، يَا دُخَّانَ النِّفْطِ، يَا صَنَانَ الإبْطِ، يا زَوالَ المُلكِ، يَا هِلالَ الهُلْكِ، يا أَخْبثَ مِمَّنْ بَاء بِذُلِّ الطَّلاقِ وَمَنْعِ الصَّدَاقِ، يَا وَحْلَ الطَّرِيقِ، يَا مَاءً عَلى الرّيقِ، يا مُحَرِّكَ العَظْمِ، يا مُعَجِّلَ الهَضْمِ، يا قَلَحَ الأسْنَانِ، يا وَسخَ الآذانِ، يا أَجَرَّ منْ قَلْسٍ، يَا أَقَلَّ مِنْ فَلْسٍ، يا أَفضَحَ مِنْ عَبْرةٍ، يا أَبْغَى من إبرَةٍ، يَا مَهَبَّ الخُفِّ، يا مَدْرجَةَ الأَكُفِّ، يا كَلمةَ لَيْتَ، يا وَكَفَ البَيْتِ، يَا كَيْتَ وَكيْتَ، وَاللهِ لَوْ وَضَعْتَ اَسْتَكَ عَلى النُّجوُمِ، وَدلَّيْتَ رِجْلَكَ في التُّخُومِ، واتَّخَذْتَ الشِّعْرى خُفًّا، والثُّرَيَّا رَفًّا، وجَعَلْتَ السَّمَاءَ مؤنْوالاً، وحِكْتَ الهَواءَ سِرْبَالاً، فَسَدَّيْتَهُ بالنِّسْرِ الطَّائِرِ، وأَلْحَمْتَهُ بالفَلَكِ الدَّائِرِ، مَا كُنْتَ إلاَّ حَائِكًا. قَال عِيسَى بْنُ هِشامٍ: فواللهِ مَا عَلمْتُ أيُّ الرَّجُلَيْنِ أُوْثِرُ وَمَا مِنهُمَا إلاّ بَدِيعُ الكَلامِ، عَجِيبُ المَقَامِ، أَلَدُّ الخِصَام، فَتَرَكْتُهُمَا، والدِّينَارُ مُشَاعٌ بَيْنَهُمَا وانْصَرفتُ وَمَا أدْري مَا صَنَعَ الدَّهْرُ بِهِمَا »[1].

[1]– السابق، ص 224– 230.

ب- مغالطة إحراج الشخص:

وُسمت هذه المغالطة أيضا بـ « أنت أيضا» وهي عبارة مُتَرْجِمَة للمصطلح الإنجليزي «you too»، ويُفهم من تسميتها أنّها تقوم على تعليق كذب القضية المعروضة للحوار، على الموقف النّظريّ أو العملي للمحاور منها، حيث يتمّ الإيماء إلى كون المحاور هو نفسه من الذين سبق وأن دافعوا عن هذه الفكرة، أو أنّه لا يُبرّأ من العمل بها على نحو من الأنحاء[1]، والآتي يشرح صورتها العامة[2]:

- الشّخص (أ) يعرض الفكرة (ف).
- الشخص (ب) يشير إلى أنّ أفعال (أ)، أو أفكاره السابقة تنقض (ف).
- إذن، (ف) قضيّة باطلة.

ووجه البطلان في هذا الأسلوب يتمثّل في كونه يتجاهل حقيقة أساسية، وهي أنّ الفرد من النّاس لا يبقى بالضّرورة معتقدا للرّأي نفسه ومقيما على المذهب ذاته أبد الدّهر، بل إنّ الحقيقة الأقرب للقبول في هذا الباب، هي أنّ التّقلب في الأحوال الإعتقاديّة، و الانتقال بين الآراء والمذاهب أصل في الحياة الفكريّة لدى الإنسان[3].

ومن بين الأحداث التي يشملها هذا المفهوم ما ورد في المقامتين "المارستانيّة والسّاريّة" وفق الأساليب التواصلية الآتية:

---

[1]- رشد الرّاضي، الحجاج والمغالطة، ص 21.

[2]- نفسه، ص نفسها.

[3]- نفسه، ص نفسها؛ محمد مهران رشوان، قضايا أساسية في المنطق، ص 107.

- المقامة المارستانيّة:

فبعد أن أبدع "المجنون" في الجزء الأوّل من هذه المقامة في تجريح "أبي داود المتكلّم"، هاهو يعمد الآن إلى إحراج "ابن هشام"، على أنّ هذا الإبداع يوحي بصورة أو بأخرى إلى أنّ هذا المدّعي ليس مجنونا، بل هو مدّع للجنون، إذ لا يلوح من كلامه أيّ تخليط أو اضطراب، وإنّما يبدو وكأنه على معرفة مسبقة بضحيّتيْه[1]، والنصّ الآتي يؤكّد ذلك: « **وَأَنتَ يَا ابْنَ هِشامِ تُؤْمنْ بِبَعْضٍ وتَكْفرُ بِبَعْضٍ، سَمِعْتُ أنَّكَ افْتَرَشْتَ مِنْهُمْ شَيْطَانَةً، أَلَمْ يَنْهَكَ اللهُ عزَّ وجَلَّ أنْ تَتَّخِذَ مِنْهُمْ بِطَانَةً، وَيْلَكَ هَلاَّ تَخَيَّرْتَ لِنُطْفَتِكَ، ونَظَرْتَ لِعَقْبِكَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمْ أَبْدِلْنِي بِهَؤلاءِ خَيْرًا مِنْهمْ وَأَشْهِدْنِي مَلائِكَتَكَ، قَالَ عِيسىَ بنُ هِشامٍ: فَبَقيتُ وَبَقى أَبُو دَاودَ لاَ نُحِيرُ جَوابًا وَرَجَعْنَا عَنهُ بِشَرٍّ وإنِّي لأَعْرِفُ في أبِي دَاوُدَ انْكِسَارًا حَتَّى أَرَدْنَا الافْتِرَاقَ، قَال: يَا عِيسَى هَذَا و أَبِيكَ الحَدِيثُ فَمَا الذِّي أرَادَ بالشَّيْطَانَةِ؟ قُلْتُ: لاَ واللهِ مَا أَدْري غَيْرَ أنِّي هَمَمْتُ أنْ أخْطُبَ إلى أحَدِهِمْ وَلَمْ أُحَدِّث بِمَا هَمَمْتُ به أَحَدًا، وَاللهِ لاَ أَفْعَلُ ذلِكَ أَبدًا، فَقَالَ: مَا هذَا وَاللهِ إلاَّ شَيْطانٌ في أشْطَانٍ، فَرَجَعْنَا إلَيهِ، وَوَقَفْنَا عَليْهِ، فَابْتَدَرْنَا بالْمَقالِ، وبَدأْنَا بالسُّؤالِ، فَقَالَ: لَعَلَّكُمَا آثَرْتُمَا أنْ تَعرِفَا مِنْ أمْرِي مَا أنْكرْتُمَا فَقُلْنَا: كُنْتَ مِنْ قَبْلُ مُطَّلعًا عَلىَ أُمُورِنَا، وَلَمْ تَعْدُ الآنَ مَا في صُدُورنَا فَفسَّرْ لَنَا أَمْرَكَ، وَأَكْشِفْ لَنَا سِرَّك** »[2]، وتتحقق المغالطة باعتراف المدّعي قائلا[3]:

أَنَـــا يَنْبُـوعَ العَـجَائِـبْ في احْتيَالي ذُو مَرَاتِـبْ

أنَـــا فِي الحَـــقِّ سَـنَـامٌ أنَا فِـي البَـــاطِلِ غَـارِبْ

أَنَـــا إسْـكَـــنْـــدَرُ دَارِي فِـــي بِـــلاَدِ الله سَـارِبْ

---

[1]- علي محمد السيد خليفة، الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 100.

[2]- بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 131، 132.

[3]- نفسه، ص 132، 133،

أغْتَدِي فِي الدَّيـرْ قِسِّيـسًا وفِـــي المَســـْجِـدِ رَاهِـــبْ

– المقامة السّاريّة:

يتحقق الإحراج في هذه المقامة حين يتعمّد " أبو الفتح الإسكندري" إحراج الوالي من أجل مغالطة الحاضرين، حيث قيل:« **حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشام قَالَ: بَيْنَا نَحنُ بِسَارِيةَ عِنْدَ وَاليهَا إذْ دَخَلَ عَليهِ فَتًى به رَدْعُ صُفارٍ فَانْتفَضَ المَجْلِسُ لهُ قِيامًا، وأُجْلِسَ فِي صَدْرِهِ إعْظَامًا، ومَنَعَتْنِي الحِشْمَةُ لَهُ مِنْ مَسْأَلَتِي إيَّاهُ عنِ اسْمِهِ، وابْتدأَ فَقالَ لِلْوَالي: مَا فَعَلْتَ فِي الحَديثِ الأَمْسيِّ ؟ لَعلَّكَ جَعلْتهُ في المَنْسيِّ ؟ فَقالَ: مَعاذَ اللهِ وَلكِنْ عَاقَنِي عنْ بُلُوغِهِ عُذْرٌ لاَ يُمْكِنُ شَرْحُهُ، ولاَ يُوْتَى جُرحُهُ، فقَالَ الدَّاخِلُ: يَا هذَا قَدْ طَالَ مِطَالُ هَذَا الوَعْدِ فَمَا أَجِدُ غَدَكَ فِيهِ إلاَّ كَيَوْمِكَ، وَلاَ يَوْمَكَ فيهِ إلاَّ كَأمْسِكَ، فمَا أُشَبِّهُكَ في الإخْلاَفِ، إلاَّ بِشجَرِ الخِلاَفِ، زَهْرُهُ يَملأُ العَيْنَ، وَلاَ ثَمَرَ فِي البَيْنِ، قَالَ عِيسى بْنُ هِشَامٍ: فَلَمَّا بَلَغَ هَذَا المَكَانَ قَطَعْتُ عَلَيْهِ فَقُلتُ: حَرَسَكَ اللهُ أَلسْتَ الإسْكَنْدَرِيَّ؟ فَقالَ: وَأَدَامَ حِرَاستَكَ، مَا أَحْسَنَ فِراسَتَكَ، فَقُلْتُ: مَرْحَبًا بِأَمِيرِ الكَلاَمِ، وأَهْلاً بِضَالَّةِ الكِرَامِ، لَقدْ نَشَدْتُهَا، حَتَّى وَجَدْتُهَا، وَطَلَبْتُهَا، حَتَّى أَصَبْتُهَا، ثُمَّ تَرَافَقْنَا حتَّى اجْتذَبَنِي نَجْدٌ، وَ لَقِمَهُ وَهْدٌ، وَصَعِدْتُ وَصَوَّبَ، وَ شَرَّقْتُ وغَرَّبَ »**[1]، **فقُلتُ عَلَى أثَرِهِ**[2]:

يَا لَيْتَ شِعْـرِي عَـــنْ أخٍ ضَاقتْ يَـداهُ وَطـــالَ صِـــيتُهْ

قَدْ بَاتَ بَـــارِحَةً لَدَيْـــــ يَ فَأَيْـــنَ لَيْـلَتَـــنَا مَـبِيتُـــهْ

لاَ دَرَّ دَرُّ الفَـقْـــرِ فَهْـ ـــوَ طَـرِيـدُهُ وَبِـــهِ رُزِيتُـــهْ

لَأُسَلِّـطَـــنَّ عَلَيْـهِ مِـــنْ خَلَـفِ بْنِ أَحْمَدَ مَنْ يُمِـيتُـــهْ

---

[1]– السابق، ص 239، 240.

[2]– نفسه، ص 240، 241.

والمخطط الآتي يحمل القواسم الحجاجيّة المشتركة في المقامات السابقة من خلال المغالطة الشّخصيّة:

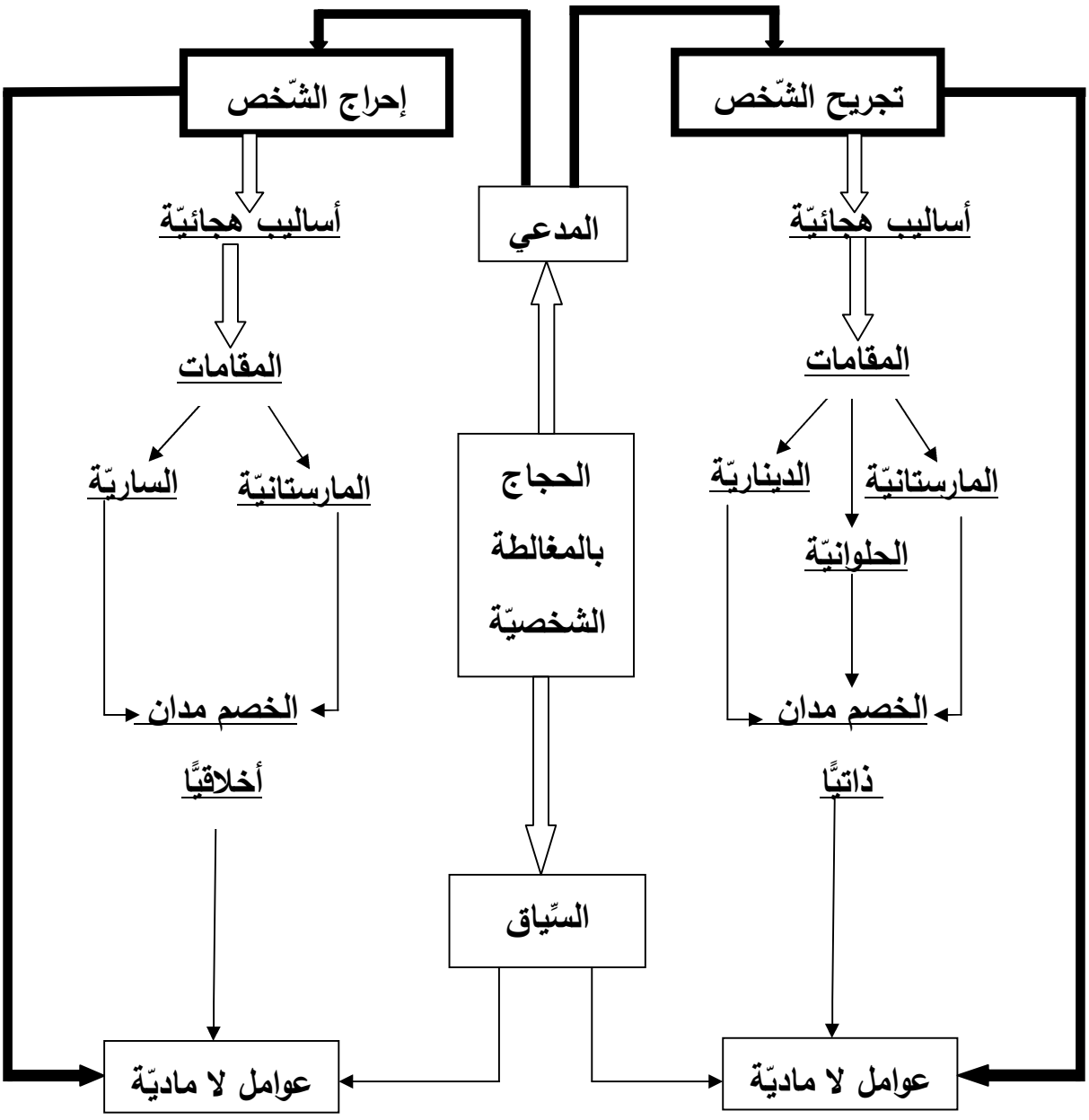

المخطط رقم-20-

3- أساليب المغالطة بالجهل (جهل المتلقي):

المغالطة بالجهل أو استغلال جهل المتلقي وتسمى أيضا مغالطة عبء التّدليل[1]، لها صور متعدّدة منها ما يثبت أنّ المخاطَب (المتلقي) في غالب الأحيان لا يكون جاهلا، فالمُغالط هو الّذي يوحي بذلك، والْأَوْلَى القول بأنّ الأمر يتعلق بتجاهل المغالط لحقّ المعترض (المتلقي) في الدّفاع عن معروضه، وهذا ما يميل إليه النّقاد المعاصرون، فليس الجهل دائما هو الذي يعيق المعترض عن تدليل دعواه، بل في أغلب الأحيان يكون ذلك راجعا إلى استغلال المغالط لبعض الظّروف، وعلى رأسها تبادل الوظائف التّناظريّة لكي يخلق وضعا يبدو فيه المعترض كما لو كان عاجزا عن تدليل دعواه، فيسرع المغالط ليدّعي بطلان هذه الدّعوى، وبالتّالي صحّة دعواه المقابلة، وهذه الوضعية هي ما كان يصطلح عليها أهل المناظرة في التّراث العربي بـ «الغصب »[2].

وأحداث "**المقامة البغداديّة**" مثال تتحقق من خلاله هذه الصّورة، والخطاب الآتي يعرض ذلك: « **حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشامٍ قَالَ: اشْتَهيتُ الأَرَاذَ، وأَنَا بِبغْدَاذَ، وَلَيْسَ مَعِي عَقْدٌ عَلَى نَقْدٍ، فَخَرَجْتُ انْتَهزُ مَحَالَّهُ حَتَّى أَحَلَّنِي الكَرْخَ، فإذَا أَنَا بِسَوادِيٍّ يَسُوقُ بالجَهْدِ حِمَارَهُ، وَيُطَرِّفُ بالعَقْدِ إزَارَهُ، فَقُلْتُ: ظَفِرْنَا وَاللهِ بِصَيْدٍ، وَحيَّاكَ اللهُ أَبا زَيدٍ، مِنْ أَيْنَ أَقْبلتَ، وَأَينَ نَزلتَ وَمَتَى وَافيْتَ؟ وَهَلُمَّ إلى البيْتِ، فَقالَ السَّوَادِيُّ: لسْتُ بأَبِي زيْدٍ، وَلكِنِّي أبُو عُبيْدٍ، فَقُلْتُ: نَعمْ لَعَن اللهُ الشَّيطَانَ، وَأَبْعدَ النّسْيانَ، أَنْسَانِيكَ طُوُلُ العَهْدِ، واتِّصَالُ البُعدِ فَكَيْفَ حَالُ أبِيكَ أشابٌّ كَعَهْدِي، أمْ شَابَ بَعْدِي ؟ فَقَالَ: قَدْ نَبَتَ الرّبِيعُ عَلَى دِمْنَتِهِ، وأَرْجُو يُصَيِّرَهُ اللهُ إلى جَنَّتِهِ، إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجِعونَ وَلاَ حولَ وَلاَ قُوَّة إلاَّ باللهِ العَلِّي العَظِيمِ، ومَدَدْتُ يَدَ البِدارِ، إلى الصَّدَارِ، أريدُ تَمْزيقَهُ، فَقَبَضَ السَّوادِيُّ على خَصْري بِجُمْعِهِ وقَالَ نَشدْتُكَ اللهِ لا**

---

[1]- رشيد الرّاضي، الحجاج والمغالطة، ص 36.

[2]- نفسه، هامش ص 37.

مَزَّقْتَهُ، فَقُلْتُ: هَلُمَّ إلى البَيْتِ نُصِبْ غَدَاءً أو إلى السُّوقِ نشْتَرِ شِواءً، والسُّوقُ أَقْرَبُ، وطَعَامُهُ أَطْيَبُ، فاسْتَفَزَّتْهُ حُمَّةُ القَرَمَ، وعَطَفَتْهُ عَاطِفةُ اللَّقَمِ، وَطَمِعَ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ وَقَعَ، ثُمَ أَتَيْنَا شَوَّاءً يَتقاطَرُ شِواؤُهُ عَرَقًا، وَتتسَايَلُ جُوْذَابَاتُهُ مَرقًا، فَقُلْتُ: افْرِزْ لِأَبي زَيْدٍ مِنْ هَذَا الشِّوَاءِ، ثُمَّ زِنْ لَهُ مِنْ تِلكَ الْحَلْواءِ، واخْتَرْ لَهُ مِن تِلكَ الأَطْبَاقِ، وانْضِدْ عَلَيْهَا أَوْراقَ الرُّقَاقِ، وَرُشَّ عَلَيْهِ شَيئًا منْ مَاءِ السُّمَّاقِ، لِيأكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنيًا، فَانْحَنَى الشَّوَاءُ بِسَاطُورِهِ، عَلى زُبدَةِ تَنُّورِهِ، فَجعَلَهَا كَالكُحْلِ سَحْقًا، وَكالطِّحْنِ دَقًّا، ثُمَ جَلسَ وَجلَسْتُ، وَلا يَئِسَ وَلاَ يَئِسْتُ، حَتَّى اسْتَوْفَيْنَا وَقُلتُ لِأصاحبِ الحَلوَى: زِنْ لِأَبِي زَيْدٍ مِنَ اللُّوزِيْنَجِ رَطليْنِ فَهوَ أجْرَى في الحُلُوقِ، وأَمْضَى في العُرُوق، وَ ليَكنْ لَيْليَّ العُمرِ، يَوْميِّ النَّشرِ، رَقيقَ القِشْرِ، كَثيفَ الحَشْوِ، لُؤْلُؤيَّ الدُّهْنِ، كَوكَبيَّ اللَّونِ، يَذوبُ كالصَّمْغِ قَبْلَ المَضْغِ، لِيأْكُلَهَ أبُو زَيْدٍ هَنيًّا، قَال: فَوَزَنَهُ ثُم قَعَدَ وَقَعَدْتُ، وَجَرَّدَ وَجرَّدْتُ، حتَّى اسْتوفيْنَاهُ، ثَمَ قُلتُ: يَا أبَا زَيْدٍ مَا أَحوَجَنَا إلى ماءٍ يَشَعْشعُ بِالثَّلْجِ لِيقْمَعَ هذِهِ الصَّارَّةَ وَيَفْثَأَ هَذِهِ اللُّقَمِ الحَارَّةَ اجْلسْ يَا أبَا زَيْدٍ حتَّى نَأْتِيكَ بِسقَّاءٍ يَأْتِيكَ بِشَرْبَةِ مَاءٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ وَجَلسْتُ بِحيثُ أرَاهُ وَلاَ يَرانِي أنْظُرُ مَا يَصْنَعُ، فَلَمَّا أَبْطَأتُ عليه قَامَ السَّواديُّ إلى حِمَارِهِ، فَاعْتَلَقَ الشَّوَّاءُ بِإزارِهِ، وَقَالَ: أيْنَ ثَمَنُ مَا أَكَلْتَ ؟ فَقال أبو زَيْدٍ: أَكَلْتُهُ ضَيْفًا. فَلَكَمَهُ لَكْمَةً، وُثَنَّى عَليهِ بِلَطْمَةٍ، ثُمَ قَالَ الشَّوَّاءُ: هَاكَ، وَمَتَى دَعَوْناكَ، زِنْ يَا أخَا الْقِحَةِ عِشْرِينَ، فَجَعَلَ السَّواديُّ يَبْكِي وَيَحُلُّ عُقَدَهُ بِأَسْنَانهِ ويقُولُ: كَمْ قُلْتُ لِذاكَ القُرَيدِ، أَنَا أبُو عُبيْدٍ، وَهُوَ يقولُ: أنتَ أبُو زَيْدٍ »[1]. فأَنْشَدْتُ[2]:

أَعْمِلْ لِرِزْقِكَ كُـلَّ آلَــهْ لَا تَقْعُــدَنَّ بِـكُـلِّ حَـالَــهْ

وَانْـهَضْ بِكلِّ عَظِيـمَــةٍ فَالمَـرْءُ يَعْـجِزُ لَا مَحالَهْ

إنّ ما جرى في بغداد على لسان " الهمذاني" يثبت مغالطة صريحة بطلها هذه المرّة "عيسى بن هشام" بدل "أبي الفتح الإسكندري"، ومن خلال عبارات موجزة لخص قصده وأوقع

---

[1]– بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 63– 67.

[2]– نفسه، ص 67.

المتلقي في المصيدة التّي نجح في حبكها حبكا لا يفسح مجالا لمجرّد التردّد أو الشك في مدى صدقها ومشروعيّة إقناعها، ويُعزى الفضل في ذلك حسب نقاد العصر الحديث – بناء على الظّروف السّيّاقيّة السّالفة– إلى العبارات شديدة الإيجاز[1]، حيث لا يخفى ما لهذا الأسلوب من أثر في « تربية الفائدة بتكثير المعاني، إذ يتأتّى من احتمالات المعاني بالحذف مالا يتأتّى بالذّكر»[2]، كما يكون للحكم النّقدي الّذي حكم به " حازم القرطاجنّي" على نجاعة الخطاب البلاغي أثناء الإقناع أثر بالغ في إثبات أهميّة عوامل لا لغويّة، حيث قال: « والتّمويهات تكون في ما يرجع إلى الأقوال، والاستدراجات تكون بتهيّؤ المتكلم بهيئة من يقبل قوله، وباستمالته المخاطب و استلطافه له بتزكيته وتقريظه... حتّى يصير بذلك كلامه مقبولا عند الْحَكَمِ، وكلام خصمه غير مقبول »[3]، ولعل هذا ما أسعف " ابن هشام" في الإطاحة بالضّحيّة، وبالتّالي كانت براعته التّواصليّة في نسج تراكيبه وسوغ أساليبه، دون أن يهمل الظّروف والأحوال، العامل الأساس في بناء خطاب حجاجيّ محكم يعضده الحكم النّقديّ الذي ينصّ على الآتي:« وليس يحمد في الكلام أيضا أن يكون من الخفّة بحيث يوجد فيه طيش، ولا من القصر بحيث يوجد فيه انبتار، لكنّ المحمود من ذلك ماله حظّ من الرّصانة لا تبلغ به إلى الاستثقال، وقسط من الكمال لا يبلغ به إلى الإسآم والإضجار، فإنّ الكلام المتقطّع الأجزاء المنبتر التراكيب غير ملذوذ ولا مستحلى... فلا شفاء مع التّقطيع المخلّ ولا راحة مع التّطويل المملّ، ولكن خير الأمور أوساطها »[4].

ومنه، يتّضح أنّ "ابن هشام" قد نجح في تطبيق هذه القاعدة النقديّة المتمثلة في الموازنة بين الاختصار والإطالة على سبيل الإيجار أثناء الخطاب، بما أنّ أهدافه قد تحققت، وما يلي مخطط توضيحي لأبعاد المغالطة في المقامة البغداديّة:

---

[1]– ينظر: محمد مهران رشوان، قضايا أساسية في المنطق، ص 105.

[2]– الميداني، البلاغة العربيّة، 1/ 339.

[3]– حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 64.

[4]– نفسه، ص 56.

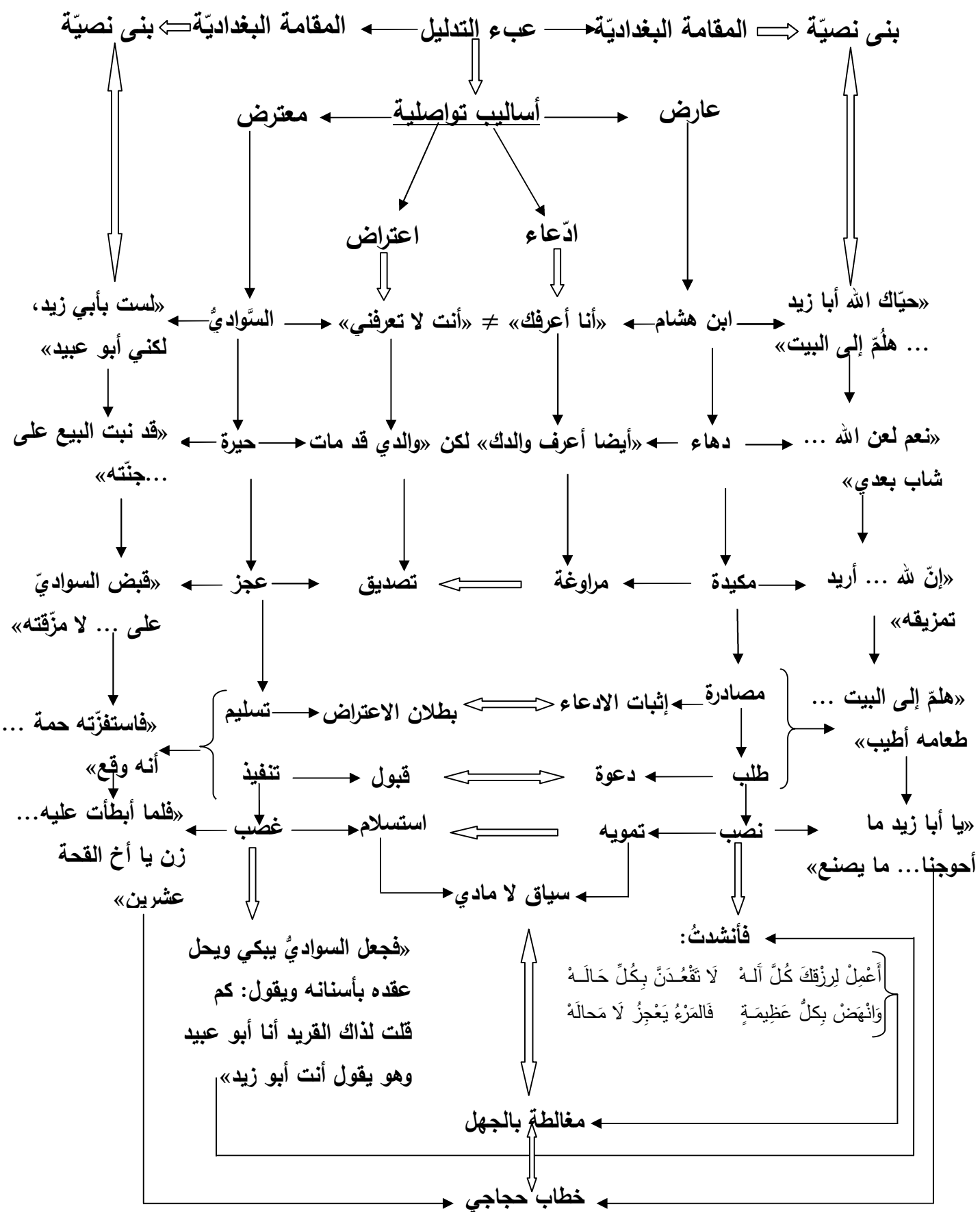

المخطط رقم -21-

4- أساليب المغالطة بالتّجهيل:

يقوم هذا النّوع من الحجاج في تعريفه المبدئي على إفحام المخاطَب (المتلقي) انطلاقا من تعجيزه بأن يدلي بما ينفي الحجّة المقدمة إليه، والمغالطة هنا تكمن في المنحنى الذي يأخذه تصوّر الحقيقة، فالمتكلم يؤسس حجّته على أساس من قاعدة تقول:« إذا لم تُدْلِ بما ينفي حجّتي، فحجّتي صحيحة»[1]، هذا التّصور يتنافى مع قواعد البحث العلمي التي ترفض الخلط بين غياب الحجّة المثبتة للقضية وتوفر الأدلة النافية لها، فإن لم يتوفر للمحاجج دليل ينفي حجة خصمه لحظة الحوار ليس معناه أنّ الحجّة صحيحة بشكل مطلق[2]، ومنه تأخذ المغالطة بالتّجهيل ثلاث صور متباينة، وهي إمّا أن تكون « إثباتيّة أو معرفية أو جدليّة»[3]، وبيانها حسب الآتي:

أ- المغالطة الإثباتيّة:

تأخذ هذه الصّور الشكل الآتي[4]:

- لا يوجد دليل ضدّ الفرضيّة (ف).
- إذن، (ف) صحيحة.

ويعتبر هذا الشّكل مغالطا لأنّ الخاتمة فيه لم تستغرق كلّ الحالات الممكنة، لأنّ الفرضيّة (ف) قد تكون خاطئة، ومن هنا يتحقق داعي الإثبات[5]، علما أنّ الاستغراق في

---

(1)- محمد النّويري، الأساليب المغالطيّة مدخلا لنقد الحجاج، ص 433.

(2)- نفسه، ص 433، 434.

(3)- نفسه، ص 436.

(4)- نفسه، ص 434.

(5)- نفسه، ص 435.

اللغة يعني التّضمن والشّمول[1]، وبالتالي يكون استغراق الحدّ في المنطق أن ينصبَّ الحكم على جميع الأفراد الذين يومئ إليهم الحدّ[2].

وعليه، يتحقق هذا المفهوم في كل من المقامات الآتية:

- المقامة القزوينيّة:

يمكن شرح المغالطة فيها وفق الآتي:

- السّياق الحجاجي← لا دليل ضدّ كلام " أبي الفتح" في السياق الآتي:« **يَا قَوْمُ وَطِئْتُ دَارَكُمْ بِعَزْمٍ لاَ الْعِشْقُ شَاقَهُ، وَلاَ الفَقْرُ سَاقَهُ، وَقَدْ تَرَكْتُ وَرَاءَ ظَهْرِي حَدَائِقَ وَأَعْنابَا، وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا، وَخيْلاً مُسَوَّمَةً، وَقَناطِير مُقَنْطَرَةً، وَعُدّةً وَعَدِيدَا، وَمَراكِبَ وَعَبِيدًا، وَخَرَجْتُ خُرُوجَ الحَيَّةِ مِنْ حُجْرِهِ، وَبَرَزْتُ بُروزَ الطَّائِرِ مِنْ وَكْرِهِ، مُؤْثِرًا دِينِي عَلى دُنْيَايَ، جَامِعًا يُمْنايَ إِلَى يُسْرَايَ، وَاصِلاً سَيْرِي بِسُرَايَ، فَلَوْ دَفعْتُمُ النَّارَ، بِشَرَارِهَا، وَرَمَيْتُمُ الرُّومَ بِحِجَارِهَا، وأَعَنْتُمُونِي عَلى غزوهَا مُسَاعَدَةً وَإِسْعادًا، وَمُرافدةً وَ إِرْفَادًا، وَلا شطَطَ فَكُلٌّ علَى قَدْرِ قُدْرتِهِ وَحسَبَ ثَرْوَتِهِ، وَلا اسْتَكْثُرُ البَدْرَة، وأَقْبَلُ الذَّرَّةَ، وَلاَ أَرُدُّ التَّمْرَةَ، وَلِكلٍّ مِنِّي سَهْمَانِ سَهْمٌ أُذَلِّقُهُ لِلِّقَاءِ، وآخَرُ أُفَوِّقُهُ بِالدُّعَاءِ وَأَرْشُقُ بِهِ أبْوابَ السَّمَاءِ، عَنْ قَوْسِ الظَّلْمَاءِ »**[3].

- إذن← كلام " أبي الفتح" صحيح⟸ إقناع⟸ نيل العطاء: « **رحِم اللهُ مَنْ أَعَانَنَا بِفَاضِلِ ذَيْلِهِ، وقَسَمَ لَنَا مِنْ نَيْلِه، ثُمّ أَخَذَ مَا أَخَذْ**»[4].

---

[1]- الشريف الجرجاني، كتاب التّعريفات، ص 19.

[2]- محمد فتحي الشّنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، ص 72.

[3]- بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 94، 95.

[4]- نفسه، ص 96.

– وعليه←أسلوب" أبي الفتح" مغالط « مغالطة إثباتية»؛

لأنّ كلامه ليس صحيحا؛ فـ " ابن هشام" رغم أنّه كشف أمره لم يفضح سرّه:« **قَالَ عِيسَى بنُ هِشامٍ: فَاسْتفزَّنِي رَائِعُ أَلفاظِهِ، وَسَرَوْتُ جِلْبَابَ النَّومِ، وَعَدَوْتُ إِلَى القَوْمِ، فَإِذَا وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ بِسيْفٍ قَدْ شَهَرَهُ، وَزَيٍّ قَدْ نَكَّرَهُ، فَلَمَّا رَآنِي غَمَزَنِي بِعَيْنِهِ وَقَالَ: رَحِمَ اللهُ مَن أَعَاننَا بِفَاضِلِ ذَيْلِهِ، وَقَسَمَ لَنَا مِنْ نَيْلِهِ، ثُمَّ أَخَذَ مَا أَخَذَ وَخَلَوْتُ بِهِ فَقُلْتُ: أَأَنْتَ مِن أَوْلادِ النَّبِيطِ؟** »[1]. **فَقَالَ**[2]:

أنَــا حَالِــي مِـنْ الزّمَا نِ كَحَالــي مَـعَ النَّــسَبْ

نَسَــبِي فِي يَــدِ الــزَّمَا نِ إِذَا سَامَـــهُ انْقَــلَبْ

أَنَا أُمْسِي مِنْ النَّبــيــطِ وَأُضْحــي مِنَ الــعَــرَبْ

– المقامة النّيسابوريّة:

و ما يلي يشرح سياقها الحجاجي:

– السّياق الحجاجي ←لا دليل ضدّ كلام " أبي الفتح" أثناء التّعريف بالرّجل واصفا إيّاه بأرذل الأوصاف وأبشعها إجابة منه عن سؤال سائل: « **حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قَالَ: كُنْتُ بِنَيْسَابُورَ يَوْمَ جُمْعةٍ فَحَضَرْتُ المَفْرُوضَةَ وَلمَّا قَضَيْتُهَا اجْتازَ بِي رَجُلٌ قَدْ لَبِسَ دَنِيَّةَ، وَتَحَنَّكَ سُنِّيَّةَ، فَقُلْتُ لِمُصَلٍّ بِجَنْبِي: مَنْ هَذَا ؟ قَالَ: هَذَا سُوسٌ لاَ يَقَعُ إلاَّ فِي صُوفِ الأَيْتَامِ، وَجَرادٌ لاَ يَسْقَطَ إلاَّ عَلَى الزَّرعِ الحَرامِ، وَلصٌ لاَ يَنْقُبُ إلاَّ خِزانَةَ الأَوْقاف، وكُرْديَّ لاَ يُغِيرُ إلاَّ عَلَى الضِّعَافِ، وَذِئْبٌ لَا يَفْترسُ عِبَادَ اللهِ إلاَّ بيْن الرُّكوعِ والسُّجودِ، ومُحَارِبٌ لَا يَنْهَبُ مَالَ اللهِ إلَّا بَيْنَ العُهُودِ والشُّهُودِ، وَقَدْ لَبِسَ دَنِيَّتَهُ، وَخَلَعَ**

[1]– السابق، ص نفسها.

[2]– نفسه، ص نفسها.

دِينِيَّتَهُ، وَسَوَّى طَيْلَسَانُهُ، وحَرَّفَ يَدَهُ وَلِسَانَهُ، وقَصَّرَ سِبَالَهُ، وَأَطَالَ حِبَالهُ، وأَبْدَى شَقَاشِقَهُ، وَغَطَّى مَخَارِقُهُ، وَبَيَّضَ لِحْيَتُهُ، وَسَوَّدَ صَحِيفَتُهُ، وَأَظْهرَ وَرعَهُ، وَسَتَرَ طَمَعَهُ »[1].

– إذن ⟵ كلام " أبي الفتح" صحيح ⟸ إقناع ⟸ تصديق السائل:« **قُلْتُ: لَعَنَ اللهُ هذَا**»[2].

– وعليه ⟵ وصف "أبي الفتح" «مغالطة إثباتيّة»؛ لأنّ كلامه قد يكون مجرّد افتراء.

– المقامة السّاسانيّة:

السياق الحجاجي في هذه المقامة يشرحهُ الآتي:

– السّياق الحجاجي ⟵ لا دليل ضدّ ادّعاء المدّعين العوز والحاجة، وتظاهرهم بالجوع بناء على وصف " ابن هشام" لهم قائلا: « **حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هشامٍ قَالَ: أَحلَّتْني دِمَشْقَ بَعْضُ أَسْفَارِي، فَبيْنَا أَنَا يَوْمًا عَلى بَابِ دَارِي، إذ طَلَعَ عَلَيَّ مِنْ بَنِي سَاسَانَ كَتيبةٌ قَد لَفُّوا رُؤوسَهمْ، و طَلَوْا بالمَغْرَةِ لَبُوسَهُمْ، وَ تَأَبَّطَ كُلُّ وَاحدٍ مِنهُمْ حَجرًا يَدُقُّ بِهِ صَدْرَهُ، وفِيهِمْ زَعيمٌ لَهُمْ يَقولُ وَهُمْ يُراسِلونهُ، ويَدْعو وَ يُجَاوِبُونَهُ** »[3]، ليستدل زعيمهم بعد ذلك على هذه الحال المزرية بوصفه طعاما لم يتذوقوه أمدا طويلا، حيث قال[4]:

أُريـدُ مِنْــكَ رَغيـفًا يَعــلُـو خَوَّانًا نَظيـفـا

أُريدُ مِلْـحًا جَـريشَا أُريــدُ بَقْــلاَ قَــطيــفَا

أُريدُ لَحْمَا غَريــضَا أُريدُ خَـــــلاًّ ثَقـــيفَا

---

(1)– السابق، ص 207، 208.

(2)– نفسه، ص 208.

(3)– نفسه، ص 97.

(4)– نفسه، ص 97، 98، 99.

أُريدُ جَـدْيًا رَضـيـعَا أُريــدُ سخْــلاّ خَـرُوفَا

أُريــدُ مَــاءَ بِثَــلْجٍ يَغْـشَى إِنَاءً طَــرِيفَا

أُريـــدُ دَنَّ مُــدَامٍ أَقــومُ عَـنـْهُ نَـزيفَا

وَسَاقــيًا مُسْتَهَــشًّا عَـلـى القُلوبِ خَـفيفَا

أُريـدُ مِنْـكَ قَمْيـصًا وَجُـبَّـــة وَنَــصِيـفَا

أُريدُ نَعْــلاً كَــثِيفَـا بِهــا أُزُورُ الكَـنيـفـا

أُريدُ مِشْطّا وَمُوسَى أُريــدُ سَطـْلاً وَلــيفَا

يَا حَبَّذَا أَنّا ضَــيْفًا لَكُـمْ وَأَنْتَ مُـضِيــفـا

رَضِــيتُ مِنـْكَ بِهذَا وَلـمْ أُرِدْ أن أَحِــيـفَا

– إذن ⟵ الادّعاء صحيح ⟸ إقناع ⟸ استجابة " ابن هشام" لتلبية طلباتهم اقتناعا منه بأنّهم جوعى منذ مّدة طويلة حيث قال:« **نِلْتُهُ [زعيمهم] دِرْهَمًا وَقُلتُ لَهُ: قَدْ آذنْتُ بالدَّعْوَةِ وَسَنُعدُّ وَنَسْتَعدُّ، وَنَجْتَهِدُ وَنَجِدُّ، وَلَكَ عَلَيْنَا الوَعْدُ مِن بَعْدُ، وَهَذَا الدِّرْهَمُ تَذْكِرَةٌ مَعَكَ فَخُذِ المَنْقُودَ، وانْتَظِرِ المَوْعُودَ** »[1].

– وعليه ⟵ الادّعاء « مغالطة إثباتيّة» بما أنّ " ابن هشام" أبطله بكشفه الحيلة، حين ساوره الشّك أثناء سماعه الزعيم يستجدي مرّة أخرى قائلا[2]:

يَــا فَاضــلاً قَــدْ تَبـدَّى كَأَنّــهُ الغُـصْــنُ قَــدَّا

قَدِ اشْتَــهَى اللَّحْمَ ضِـرْسي فاجْلِدْهُ بِالخُبْــزِ جَلْــدَا

[1]– السابق، ص 99.

[2]– نفسه، ص 99، 100.

وَامْنُـــنْ عَلَـيَّ بْـــــشيْء وَاجْعَــلْهُ لِلوَقْـتِ نـقـْدَا

أَطْلَـــقْ مِنْ اليــدِ خَـصـْـرًا وَاحْلُلْ مِنْ الكِيسِ عَقْدَا

وَاصْمُــمْ يَـدَيْــكَ لِأَجْـلِي إلى جَـــنَاحِــكَ عَــمْـدَا

« قَالَ عِيسَى بنُ هِشامٍ: فَلمَّا فَتَقَ سَمْعِي مِنهُ هَذَا الكَلامُ عَلِمْتُ أنَّ وَرَاءَهُ فَضْلاً فَتبعْتُهُ حَتَّى صَارَ إلى أُمِّ مَثْواهُ، وَوَقَفْتُ مِنْهُ بِحَيْثُ لَا يَرانِي وَأَرَاهُ، وَأَمَاطَ السَّادةُ، فَإِذَا زَعِيمُهُمْ أَبُو الفَتْحِ الإسْكَنْدَرِيُّ، فَنَظَرْتُ إِليهِ وَقلْتُ: مَا هَذهِ الحِيلَةُ وَيْحَك؟ »[1] فَأَنْشأَ يَقُولُ[2]:

هذا الزَّمــانُ مَــشُومُ كَـــمَا تَــرَاهُ غَشُومُ

أَلْحُمْـــقُ فِيهِ مَــليحٌ وَالعَقْلُ عَيْبٌ وَلُــومُ

وَالمَـالُ طَيْـــفٌ وَلكِنْ حَوْلَ اللّئـــَامِ يَحُومُ

بناءً على ما ورد في المقامات الثلاث، يتضح أنّ أبا الفتح أدى فيها "وظيفة افهامية أو تأثيرية" بما أنَّه عمل على إقناع المتلقي في كل واحدة منها، وفي هذه الحالة يكون الهمذاني قد سلك مسلكا يختلف عن مسلك "السرقسطي" في مقاماته، حيث اسند هذا الأخير هذه الوظيفة للراوي/السارد بدل المرويِّ عنه/المسرود عنه أي البطل[3].

ب- المغالطة المعرفيّة:

أمّا هذه الصّورة فتأخذ الشكل الآتي[4]:

---

[1]-السابق، ص 100،

[2]- نفسه، ص 100، 101.

[3]- نور مرعي الهدروسي، السرد في مقامات السرقسطي ، ص50.

[4]- محمد النّويري، الأساليب المغالطيّة مدخلا لنقد الحجاج، ص 435.

– لم يثبت أحد قطّ أنّ الفرضيّة (ف) خاطئة أو صحيحة.

– إذن، (ف) خاطئة أو صحيحة.

من هنا أمكن القول بأنّ هذا الشكل المغالطي القائم على التّجهيل له قيمة إبستيمية؛ أي « بعد معرفي»[1]، فإذا كان لا أحد يعرف أنّ (ف) صحيحة أو خاطئة، فهذا يعني أن تكون ممكنة الصّحة أو ممكنة الخطأ[2]، وبمعنى آخر اعتبر هذا الحجاج مغالطا لأنّه مبني على عدم المعرفة من كلا الطّرفين، ومنه تكون كلّ من المقامتين " الموصليّة والملوكيّة" خطابا حجاجيّا اقتضى " مغالطة معرفية" يسبط تفاصليها الآتي:

– المقامة الموصليّة :

تمّ إثبات "المغالطة بالعرض" في الجزء الأوّل من هذه المقامة، أمّا جزؤها الثاني فَتُبِينُ أحداثه عن " مغالطة معرفية" صاحبها " أبو الفتح الإسكندريّ"، فبعد أن تمكن من الهرب من المأتم الذي أحدث فيه جلبة في الجزء الأوّل، هاهو الآن يصل إلى قرية منكوبة يتهدّدها خطر كارثيّ: « **حَتَّى أَتَيْنَا قَرْيَةً علَى شَفِيرِ وادٍ السَّيْلُ يَطَرِّفُهَا، والْمَاءُ يتَحَيَّفُهَا، وأَهْلُهَا مَغْتَمُّونَ لاَ يَمْلِكُهُمْ غَمْضُ اللَّيْلِ، مِنْ خَشْيَةِ السَّيْلِ**»[3]، وكعادته لا يضيُّع " أبو الفتح" الفرصة في استغلال الأوضاع والاستفادة منها بتَصَيير ما يجري لصالحه وسبيله في ذلك الحيلة والخديعة على اختلاف طرقها، وطريقه هذه المرّة ادِّعاء يبدو وكأنَّه ضرب من الخيال:« **فقال الإِسْكَنْدَرِيُّ: يا قَوْمُ أَنَا أَكْفيكُمْ هذَا المَاءَ وَمَعرَّتَهُ، وأَرُدُّ عَن هَذهِ القَريةِ مَضَرَّتَهُ، فَأَطِيعُونِي وَلاَ تُبْرِمُوا أمرًا دُونِي، فَقَالُوا: وَمَا أَمْرُكَ ؟ فَقَالَ: اذْبَحُوا فِي مَجْرَى هَذَا المَاءِ بَقَرَةً صَفْرَاءَ، وَأْتُونِي بِجَارِيَةٍ عَذْرَاءَ، وَصَلُّوا خَلْفِي رَكْعتيْنِ يَثْنِ اللهُ عَنْكُمْ عِنَانَ هذَا**

---

[1]– السابق، ص نفسها.

[2]– نفسه، ص 436.

[3]– بديع الزمان المهذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 106.

المَاءِ، إلى هذهِ الصَّحْرَاءِ، فإنْ لَم يَنْثَنِ المَاءُ فَدَمِي عَليْكُمْ حَلَالٌ»[1]، ولكن يبقى احتمال أن يصدق هذا الكلام قائما بما أنّ أهل القرية أذعنوا له ونفّذوا كل ما طلبه منهم ولو من دون اقتناع: « **قالوا: نَفْعلُ ذَلِكَ، فَذَبحُوا البَقَرَةَ، وَزوَّجُوهُ الجَارِيَّةَ، وَقَامَ إلى الرَّكْعَتَيْنِ يُصَلّيهِمَا وَقالَ: يَا قَوْمُ احْفَظُوا أنْفُسَكُمْ لاَ يَقَعَ مِنكُم فِي القِيامِ كَبْوٌ، أوْ فِي الرُّكُوعِ هَفْوٌ، أو في السُّجُودِ سَهْوٌ، أو فِي القُعُودِ لَغْوٌ، فَمتَى سَهوْنَا خَرجَ أَمَلُنَا عَاطِلاً، وذَهَبَ عَملُنَا بَاطِلَا، وَاصْبرُوا عَلى الرَّكْعتينِ فَمَسَافَتُهُمَا طَويلةٌ، وَقَامَ لِلرَّكْعةِ الأُولَى فَانْتصَبَ انْتصَابَ الجِذْعِ، حَتَّى شَكَوْا وَجَعَ الضِّلْعِ، وَسَجَدَ، حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُ قَد هَجَدَ، وَلَمْ يَشْجُعُوا لِرَفْعِ الرُّؤوسِ، حَتَّى كَبَّرَ لِلْجُلُوسِ، ثُمَ عَادَا إلى السَّجْدةِ الثَّانِيةِ وَأَوْمَأَ إليَّ فَأَخذْنَا الوَادِي، وتَرَكْنَا القَوْمَ سَاجِدِينَ لَا نَعْلَمُ مَا صَنَعَ الدَّهْرُ بِهِمْ »**[2]، إلاّ أنّ تطوّر الأحداث فضح النّوايا الخفيّة وكشف المرامي الحقيقيّة لهذا المدّعي الدّجال بعد أن حالفه الحظّ في الهروب، وأعلن عن ذلك فرحا مسرورا وهو يقول[3]:

لا يبعِدِ اللهُ مِثْلِـي وَأَيْنَ مِثْــلي أيْـنَا

للهِ غَــفْلَــةُ قَــوْمٍ غَنِمْتُهَا بِالـهُوَيْــنَا

اكْتَلْتُ خَيــرًا عَلَيْهِـمْ وَكِلْــتُ زُورًا وَمَـيْنَا

والآتي يحدّد مراحل الحجاج في هذه البنيّة النّصيّة:

- السّياق الحجاجي ⟵ لا أحد يمكنه أن يثبت أنّ ادّعاء " أبي الفتح" خاطئ، كما لا يمكن لأحد أن يثبت بأنّه صحيح.

- إذن ⟵ كلام " أبي الفتح" كما يكون صحيحا، قد يكون خاطئا.

---

[1]- السابق، ص 106، 107.

[2]- نفسه، ص 107، 108.

[3]- نفسه، ص 108.

– لكن ⟵ " أهل القرية" (المتلقي) أذعنوا، ثم نفّذوا ⟸استجابة.

– وعليه ⟵ السّياق الحجاجي « مغالطة معرفيّة» أدى من خلالها أبو الفتح "وظيفة إيديولوجية"، بما أنه حاول أن يجد ترابطا بين ما يدّعيه وبين البيئة التي يدعي لها، ولو كان ذلك من طريق الخديعة [1].

– المقامة الملوكيّة:

مقامة سيقت فيها المغالطة وفق بنيتين حجاجيتين نصَّهُما الآتي:

– البنيّة الأولى:« حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنتُ فِي مُنْصَرَفِي مِنَ اليَمنِ وَتَوجُّهِي إِلى نَحْو الوَطَنِ، أَسْرِي ذَاتَ لَيْلَةٍ لَا سَانِحَ بِهَا إِلاَّ الضَّبُعُ، وَلاَ بَارِحَ إِلاَّ السَّبُعُ، فَلَمَّا انْتُضِيَ نَصْلُ الصَّبَاحِ، وَبَرزَ جَبِينُ المِصْبَاحِ، عَنَّ لِي في البَرَاحِ، رَاكِبٌ شَاكِي السّلَاحِ، فَأَخَذَنِي مِنْهُ مَا يَأَخُذُ الأَعْزَلَ، مِنْ مِثْلِهِ إِذَا أَقْبَلَ، لَكِنِّي تَجَلَّدْتُ فَوَقَفْتُ وَقُلْتُ: أَرْضَكَ لَا أُمَّ لَكَ فَدُونِي شَرْطُ الحِدَادِ، وَخَرْطُ القَتَادِ، وَحَمِيَّةٌ أَزْدِيَّةٌ، وأَنَا سِلْمٌ إِنْ كُنْتَ، فَمَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: سِلْمًا أَصَبْتَ، وَرَفِيقًا كَمَا أَحْبَبْتَ، فَقُلْتُ خَيْرًا أجبتَ، وَسِرْنَا فَلَمَّا تَخَالَيْنَا، وَحِينَ تَجَالَيْنَا، أَجَلَتِ القِصَّةُ عَنْ أَبي الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيِّ، وَسَأَلَنِي عَنْ أَكْرَمِ مَنْ لَقِيتُهُ مِنْ المُلُوكِ فَذَكَرْتُ مُلُوكَ الشَّامِ، وَمَنْ بِهَا مِنْ الكِرَامِ، وَمُلوكَ العِراقِ وَمنْ بِهَا مِنْ الأَشْرَافِ، وأَمُراءِ الأَطْرافِ، وَسُقْتُ الذِّكْرَ، إِلىَ مُلوكِ مِصْرَ، فَرَوَيْتُ مَا رَأَيْتَ وَحَدَّثْتُهُ بِعَوارِفِ مُلوكِ اليَمَنِ، وَلَطَائِفِ مُلُوكِ الطَّائفِ، وَخَتَمْتُ مَدْحَ الجُملةِ، بِذِكْرِ سَيْفِ الدَّوْلةِ، فَأَنْشأَ يَقُولُ:

يَــا سَــارِيَا بِنجومِ اللَّــيْلَ يَمدَحُهَا وَلَوْ رَأَى الشَّمسَ لَمْ يَعْرِفْ لَهَا خَطرَا

وَوَاصِفًا لِلسَّوَاقِي هَبْكَ لَمْ تَزُرِ الْـ ــبَحْرَ المُحِيطَ أَلَمْ تَعْرِفْ لَهُ خَــبَرَا

[1]– ينظر: نور مرعي الهدروسي، السرد في مقامات السرقسطي، ص51، 52.

مَنْ أَبْصَرَ الدُّرَّ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ حَجرًا وَمنْ رَأَى خَلَفًا لَمْ يَذْكُرِ البَشَرَا

زُرْهُ تَزُرْ مَلِكًا يُعْطِي بِأَرْبَعَةٍ لَمْ يَحْوِهَا أَحَدٌ وانْظُرْ إِليهِ تَرَى

أَيَّامَهُ غُرَرًا وَوجْهَهُ قَمَرَا وَعَزْمَهُ قَدَرًا وَسَيْبَهُ مَطَرَا

مَازِلْتُ أَمْدَحُ أَقْوَمًا أَظُنُّهُمُ صَفْوَ الزَّمَانِ فَكَانُوا عِنْدَهُ كَدَرَا

(قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَام): فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا المَلِكُ الرّحِيمُ الكَرِيمُ؟ »[1].

- **البنيّة الثّانيّة:« فَقَالَ: كَيْفَ يَكُونُ، مَا لَمْ تَبْلُغْهُ الظُّنُونَ؟ وَكَيفَ أَقُولُ، مَا لَمْ تَقْبَلْهُ العُقُولُ؟ وَمَتَى كَانَ مَلِكٌ يَأنَفُ الأَكَارِمِ، إِنْ بَعَثْتَ بِالدَّرَاهِمِ، والذَّهَبُ، أَيْسَرُ مَا يَهَبُ، وَالأَلْفُ، لَا يَعُمُّهُ إِلَّا الخَلْفُ، وَهَذَا جَبَلُ الكُحْلِ قَدْ أَضَرَّ بِهِ المِيلُ، فَكَيْفَ لَا يُؤثِّرُ ذلِكَ العَطَاءُ الجَزِيلُ؟ وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَلِكٌ يَرْجَعُ مِنَ البَذْلِ إِلَى سَرَفِهِ، وَمِنْ الخَلْقِ إِلَى شَرَفِهِ، وَمِنَ الدِّينِ إِلى كَلَفِهِ، وَمِنَ المُلْكِ إِلَى كَنَفِهِ، وَمِنَ الأَصْلِ إِلَى سَلَفِهِ، وَمِنَ النَّسْلِ إِلى خَلَفِهِ »**[2]**، ثمّ أردف هذا الوصف بالبيت الآتي**[3]**:**

فَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ هَذِي مَآثِرُهُ مَاذَا الَّذي بِبُلوغِ النَّجْمِ يَنْتَظِرُ

ويمكن شرح سياق الحجاج في البنيتين وفق الآتي:

- السّياق الحجاجي⟵ لا أحد يمكنه أن يثبت أنّ وصف " أبي الفتح" مادحا هذا الملك في البنيتين الأولى والثانية خاطئ، كما لا يمكن الإثبات بأنّه صحيح لأنّ هذا الوصف قد يكون على سبيل الحقيقة، كما قد يكون على سبيل المجاز[4]، وبالتالي

---

[1]- بديع الزمان المهذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 234، 235، 236.

[2]- نفسه، ص 236، 237.

[3]- نفسه، ص 237.

[4]- ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص 467- 470.

يصدُق على هذا الوصف حكم "الادّعاء"، ولعل ما يشرع هذا الحكم هو إمكانية أن لا يكون لهذا الملك وجود، خاصة وأنّ الواصف عمد إلى صيغ المبالغة وفق أساليب مجازية[1].

– إذن ⟵كلام " أبي الفتح" قد يكون صحيحا، وقد يكون خاطئا.

– لكن⟵"ابن هشام"بدل التأييد أو الاعتراض والتشكيك، أبدى تعجبا واندهاشا من خلال استفهام تعجبي[2]:« من هذا الملك الرحيم الكريم؟! » ⟸ استفسار.

– وعليه ⟵ السّياق الحجاجي« مغالطة معرفيّة»؛ لأن المدعي قدّم الإجابة عن الاستفسار على شكل أوصاف أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة، وفق البنية النصية الثانية، حيث لم يفصح عن هوية الملك واسمه، وسؤال ابن هشام عن ذلك كان صريحا في خاتمة البنية النصية الأولى، وبالتالي تتفق وظيفة أبي الفتح في هذه المقامة مع مفهوم "الوظيفة التفسيرية أو الإلهامية" [3].

ج– المغالطة الجدليّة:

وهي الصّورة الثالثة من صور المغالطة بالتّجهيل، وشكلها الحجاجي يضبطه الحدّ الآتي[4]:

– لدينا القضية (ق).

– نفترض حوارا بين طرفين (أ) و (ب)، أو أكثر حول القضية (ق).

– يتمسّك (ب) بـ (ق).

---

[1]– ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 233– 239.

[2]– ينظر: الميداني، البلاغة العربيّة، 1/ 258، 278.

[3]– ينظر: نور مرعي الهدروسي، السرد في مقامات السرقسطي، ص53.

[4]– محمد النّويري، الأساليب المغالطيّة مدخل إلى لنقد الحجاج، ص 436.

- الأمر الذي لا يقبله (أ).

- يطلب (ب) من (أ) حجّة تنفي (ق).

- يصرّح (أ) أنّ هذه الحجة غير متوفرة لديه، ورغم ذلك لا يجد العناصر الكافية التي ترجح لديه قبول (ق).

- (ب) يلح إلحاح شديدا على (أ) بأن يدلي بحجّة مناقضة وإلاّ رُفض موقفه.

والمرحلة الأخيرة من مراحل السلم الحجاجي هي ما يجعل هذا الجدل يأخذ صورة مغالطة[1]، وما يوافق هذا المفهوم من مقامات الهمذاني المقامتان "الجاحظيّة والمطلبيّة"، وما يلي يبسط سياقهما الحجاجي، ويشرح تفاصيل المغالطة فيهما:

- **المقامة الجاحظيّة**⇦سياق حجاجي⇦مغالطة جدليّة ⇦جدل بين رأيين ⇦:

- **الرّأي الأوّل:« حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: أَثَارَتْنِي وَرِفْقَة وَلِيمةٌ فَأَجَبْتُ إِلَيْهَا لِلحَدِيثِ المَأْثُورِ عَن رَسُولِ الله ﷺ: لَوْ دُعِيتُ إلى كُرَاعٍ لأَجَبْتُ، وَلَو أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ ... وَمعَنَا عَلى الطَّعَامِ رَجُلٌ تُسَافِرُ يَدُهُ على الخِوَانِ، وَتَسْفِرُ بَيْنَ الأَلْوانِ، وَتَأْخُذُ وُجُوهَ الرُّغْفَانِ، وَتَفْقَأُ عُيُونَ الجِفَانِ، وَتَرْعَى أَرْضَ الجِيرَانِ. وَتجُولُ فِي القَصْعَةِ، كَالرُّخِّ في الرُّقْعَةِ يَزْحَمُ بِاللُّقْمَةِ اللُّقْمَةَ، وَ يَهْزِمُ بِالمِضْغَةِ المِضْغَةَ، وَهُوَ مَعَ ذَلكِ سَاكتٌ لَا يَنْبِسُ بِحرْفٍ، وَنَحنُ فِي الحَدِيثِ نَجْرِي مَعَهُ حَتَّى وَقَفَ بِنَا عَلى ذِكْر الجَاحظِ وَخَطَابَتِهِ، وَوصْفِ ابن المُقَفَّعِ وَذَرَابَتِهِ، وَوَافقَ أَوَّلُ الحَدِيثِ آخرَ الخِوَانِ وَزُلْنَا عَن ذَلكَ المَكَانِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَينَ أَنْتُمْ مِنَ الحَدِيثِ**

[1]– السابق، ص نفسها.

الَّذي كُنتُمْ فِيهِ ؟ فَأَخَذْنَا فِي وَصْفِ الجَاحِظِ وَلَسَنِهِ، وَحُسنِ سَنَنِهِ في الفَصَاحَةِ وَسُنَنِهِ، فيما عَرفْنَاهُ »[1].

– الرّأي الثّاني:« فقال [الرّجل السّاكت]: يَا قَوْمُ لِكُلِّ عَمَلٍ رِجَالٌ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ، وَلِكُلِّ دَارٍ سُكَانٌ، وَلِكُلِّ زَمانٍ جَاحِظٌ، وَلَوْ انْتَقَدْتُمْ، لَبَطَلَ مَا اعْتَقَدْتُمْ »[2].

– ومنه ⟵الرّأي الأوّل يرفض الرّأي الثاني دون استدلال:« **فكلٌ كشّرَ لَهُ عنْ نَابِ الإنْكَارِ، وأَشَمَّ بِأَنْفِ الإكْبَارِ**»[3].

– وبالتالي ⟵ الرّأي الثاني يفنّد الرّأي الأوّل وفق حجاج مغالط:« **إنَّ الجَاحِظَ في أَحد شِقَّي البَلاغةِ يَقْطِفُ، وَفي الآخِرِ يَقِفُ، والبَلِيغُ مَن لَمْ يُقَصرْ نَظْمُهُ عَن نَثْرِهِ، وَلَمْ يُزْرِ كَلاَمُهُ بِشِعْرِهِ، فَهَلْ تَرْوُونَ لِلْجَاحِظِ شِعْرًا رَائعًا؟ قُلنَا: لَا، قَالَ: فَهَلُمُّوا إلى كَلاَمِهِ فَهُوَ بَعيدُ الإشَارَاتِ، قَليلُ الاسْتِعَارَاتِ، قَرِيبُ العِبَارَاتِ، مُنْقَادٌ لِعُرْيَانِ الكَلاَمِ يَسْتَعمِلُهُ، نَفُورٌ مِن مُعْتَاصِهِ يُهْمِلُهُ، فَهَلْ سَمِعْتُمْ لَهُ لَفْظَةً مَصْنُوعَةً، أو كَلِمَةً غَيْرَ مَسْمُوعَةٍ ؟ فَقُلْنَا: لا »**[4].

– إذن⟵المغالطة في الرّأي الثّاني تحققت وفق ما يلي:

1– تم التّفنيد وفق أحكام نقديّة، قد تصيب وقد تخطئ، وفي ذلك يقول الناقد " شوقي ضيف":« هذا حكم أدبي دقيق على الجاحظ يدل على أنّ البديع قرأه وفهمه، وعرفه معرفة صحيحة، وإن كنّا لا نتفق معه فيه وفي تفاصيله، فالجاحظ لا يُلام بأنّه لا يقول الشعر، أمّا أنّه يستعمل عريان الكلام وينفر من الاستعارات والكلمات العويصة، فذلك حقّه، ولعل أدبه بهذه الخصائص نفسها يفوق أدب البديع

---

[1]– بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 77، 78، 79.

[2]– نفسه، ص 79، 80.

[3]– نفسه، ص 80.

[4]– نفسه، ص 80، 81.

ومعاصريه، ونحن لا نستطيع بحال أن نقبل من البديع هذه الاستهانة بالجاحظ على أساس أنه ليس عنده ألفاظ مصنوعة ولا كلمات غير مسموعة، فليس هذا عنوان التفوق الأدبي، إنّما هذا أسلوب البديع ومعاصريه، وبه كانوا يقيسون البلغاء والبلاغة »[1]، وبالتالي يكون صاحب الرأي الثاني قد فنّد الرأي الأول وفق "وظيفة نقدية"[2].

2- تمويه المتلقي بطلب الإجابة عن سؤال حمله " استفهام إنكاري" غرضه البلاغي « النّفيِّ، مع الإنكار على المُثْبِتِ كيف أَثْبَتَ ما هو ظاهر النّفيّ، وكان الواجب عليه أن ينفي، أو مع الإنكار على المخاطب قَضيَّته، وهي باطلة في تصوُّرِ مُوَجَّه الاستفهام»[3].

3- بما أنّ المسؤول عنه مجرّد حكم نقدي، فإنّ طلب الإجابة من المنكر بصورة ملحة، أجبرت المتلقي أن يذعن للمنكر عليه وهو جاهل بذلك.

- **المقامة المطلبيّة** ⟸سياق حجاجي⟸مغالطة جدليّة⟸جدل بين رأيين⟸ :

- **الرّأي الأوّل:« حَدَّثنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: اجْتَمَعْتُ يَوْمًا بِجَمَاعةٍ كَأَنَّهُمْ زَهْرُ الرَّبيعِ، أَوْ نُجُومُ اللَّيلِ بَعْدَ هَزِيعٍ، بِوُجُوهِ مُضِيَّةٍ، وَأَخْلاقٍ رَضِيَّةٍ، قَدْ تَنَاسَبُوا فِي الزِّيِّ وَالحَالِ، وَتَشابهُوا في حُسْنِ الأَحْوالِ، فَأَخَذْنَا نَتَجَاذَبُ أَذْيَالَ المُذَاكرةِ، وَنَفْتَحُ أَبْوَابَ المُحَاضَرةِ، وَفي وَسَطنَا شَابٌّ قَصيرٌ مِنْ بَيْن الرِجَالِ، مَحْفُوفُ السِّبَالِ، لَا يَنْبِسُ بِحرفٍ وَلَا**

---

[1]- شوقي ضيف، فنون الأدب العربي – الفن القصصي: المقامة –، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط7، 1995م، 1/ 27، 28.

[2]-ينظر: نور مرعي الهدروسي، السرد في مقامات السرقسطي ، ص52.

[3]- الميداني، البلاغة العربيّة، 1/ 271.

يَخُوضُ مَعْنَا فِي وَصفٍ، حَتَّى انْتَهى بِنَا الكَلامُ إلى مَدْحِ الغِنَى وَأَهلِهِ، وَذَكْرِ المَالِ وَفَضْلِهِ، وأَنَّهُ زِينَةُ الرِّجَالِ، وَغَايةُ الْكَمَالِ »[1].

– الرّأي الثّاني:« **فكأنَّمَا هبَّ منْ رَقْدَةٍ [الشّاب] أَوْ حَضَرَ بَعْدَ غَيْبةٍ، وَفَتحَ دِيوَانَهُ، وَأَطْلَقَ لِسَانهُ. فَقالَ: صَهْ لَقَدْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيءٍ عَدِمْتُمُوهُ، وَقَصَّرْتُمْ عَنْ طَلَبهِ فَهَجَّنْتُمُوهُ، وَخُدِعْتُمْ عَنْ البَاقِي بِالفانِي، وَشُغِلْتُمْ عَنْ النَّائِي بِالدَّانِي، هَل الدُّنيَا إلَّا مُناخُ راكِبٍ، وَتَعِلَّةُ ذَاهبٍ، وَهلِ المَالُ إلَّا عَارِيَّة مُرْتَجَعَةٌ، وَوَديعَةٌ مُنْتَزعةٌ، يُنْقَلَ منْ قَوْمٍ إلى آخَرِينَ، وَتَخْزُنُهُ الأَوائِلُ للآخَرِين، هَلْ تَرَوْنَ المَالَ إلّا عنْدَ البُخلاَءِ، دُونَ الكُرَمَاءِ، وَ الجُهَّالِ دُونَ العُلَمَاءِ ؟ إيَّاكُمْ و الانْخِدَاعَ فَليْسَ الفَخْرُ إلّا فِي إحْدَى الجِهتيْنِ، وَلاَ التَّقدُّمُ إلَّا بإحدَى القِسْمَتَينِ: إمَّا نَسَبٌ شريفٌ، أَوْ عِلْمٌ مُنِيفٌ، وَأَكْرَمْ بِشيءٍ يُحْملُ عَلَى الرُّؤُوسِ حَامِلُهُ، وَلاَ يَيْأَسُ مِنهُ آمِلُهُ، وَاللهِ لَوْلاَ صِيانَةُ النَّفسِ وَالعِرْضِ لَكُنْتُ أَغْنَى أَهْلَ الأَرْضِ، لِأَنَّني أَعْرِفُ مَطْلَبَينِ أَحَدُهُمَا بأَرْضِ طَرْسُوسَ، تَشْرَهُ فِيه النُّفُوسُ، مِنْ ذَخَائرِ العَمَالقَةِ، وَخَبايَا البَطارِقةِ، فيه مائَةُ أَلفِ مِثْقالٍ، وَأَمَّا، الآخرُ فَهُوَ مَا بيْنَ سُورَى والجَامِعَيْنِ، فِيهِ مَا يَعُمُّ أَهْلَ الثَّقَلَيْنِ، منْ كُنُوزِ الأَكَاسِرَةِ، وَعُدَدِ الجَبَابِرَةِ، أَكْثرُهُ يَاقُوتٌ أَحْمَرُ، وَدُرٌّ وجَوْهَرٌ، وَتِيجَانٌ مُرَصَّعَةٌ وَبِدَرٌ مُجَمَّعةٌ »**[2]، وفي هذه الحالة يكون الرأي الثاني قد أدى "وظيفة إبلاغية نقل من خلالها مضمونا في صورة وجهة نظر[3] .

– ومنه ←الرّأي الأوّل يقبل الرّأي الثّاني – دون إذعان– بعد أن غالبه في الاقتناع:« **فَلَمَّا أَنْ سَمِعْنَا ذَلكَ أَقْبَلْنَا عَلَيْهِ، وَمِلْنَا إلِيهِ، وَأَخَذْنَا نَسْتَعْجِزُ رَأيهُ، فِي القُنُوعِ بِيَسيرِ المَكَاسِبِ، مَعَ أَنّهُ عَارِفٌ بِهذهِ المَطَالِبِ، فَأَشَارَ إلى**

---

[1]– بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 251.

[2]– نفسه، ص 251، 252، 253.

[3]–ينظر: نور مرعي الهدروسي، السرد في مقامات السرقسطي ، ص51.

أنَّه يَفْزعُ مِنْ السُّلْطانِ، وَلَا يَثِقُ إِلَى أَحَدٍ مِنْ الإِخْوَانِ، فَقُلْنَا لهُ: قَدْ سَمِعْنَا حُجَّتَكَ، وَقَبِلْنَا مَعْذِرَتَكَ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُحْسِنَ إِلَيْنَا، وَتَمُنَّ عَلينَا، وَتُعَرِّفَنَا أَحَدَ هَذَيْنِ المَطْلَبَينِ، عَلَى أَنَّ لَكَ الثُّلُثَينِ، فَعَلْتَ »[1].

– وبالتالي ⟵ الرّأي الثّاني يحتال على الرّأي الأول:« **فَأَمَالَ إِلَيْنَا يَدَهُ، وَقَالَ: مَنْ قَدَّمَ شَيْئًا وَجَدَهُ، وَمنْ عَرَفَ مَا يُنَالُ، هَانَ عَلَيْهِ بَذْلُ المَالِ، فَكُلٌّ مِنَّا حَبَاهُ بِمَا حَضَرَ، وَتَشَوَّقَ إلى مَا ذَكَرَ، فَلمَّا مَلأْنَا كَفَّهُ، رَفَعَ إِلَيْنَا طَرْفَهُ، وَ قَالَ: لَا بُدَّ أَنْ نَقْضِيَ عَلقًا، وَنَنَالَ مَا يُمْسِكُ رَمَقًا، وَقَدْ ضَاقَ وَقْتُنَا، وَ المَوْعدُ غداً هَاهُنَا، إن شَاء اللهُ تَعالَى** »[2].

– إذن ⟵ المغالطة في الرّأي الثاني من خلال اعتراف صاحبه بأنَّ تبنِّيه لهذا الرّأي واستماتته في الدّفاع عنه، إنّما كان سخفا منه، بل تساخفا لجأ إليه وهو مدرك بأنّه طريق معبدة تضمن نجاته، كما تضمن تحقيق أمانيه: « **قال عِيسَى بْنُ هِشامٍ: فَلمَّا تَفرَّقَتْ تِلْكَ الجَمَاعَةُ، قَعَدْتُ بَعْدَهمْ سَاعَةً، ثُمَ تَقَدمْتُ إِلَيْهِ. وَجَلسْتُ بَيْنَ يَديْهِ، وَقُلْتُ وَقَدْ رَغِبْتُ فِي مَعْرِفَتِهِ، وَتَاقَتْ نَفْسي إِلَى مُحادَثَتِهِ: كَأَنَّنِي عَارِفٌ بِنَسَبكَ، وَقدِ اجْتَمعْتُ بِكَ، فَقَالَ: نَعَمْ ضَمَّنَا طَرِيقٌ، وأَنْتَ لِي رَفِيقٌ، فَقُلتُ: قَدْ غَيْرَكَ عَلَيَّ الزَّمَانُ، وَمَا أَنْسَانِيكَ إِلَّا الشَيْطَانُ** »[3]، **فَأَنْشَأَ يَقُولُ**[4]:

---

[1]–بديع الزمان الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 253.

[2]– نفسه، ص نفسها.

[3]– نفسه، ص 253، 254.

[4]– نفسه، ص 254.

أَنَـــا جَـــبَّـــارُ الـــزَّمـــانِ لِي مِـــنْ السُّـــخْفِ مَـعَاني

وأَنَـــا المُـــنْفِـــقُ بَـــعْـــ ـــدَ المَالِ مِنْ كِيسِ الأَمَانِـي

مَنْ أَرَادَ القَصـــْـفَ وَالـغَـرْ فَ عَـلَى عَـــزْفِ المَـــثَانِي

واصْـطَفَى المُـــرْدَانَ جَـهْلَا مِـــنْ فُـــــلاَنٍ وَ فُـــلَانِ

صَارَ مِـــنْ مَـــالٍ وَ إِقْـبَـا لٍ تَـــــرَاهُ فِـي أَمـــــانِ

الخاتمة

تبيّن، بعد تحليل الخطاب الهمذانيّ المندرج ضمن الفنّ الأدبيّ الموسوم بـــ "المقامة" أنّه ذو بنى حجاجيّة تمايزت تراكيبها اللّغويّة بتمايز أغراضها ومقاصدها الدّلاليّة، فالمقامات التي شملتها الدراسة اعتبرت خطابا حجاجيّا أمكن وصفه وفق آليات إجرائيّة لسانيّة أسهمت في حصر أغلب أساليبه التّواصليّة، كما أدّى التّعامل مع المفاهيم الأوليّة والمصطلحات البنائيّة تعاملا وظيفيّا – خلال مراحل البحث الأولى – إلى تصنيف الخطاب خطابا حجاجيّا مغالطا، ومن ثمة استدعت عمليّة التّحليل دراسة الحجاج بأساليب المغالطة النّسقيّة والسّيّاقيّة، وكان ذلك وفق مسلكين اثنين، فأما المسلك الأوّل فاعتنى بالمغالطات الصوريّة، ثمّ اللّغوية ، وهي على الترتيب:

- **المغالطة بالمصادرة على المطلوب:** وتجلت أساليبها من خلال ثلاث مقامات هي «القريضيّة والبصريّة والفزاريّة».
- **المغالطة بتجاوز الحجّة:** تجلت أساليبها من خلال ثلاث مقامات أيضا، هي «الجاحظيّة والحرزيّة والشّيرازيّة».
- **المغالطة بتجاهل المطلوب:** تجلت أساليب هذه المغالطة في كل من المقامتين «السّجستانيّة والقزوينيّة».
- **المغالطة بالعرض:** كانت أساليبها جلية في المقامة «الموصليّة».
- **المغالطة بالتركيب:** من أساليبها ما ورد في كل من المقامتين «البلخيّة والصّفريّة».
- **المغالطة بالاشتراك:** من أساليبها ما ورد في المقامة «النّيسابوريّة».
- **المغالطة باللّبس:** وردت أساليبها من خلال المقامة «الحمدانيّة».
- **المغالطة بالمسائل المتعددة:**أساليب هذه المغالطة وردت من خلال المقامة «العراقيّة».

أمّا المسلك الثّاني، فاهتمّ بالمغالطات السّيّاقيّة الماديّة واللّاماديّة، وترتب على ذلك الآتي ذكره:

- **المغالطة بالسّلطة:** ومن أساليبها ما حملته المقامة « الأصفهانيّة».
- **المغالطة بالاسترحام:** حمل أساليبها كل من المقامات الآتيّة: «الأزاذيّة والأذربيجانيّة والجرجانيّة والكوفيّة والمكفوفيّة».
- **المغالطة بالإغاظة:** حملت أساليبها المقامة «الأرمينيّة».
- **المغالطة بالتّخويف** ترهيبا لا تهديدا: حملت أساليبها المقامة «**البخاريّة**».
- **المغالطة بالتّناقض العملي:** قامت بحمل أساليبها كل من المقامتين «الأسديّة والنّاجميّة».
- **المغالطة بالتّناقض الأخلاقي العملي:** عملت على حمل أساليبها المقامة «**الخمريّة**».
- **المغالطة بما يهوى الجمهور:** ومن أساليبها ما استدعته كل من المقامات الأربع الآتيّة «المجاعيّة والنّهديّة والصّيمريّة والقرديّة».
- **المغالطة الشّخصيّة:** ومن أساليبها ما استلزمه داعي **التّجريح** في كل من المقامات الآتيّة «المارستانيّة والحلوانيّة والدّيناريّة»، أمّا ما استلزمه داعي **الإحراج** فقد ثبت في كل من المقامتين «المارستانيّة والسّاريّة».
- **المغالطة بالجهل:** ومن أساليبها ما اقتضته المقامة «البغداديّة».
- **المغالطة بالتّجهيل:** ومن أساليبها ما دعت إليه ثلاث صور حجاجيّة متباينة هي:
  - ❖ المغالطة الإثباتيّة: وتتضح هذه الصّورة من خلال كل من المقامة «القزوينيّة والنّيسابوريّة والسّاسانيّة».
  - ❖ المغالطة المعرفيّة: هذه الصّورة تتضح من خلال مقامتين هما «الموصليّة والملوكيّة».
  - ❖ المغالطة الجدليّة: وهي صورة تتضح من خلال مقامتين أيضا هما «الجاحظيّة والمطلبيّة».

وبذلك، انتهت الدّراسة إلى تحديد الأساليب التّواصليّة لكل بنية حجاجيّة مغالطة، وما اقتضته من ظواهر لسانيّة على مستوى التّركيب والدّلالة والسّيّاق، وما تطلبته من وسائل لغويّة على مستوى النّحو والصّرف والبلاغة.

في الأخير، يمكن الحكم على مقامات بديع الزمان الهمذاني بأنها خطاب حجاجي عمل على أداء وظيفة تواصليّة وفق مستويين متكاملين، أحدهما نسق لغويّ متداخل الأركان، والآخر سياق مقاميّ متعدّد الأطراف، وذلك أنّ الإجابة عن السؤال الّذي طُرح سلفا قد عرضت أغلب الأسس الحجاجيّة، ومعظم الأساليب التواصليّة الّتي اقتضاها الخطاب الهمذاني من خلال فن المقامة، كما بيّنت أيضا، كيف أسهمت هذه الأسس والأساليب في تشكيل البنى اللغويّة وإرساء مقاصدها الدّلاليّة بناء على تحليل منهجي، تبقى إمكانيّة اضطلاعه بنتائج جديدة قائمة في ضوء الدّراسات المستقبليّة.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم نافع عن عاصم.**

الكتب العربية والمعرّبة:

-أحمد الهاشمي:

1. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط و تدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، الدار النموذجية، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2000م.

- أحمد أوالطوف:

2. بلاغة الخطاب الحكائي – إستراتيجيات الحجاج في كليلة ودمنة – دار عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، دار جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014م .

- أسامة البحيري:

3. البنية المتحولة في البلاغة العربية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، (د.ب)، ط1، 2009.

-أمينة الدّهري:

4. الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2011م.

-أيمن بكر:

5. السرد في مقامات الهمذاني، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د. ط)، 1998م .

-باسم ناظم سليمان ناصر المولى:

6. سيكولوجية الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمذاني، المكتب الجامعي الحديث للنشر، الإسكندرية، مصر، د. ط، 2012م.

-بديع الزمان الهمذاني(أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحي):

7. مقامات بديع الزمان الهمذاني، شرح: محمد عبده، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 2012م.

- جبور عبد النور، سهيل إدريس:

8. المنهل - قاموس فرنسي عربي- جبور عبد النّور، سهيل إدريس، المنهل - قاموس فرنسي عربي - ، دار الآداب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1977م.

-الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد):

9. أسرار البلاغة في علم البيان، صححه: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.

10. دلائل الإعجاز في علم المعاني، صحح أصله: محمد عبده، محمد محمود التركيزي الشنقيطي، علق عليه: محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 2001م.

-الجرجاني (الشريف علي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني الحنفي):

11. كتاب التعريفات، د. تح، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

- جميل عبد المجيد:

12. البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، 2000م.

-حسان الباهي:

13. اللغة والمنطق-بحث في المفارقات-، منشورات ضفاف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2015م.

-حمادي صمود:

14. التفكير البلاغي عند العرب- أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)-، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، طرابلس، ليبيا، ط3، 2010م.

-حنا الفاخوري:

15. الموجز في الأدب العربي وتاريخه – الأدب المولد – ، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1991م ، الملجد الثاني.

16. الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم – ، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدّين أحمد بن محمد بن أبي بكر):

17. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ط) ، (د.ت) .

-رشيد الرّاضي:

18. الحجاج والمغالطة- من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار-، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، طرابلس، ليبيا، ط1، 2010م.

-سامية الدريدي الحسني:

19. الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة – بنيته وأساليبه – ، دار عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، دار جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د.ط، 2008م .

20. دراسات في الحجاج – قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم – ، دار عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، دار جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009م .

- السكاكي(أبو يعقوب يوسف بن أبو بكر محمد بن علي):

21. مفتاح العلوم، حققه وقدم له وفهرسه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.

- شكري المبخوت:

22. الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديد المتحدة للنشر، بيروت، لبنان، توزيع دار أويا، طرابلس، ليبيا، ط2 ، 2010م .

23. نظرية الحجاج في اللغة، فريق البحث في البلاغة والحجاج – أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم – إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية – تونس1–، كلية الآداب، منوبة، تونس.

-شوقي ضيف:

24. فنون الأدب العربي – الفن القصصي: المقامة –، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط7، 1995م.

-صابر الحباشة:

25. التداولية والحجاج – مداخل و نصوص– ، صفحات الدراسات و النشر، دمشق، سورية، ط1 ، 2008 م .

- صلاح فضل:

26. بلاغة الخطاب وعلم النّص، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 2004م .

-طه عبد الرحّمن:

27. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

28. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي للنشر، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2000م.

- عبد العزيز عتيق:

29. في البلاغة العربية- علم المعاني، البيان، البديع- دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).

-عبد الله شريّط:

30. تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية – وحدة الطبع المتعددة – ، الجزائر، ط3، 1983م .

- عبد الله صولة:

31. الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة – لبرلمان وتيتيكان، فريق البحث في البلاغة والحجاج – أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم –، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية – تونس1 – كلية الآداب، منوبة، تونس.

- عبد الهادي بن ظافر الشهري:

32. إستراتيجيات الخطاب- مقاربة لغوية تداولية – ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، ط1 ، 2004م .

-عبده الراجحي:

33. التطبيق الصرفي، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د ط)، 1999م.

34. التطبيق النحوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1988م.

-عز الدين إسماعيل:

35. الأدب وفنونه – دراسة ونقد –، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط8 ، 2002م .

-العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل سعيد بن يحي بن مهران):

36. كتاب الفروق، تقديم وضبط وتعليق وفهرسة: أحمد سليم الحمصي، دار جروس برس، طرابلس، لبنان، ط1، 1994م.

-علي محمد السيد خليفة:

37. الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمذاني – دراسة تحليلية – ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2010م.

-عليوي أباسيدي:

38. الحجاج والتفكير النقدي – مقاربة تداولية منطقية معرفية نقدية – ، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، د.ط ، 2004م.

-فاضل صالح السامرائي:

39. معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000م.

-الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الشافعي):

40. القاموس المحيط، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2003م.

-فيليب بروتون: جيل جوتييه:

41. تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، السعودية، ط1، 2011م.

- قدور عمران:

42. البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، دار عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، دار جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012م .

-القرطاجني (حازم أبو الحسن):

43. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1986م.

-القزويني (الخطيب جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر):

44. الإيضاح في علوم البلاغة، قدّم له وبوبه وشرحه: علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (دط)، 2000م.

- ليلى جغام:

45. إستراتيجيات الحجاج في التراث العربي – مقاربة تداولية في كتاب (البيان والتبيّن) للجاحظ – ، دار النابغة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2015م.

-ماهر عبد القادر محمد علي:

46. المنطق ومناهج البحث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1985م .

- محمد العمري:

47. البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق للنشر، الدار البيضاء، المغرب، (د.ط)، 2005م.

- محمد النويري:

48. الأساليب المغالطية مدخلا لنقد الحجاج، فريق البحث في البلاغة والحجاج – أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم – إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية – تونس1– ، كلية الآداب، منوبة، تونس.

- محمد سالم محمد الأمين الطلبة:

49. الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر– ، دار الكتاب الجديد المتحدة للنشر، بيروت، لبنان، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، ط1، 2008م.

-محمد علي القارصي:

50. البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، فريق البحث في البلاغة والحجاج – أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم– ، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية – تونس1 – ، كلية الآداب، منوبة، تونس.

-محمد غنيمي هلال:

51. الأدب المقارن، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 2001م .

-محمد فتحي الشنيطي:

52. أسس المنطق والمنهج العلمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، 1970م.

- محمد مهران رشوان:

53. قضايا أساسية في المنطق، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2011م، ص 201-210 .

- محمود زيدان:

54. الاستقراء والمنهج العلمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت .

55. المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، توزيع لاروس، 1989م.

56. المنجد في الأعلام، دار المشرق للطباعة و النشر، المكتبة الشرقية للتوزيع، بيروت، لبنان، ط29، 2008م.

-ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم):

57. لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، مادة (حجج).

-الميداني(عبد الرحمن حسن حبنّكة):

58. البلاغة العربية -أساسها وعلومها، وفنونها، وصور من تطبيقاتها، بهيكل جديد من طريف وتليد-، دار القلم، دمشق، سوريا، الدار الشامية، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.

-نزار عبد الله خليل الضمور:

59. السخرية والفكاهة في النثر العباسي، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012م.

-نور مرعي الهدروسي:

60. السرد في مقامات السرقسطي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2009م.

-ينس ألوود، لارس- غونار أندرسون: أوستن دال:

61. المنطق في اللسانيات، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، دار المدار الإسلامي للتوزيع، بيروت، لبنان، توزيع دار أويا، طرابلس، ليبيا، ط1، 2013م.

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ– د
الفصل الأول: أسس التحليل المنهجي و البناء النصي	
أولا / ماهية الحجاج في الدّراسات الحديثة	7
1 – مفهوم الحجاج لغة واصطلاحا	7
2 – المدارس الحجاجيّة عند الغرب والعرب	12
ثانيا / أشكال الحجاج في النّظريّات الحديثة	31
– تمهيد	31
1 – الحجاج المنطقي	33
2 – الحجاج الجاهز	35
3 – الحجاج المغالط	37
4 – الحجاج الساخر	41
ثالثا / فن المقامة في الأدب العربي	45
1 – مفهوم المقامة لغة واصطلاحا	45
2 – نشأة فن المقامة	49
3 – أغراض المقامة الهمذانيّة و خصائصها	52
الفصل الثاني: الحجاج بأساليب المغالطة النّسقيّة في مقامات الهمذاني	
أولا / الحجاج بأساليب المغالطة النّسقيّة الصّوريّة	61
– تمهيد	61
1– أساليب المغالطة بالمصادرة على المطلوب	62
2– أساليب المغالطة بتجاوز الحجّة	86
3– أساليب المغالطة بتجاهل المطلوب	89

4- أساليب المغالطة بالعرض	94
ثانيا / الحجاج بأساليب المغالطة النّسقيّة اللّغويّة	97
-تمهيد	97
1- أساليب المغالطة بالتّركيب	98
2- أساليب المغالطة بالاشتراك	102
3- أساليب المغالطة باللّبس	105
4- أساليب المغالطة بالمسائل المتعدّدة	109
الفصل الثالث: الحجاج بأساليب المغالطة السّيّاقيّة في مقامات الهمذاني	
أوّلا / الحجاج بأساليب المغالطة السّياقيّة الماديّة	113
- تمهيد	113
1- أساليب المغالطة بالسّلطة	114
2- أساليب المغالطة بالاسترحام	120
3- أساليب المغالطة بالإغاظة	130
4- أساليب المغالطة بالتّخويف	133
5- أساليب المغالطة بالتّناقض العملي	137
6- أساليب المغالطة بالتّناقض الأخلاقي العملي	143
ثانيا / الحجاج بأساليب المغالطة السيّاقيّة اللّاماديّة	148
- تمهيد	148
1- أساليب المغالطة بما يهوى الجمهور	149
2- أساليب المغالطة الشّخصيّة	158
أ/ مغالطة تجريح الشّخص	158
ب/ مغالطة إحراج الشّخص	163

3- أساليب المغالطة بالجهل	167
4-أساليب المغالطة بالتّجهيل	171
أ/ مغالطة إثباتيّة	171
ب/ مغالطة معرفيّة	177
ج/ مغالطة جدليّة	182
الخاتمة	189
قائمة المصادر والمراجع	193
فهرس الموضوعات	203
ملخص	

ملخّـــص:

إنّ عملية تحليل النّصوص وفق المناهج التحليليّة الحديثة تقوم أساسا على ما يسمى بإعادة إنتاج النّص الأدبيّ، بالاستناد إلى نظريات تختلف باختلاف هذه المناهج، ومن بين هذه النّظريّات «نظريّة الحجاج»، وهي نظرية قائمة على أسس منهجيّة تمّ الاعتماد عليها في تحليل الخطابات المصنّفة ضمن «فنّ المقامة»، وهو فنّ من فنون الأدب العربيّ، ظهر خلال القرن الرابع الهجريّ على يد الأديب الملقّب بـ «بديع الزّمان الهمذاني»، حيث حمل هذا الصّنف من الخطابات أساليب تواصليّة تباينت صورها النّسقيّة والسّيّاقيّة بتباين المواقف المقاميّة التي وردت فيها، وحسب النّظريّة ذاتها تمّ الحكم على هذه الأساليب التّواصليّة بأنّها «مغالطات» غايتها الأولى الاستدلال بإقامة الحجّة وإثبات الدّليل من طريق حجاج مغالط.

Abstract :

The process of text analysis according to modern analytical methods is based mainly on the so-called reproduction of the literary text, based on theories that differ according to these different approaches. Among these theories is «the argumentation theory», this theory based on methodological foundations that have been relied upon in the analysis of the discourses classified under «The art of the maqama», which is an art of Arabic literature, appeared during the fourth century ALHIDJRI by the writer dubbed «Badi al-Zaman al-Hamdhani». Judging these communicative methods as “fallacies” whose primary purpose is to infer the establishment of the argument and prove the evidence by way of fallacious argumentation.